303

تحاور الكلام فى عقائد الإسلام

و

تحاور الكلام فى مسائل الصلاة والصيام

للشيخ التقى عبد الرحمن بن معصوم الدنكوى

305

تحاور الكلام
في
عقائد الإسلام

تأليف

الشيخ التقى عبد الرحمن بن معصوم الدنكوى

المتوفى ١٩٥٩ ميلادية

نفعنا الله تعالى بمؤلفاته وجزاه عنا خير الجزاء

أعيد طبع هذه الرسالة

لطلبة المدرسة الإسلامية بمسجد بوزى

لينشيا — فانسو

١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

س : ما هو الإسلام ؟

ج : الإسلام هو الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالىٰ .

س : ما اسمُ مَن يعتقد الإسلامَ ؟

ج : يُسمّىٰ مؤمناً أو مسلماً .

س : أ مؤمن أنت ؟

ج : شكراً لله تعالى أنا مؤمن حقًّا .

س : بمَ كنتَ مؤمنا ؟

ج : كنتُ بالإيمان مؤمنا .

س : ما هو الإيمان ؟

ج : الإيمان إقرارٌ باللِّسَان وتصديقٌ بالقلب بما جاء به النبيُّ ﷺ من عند الله تعالىٰ.

س : ما فائدةُ الإيمان ؟

ج : الإيمان أساسُ الدِّين وشرطُ قبول العمل وسببُ النجاةِ من العذاب الأبدىّ ودخولِ الجنة. فمَن لم يعلم ما الإيمانُ أو جهل بشئ من أصول الإيمان فلا إيمانَ له ولا عمل صحيح ولا دين ولا نكاح. فأوَّلُ المهمّات على المرء تعلّمُ أصول الإيمان.

س : ما هى أصول الإيمان ؟

ج : هى كَلِمَة طَيِّبَة وكلمة شَهَادة وإيمان مجمَل وإيمان مفصَّل .

س : ما هي الكلمة الطيبة ؟

ج : هي : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ .

س : ما هي كلمة الشهادة ؟

ج : هي: أشهد أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهد أنّ محمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

س : ما هو الإيمان المجمل ؟

ج : هو : آمنتُ بالله كما هو بأسمائه وصِفَاتِه وقَبِلْتُ جميعَ أحكامه .

س : ما هو الإيمان المفصّل ؟

ج : هو : آمنتُ بالله وملائكته وكُتُبِه ورُسُلِه واليوم الآخِر والقدر خيره وشرّه من الله تعالى .

﴿ الباب الأول في الإيمان بالله تعالى ﴾

س : كيف تؤمن بالله تعالى ؟

ج : أعتقد أن الله تعالى مَوْجُودٌ قديمٌ باقٍ مخالفٌ للحوادث قائمٌ بالنَّفْس واحدٌ حيٌّ عالمٌ قادرٌ مريدٌ سميعٌ بصيرٌ مُتَكَلِّمٌ مُكَوِّنٌ خالقٌ ربّ رحمنٌ رحيمٌ عليٌّ لا شبيه له، عظيم لانظير له ولا مثل له ولا شكل له، ولا يُنسب إليه مكانٌ ولا زمانٌ. وبالجملة أنه لم يزل ولا يزال متّصفاً بجميع صفات الكمال ، ومتنزّهاً عن جميع صفات النقصان .

س : هل يقدر مَلَكٌ و نبيٌّ و وَلِيٌّ على إحياء وإماتة وإغناء وإفقار ؟

ج : لا يقدرون أصلا، فإنّ الإحياءَ والإماتةَ والإفقارَ والإعزازَ والإذلالَ و وَهْبَ الأولاد و رزقَ العافية ودفعَ البلاء وإجابةَ الدعاء كلّها صفاتٌ خالصةٌ لِلهِ

تعالى. فمن اعتقد أنّ الملك أو النبيّ أو الولىّ يقدر على هذه الأمور فهو مُشْرِك يخلد فى النار .

س : هل فى صفات الله تعالى حدوث وتغيّر ؟

ج : لا، فإنّ صفات الله تعالى كلّها أزليّة أبديّة كاملة، بلا زيادة ولا نقصان ولا تغيّر و لا تبدّل. ولذا كان ما وصف اللهُ تعالى به فى القرآن و الحديث من عبارات تُوهِمُ ظواهرُها حدوثا وتغيرا وجسما و جهة لا يُراد ظواهرها، بل لها معانى صحيحة تليق بذاته المقدّسة. فما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك .

س : هل تمكن رؤيةُ الله تعالى ؟

ج : نعم ، رُؤْيَةُ المؤمنين الله تعالى من غير كيفية فى الآخرة حقٌّ .

﴿ الباب الثانى فى الإيمان بالملائكة عليهم السلام ﴾

س : كيف تؤمن بالملائكة ؟

ج : أعتقد أن الملائكة عباد الله تعالى المكرمون، وهم أجسام لطيفة مخلوقة من النور، ويتشكّلون بأشكال مختلفة ، ولايأكلون ولايشربون ولاينامون ، وليس لهم أَبٌ وأُمٌّ، ولايوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولايكون لهم شهوة ونفس، ولا يخطئون ولا ينسون، ولا يعصون الله تعالى، ويسبّحون الله تعالى ولايفترون، وهم جنود الله تعالى، ولايعلم عددَهم إلا اللهُ تعالى. فيفترض الإيمانُ بهم إجمالا، ويجب حفظ أسماء الملائكة العشرة تفصيلا.

س : ما أسماء الملائكة العشرة ؟

ج : جبرئيل أمين الوَحْى، ميكائيل وكيل الغيث والرزق، إسرافيل وكيل نفخ الصور ، عزرائيل وكيل قبض الأرواح، رقيب وعتيد وكيلان بكتابة أعمال العبيد،

منكر ونكير وكيلان بسؤال القبر، مَالِك خازن النار، رِضْوَان خازن الجنة عليهم الصلاة والسلام.

﴿ الباب الثالث في الإيمان بالكتب ﴾

س : كيف تؤمن بالكتب ؟

ج : أعتقد أن الكُتُب التى أنزلها الله تعالى على رُسُله كلّها حقّ، وما فيها من أمر ونهى و وعد و وعيد كلّها صدقٌ، وكلّها كلام الله تعالى المقدّس القديم الغير المخلوق. فيفترض الإيمان بجميعها إجمالا، ويجب حفظ أسماء الكتب الأربعة تفصيلا.

س : ما هى أسماء الكتب الأربعة ؟

ج : التوراة المنزلة على موسىٰ عليه السلام ، والإنجيل المنزل على عيسىٰ عليه السلام ، والزبور المنزل على داؤد عليه السلام ، والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ ، وهو أفضل الكتب .

﴿ فصل فى فضل القرآن ﴾

س : لم كان القرآنُ أفضلَ الكتب ؟

ج : لكونه ضامنا بخُلاصة الكتب السابقة ، وفارقا بين الحقّ والباطل، وناسخا لأحكام جميع الأديان ، وقد علا فى الفصاحة والبلاغة على كلام جميع الفصحاء والبلغاء فى العالَم، حتى بلغ حدّ الإعجاز الذى لا يعارضه أحدٌ، ويبقى محفوظا على وجه الأرض إلى يوم القيامة .

س : كم هى سُوَرُ القرآن و آياته ؟

ج : سوره مائة و أربع عشرة سُورَة ، وآياته ستّ آلاف ومائتان ونيّف، على ما هو الصحيح . وقد كانت نزلت مفرّقة فى مدّة ثلاث وعشرين سنة بحسب

الوقائع. فيجب علينا أن نصدّق بما فى كل سورة و كل آية من وعد و وعيد و عِظَة ومَثَل وقصّة، و أن نعمل بما فيها من عقيدة وعمل وخُلُق مأمور به أو منهىّ عنه .

﴿ الباب الرابع فى الإيمان بالرسل ﴾

س : كيف تؤمن بالرُّسُل ؟

ج : أعتقد أن الرسل عليهم السلام أرسلهم الله تعالى إلى الناس لهدايتهم إلى طريق الهُدَىٰ، و دعوتهم إلى سعادة الدارين وعزّتهما، وهم يبشّرون أهل الإيمان والطاعة بالجنة، و يُنذرون أهل الكفر والمعصية بالنار .

س : كيف سِيَرُ الأنبياء عليهم السلام ؟

ج : الأنبياء كلّهم فى كمال خَلْقا وجمال خُلُقا ، وهم صادقون أُمَناء مبلّغون عادلون فَطِنون حُلَماء .

س : ماذا يجوز للأنبياءَ عليهم السلام ؟

ج : يجوز لهم الأعراضُ البشريّة كالأكل والشرب والنوم والتزوّج و التنسّل والتجارة والحرفة والمرض والموت. لكن ليس لهم ما ينفر الناس عنه ، وينقص فى مراتبهم العليّة.

س : بم تعرف نُبُوّتَهم ؟

ج : أعرف نبوتهم بالمعجزات كانقلاب عصا موسىٰ عليه السلام ثُعبانا ، و إحياء الموتىٰ بدعاء عيسىٰ عليه السلام ، و إعجاز نبينا عليه السلام مع كونه أُمِّيًّا بالقرآن بُلَغاء العرب عن معارضته، و انشقاق القمر قطعتين بإشارته، وأمثالُ هٰذه المعجزات كثيرةٌ جدًّا.

س : هل يكون فى شرائع الرسل عليهم السلام اختلافٌ ؟

ج : لا اختلاف فى أصول شرائعهم، وهو التوحيد فى المعرفة والعبادة ، لكن

فى بعض الفروع اختلاف بحسب اختلاف الأزمنة، ثم خفّف عن هـذه الأمّة كثيرة من العبادات تفضّلا.

س : كم عدد الأنبياء عليهم السلام ؟

ج : لا يُعلم عددهم على اليقين، لكن أوّلهم آدم عليهم السلام، وهو أبو البشر، خلقه الله تعالى من طِين، فجميع الناس بَنُوه، و آخرهم نبيّنا محمّد ﷺ. و يجب حفظ أسماء الأنبياء المذكورين فى القرآن، وهم خمسة وعشرون.

س : ما هى أسماء الأنبياء الخمسة و العشرون ؟

ج : آدَم، إدْرِيس، نُوح، هُود، صالح، إبراهيم، لُوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يُوسف، أيّوب، شُعَيْب، موسىٰ، هارون، ذو الكفل، داؤد، سليمان، إلياس، اليَسَع، يُونُس، زكريّا، يحيىٰ، عيسىٰ، محمّد - عليهم الصلاة والسلام.

س : كم هى مراتب الأنبياء عليهم السلام؟

ج : مراتبهم ثلاث: أوّلها أُولُو العزم وهم خمسة: نوح، إبراهيم، موسىٰ، عيسىٰ، محمد عليهم السلام. وثانيها المرسلون وهو ثلاثمائة وثلاثة عشر. وثالثها النبيّون وهم سائرهم. ونبيّنا محمد ﷺ أفضلهم كلهم.

﴿ فصل فى فضل نبيّنا ﷺ ﴾

س : لم كان أفضلهم ؟

ج : لكونه خَاتَمُ النبيّين، سيّد المرسلين، رسول الثقلين، وسيلة الدارين، فاتح باب الشفاعة يوم القيامة، صاحب حوض الكوثر فى الآخرة، مَن شرب منه لايظمأ أبدًا. وفى العرصات يكون الأنبياء والعلماء الصالحون والأمة التابعون تحت

لواء الحمد له فى ظلّ العرش، هو حبيب الله تعالى، ولذا كانت أُمّته خير الأُمَم، رحمة الله عليهم أجمعين.

س : كيف كان تاريخ المصطفى ﷺ ؟

ج : وُلد ﷺ فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول عام الفيل بمكّة المكرّمة، وكان بينه وبين ميلاد عيسىٰ عليه السلام ٥٧١ سنة، وكان أبوه عبد الله تُوُفّىَ قبل ولادته، وأُمّه آمنة توفّيت وهو فى السادسة من عُمُره، ونشأ على أدب وصدق وأمانة، ولذا لُقّب بالأمين . وكان يرعى الغنم وهو طفل فأوثره ذلك رحمةً فى قلبه، وسافر للتجارة إلى الشام مع عمّه فى الثالثة عشر من عمره، فحصلت له سعة النظر وتجربة الأمر، وتزوّج وعمره خمسة وعشرون سنة بخديجة رضى الله عنها وهى أربعون سنة، وجدّد بناء الكعبة مع قُرَيْش وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره . فلما بلغ أربعين سنة بعثه الله تعالى، ثم عُرج به فى السنة الثانية عشر من البعثة ، وهاجر إلى المدينة المنوّرة فى الثالثة عشر منها، وانتقل وعمره ثلاث وستون سنة إلى العالم الباقى . فمُدّة التبليغ ثلاث وعشرون سنة.

س : كيف كان معراج المصطفىٰ ﷺ ؟

ج : هو أنه نزل جبرئيل عليه السلام ليلا من السماء لدعوة المصطفىٰ ﷺ ، فركب على البُراق وسار به حتى أتى بيت المقدس، ثم عرج به حتى جاوز السماوات السبع، ورأى عجائب الملكوت وغرائبه، وأوحى الله تعالى إليه، وفرض عليه خمسين صلاة، فسأله التخفيف فحطّ عنه إلى أن بقى خمس صلوات، فتلك خمسون صلاة ثوابا. فنزل فى تلك الليلة وبلّغه إلى الأمّة فصدّقه أبوبكر فى الحال، ولذا لقّب بالصِدّيق .

س : لم هاجر المصطفىٰ ﷺ إلى المدينة المنوّرة – شرّفها الله تعالى ؟

ج : ذلك لأنه اشتدّ أذى المشركين فى مكّة المكرّمة عليه فى وقت التبليغ حتى قصدوه بالقتل والتفّوا حول بيته ليلا، لكن بعصمة الله تعالى سار مع أبى بكر إلى غار ثور واختفيا فيه ثلاث ليال فهاجرا إلى المدينة فاستقبلهما أهلها. ولذا انتشر الإسلام هنالك. ثم ازداد غيظ المشركين ، فلما تعجّلوا ببغيهم فى إبطال الإسلام و إيذاء المسلمين جاء أمر الله تعالى بقتالهم، فقاتلهم المصطفى ﷺ و أصحابه بامتثال أمره تعالى، فغلبوا عليهم إلى أن فتحوا مكة، ونفذ الإسلام فى نواحى العرب، ثم بعد وفاة المصطفى ﷺ خلفه الصحابة الأربعة العظام ﷺ فى التبليغ مدّة ثلاثين سنة، حتى طلع نور الإسلام على جميع العالم .

س : ما هى أسماء الخلفاء الأربعة ؟

ج : أوّلهم أبو بكر الصِدّيق وهو أفضل الأمّة، ثم عُمَر الفاروق، وهما صهرا المصطفى ﷺ ، ثم عثمان ذو النورين، ثم علىّ المرتضىٰ ، وهما ختناه - رضوان الله عليهم .

﴿ الباب الخامس فى الإيمان باليوم الآخر ﴾

س : كيف تؤمن باليوم الآخر ؟

ج : أعتقد أن تفنى الدنيا قطعا، وتقوم الآخرة لا محالة، وأن البعث بعد الموت حقّ، والجزاء بعد الحشر صدق، وأن القبر أوّل منازل الآخرة، ويسأل فيه منكر ونكير عليهما السلام عن الاعتقاد، فيقدر أهل الإيمان والحق على الجواب الموافق، ويوسّع له القبر ويصير روضة من رياض الجنة. ولا يقدر أهل الكفر والنفاق عليه، ويصير فى حقّه حُفْرَة من حُفَر النار.

س : متى تفنى الدنيا وتقوم الآخرة ؟

ج : لم يعيّن فى الكتاب وقت قيامها كوقت الموت، فلنستعدّ لها أبدا دائما. لكن ذكر فى الكتاب أشراط الساعة الكبرى و الصغرى .

﴿ فصل فى أشراط الساعة ﴾

س : ما هى أشراط الساعة الصغرى ؟

ج : أشراطها الصغرى كثيرة جدّا، كرفع العلم بقبض العلماء، وفشو الكبائر والفواحش من ذهاب الدين، وكثرة الملاهى، واتخاذ القرآن مكسبة، وبغيان الأبناء على الآباء، وانعكاس كل أمر، وتشبّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وقلّة الرجال وكثرة النساء، وكثرة المساجد وقلّة الجماعة، وعزّة النصيحة وعدم الاتّعاظ، وإعظام الدنيا وإهانة الدين، وتشرّف الفاسق وضعف المؤمن، وقسوة القلب وجرائته، وعدم استماع الحق، وعدم حفظ العيال، وهتك الحرمة، وملیان الظلم، والهرج والمرج، وعموم المِحَن والفِتَن، وغيرها من أمارات الفساد كلها هى أشراطها الصغرى. وآخرها ظهور الإمام المهدى، وهو من ذريّة المصطفى ﷺ ، ويجدّد الإسلام، ويملأ الأرض بالقسط ويملك سبع سنين، وهو مجتهد مطلق ﷺ .

س : ما هى أشراطها الكبرى ؟

ج : هى أن تطلع الشمس من مغربها، ويغلق باب التوبة، ويخرج الدجّال فيُفسد الدينَ ويدّعى الألوهيّة، وتظهر على يديه الأفعال العجيبة فيقاتله المهدى، ثم ينزل عيسىٰ عليه السلام من السماء فيقتله، وتخرج دابّة الأرض، وكانت صورته عجيبة وقامتها طويلة، وتميّز بين المؤمن والكافر بالعلامة، ويخرج يأجوج و مأجوج، وهم كُفّار من بنى آدم، وبأسهم على الأمّة شديد جدّا، ويخاصمون عيسىٰ عليه السلام فيدعو الله تعالى فيهلكهم، ويكون خليفة لنبينا المصطفى ﷺ فى إجراء شريعته فى هذه

الأمّة مع كونه معدودا من زُمْرَتهم، ويُدفن بعد ما يتوفّىٰ في روضة المصطفى ﷺ وعلى سائر الأنبياء، ثم يقبض المؤمنون ويبقى شرار الناس، فعليهم وهم غافلون تقوم الساعة. آمنّا و صدّقنا.

﴿ فصل في أحوال الساعة ﴾

س : كيف قيام الساعة ؟

ج : إذا أراد الله تعالى أن يُفني الدنيا يأمر إسرافيل عليه السلام بنفخ الصور، وله نفختان، فإذا نفخ نفخة أولىٰ صعق كل الخلائق فيموتون حتى ملك الموت، فيومئذ تمور السماء وترجف الأرض وتكوّر الشمس والقمر و تنتشر الكواكب وتنفجر البحار ويفنى الخلائق كلهم إلا ما شاء الله تعالى، ثم إذا مضى أربعون سنة يُحيي الله تعالى الخلائق.

س : كيف يكون إحياؤهم وحشرهم ؟

ج : إذا أراد الله تعالى أن يحشر الخلائق أحيىٰ إسرافيل أوّلا، فإذا نفخ نفخة ثانية فيومئذ ينشقّ القبر عنهم، فإذا هم قيام ينظرون. وأوّل من يقوم نبيُّنا المصطفىٰ ﷺ، فيستقبله جبرائيل مع بعض الملائكة ومعهم حلّة وبُراق، فلا يلتفت إليهما وإنما يقول: أُمَّتي أُمَّتي أي أين أمّتي أين أمّتي؟ لعل دخلوا النار! فيقولون له: ما قاموا من قبورهم بعد .

س : كيف يكون أمر يوم القيامة ؟

ج : إن يوم القيامة يوم عظيم شديد، وهو يوم العدل يوم الفصل يوم القصاص، يوم اشتد فيه غضب الله تعالى، فيومئذ بُرّزت الجحيم، وأحضرت السلاسل والأغلال، وصفّت الملائكة، وحشر الخلائق إلى العرصات.

س : كيف يكون أحوال الناس حين حشروا في العرصات ؟

ج : إذا حشروا إلى هنالك دهشوا، وينادي الأنبياء والصدّيقون: نفسي نفسي، إلا المصطفى ﷺ يقول: أمّتي أمّتي ! ويحشر السعداء غُرّا محجلين، والأشقياء سُودا زُرْقا متصورين بصُوَر قبيحة .

س : كيف تكون المحاسبة في العرصات ؟

ج : أن تنشر في العرصات صُحُف الأعمال ويقرأ ما فيها من حسنة و سيئة، وينصب الموازين فينظر أ يخفّ أو يثقل. ويحاسب عن كل صغير وكبير، ويقتصّ في كل حق قليل وكثير، وتؤتى صحيفة السعيد بيمينه فينجو و يفوز، وتؤتى صحيفة الشقيّ بشماله من وراء ظهره فيزجر ويفضح، ويكسى تاج النور لإمام الهدى وقومه، وتلبس قلنسوة النار رئيس الضلال وقومه، ثم يجاوزوا الصراط.

س : ما هو الصراط ؟

ج : قال النبيّ ﷺ : إن الله خلق للناس جسرا وهو الصراط وهو سبع قناطير، أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف و أظلم من الليل، كل قنطرة منها مسيرة ثلاث آلاف سنة، ألف صعود وألف هبوط وألف استواء ، فيحاسب العبد في أوّلها عن الإيمان، وفي الثاني عن الصلاة ، وفي الثالث عن الزكوة، وفي الرابع عن شهر رمضان، وفي الخامس عن الحجّ ، وفي السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة، وفي السابع عن الوالدين وصلة الرحم. فإن أجاب في جميع ذلك بتمامها يمرّ عليها كالبرق الخاطف وإلا يُردّ بالنيران . نعوذ بالله من الخذلان . (الحديث)

﴿ فصل في الجنة والنار ﴾

س : كيف تؤمن بالجنة والنار ؟

ج : أعتقد أن الجنة والنار حق، وهما مخلوقتان الآن وباقيتان أبدا . ويخلد أهل

الإيمان فى الجنة ، ويخلد أهل الكفر فى النار .

س : كيف نعيم الجنة ؟

ج : إن فى الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين به من نعيم وسرور، لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل .

س : كيف عذاب النار ؟

ج : إن شدّة عذاب النار لا يمكن وصفها بقول، وخَزَنَتُها غِلاظ شِداد، لا شفقة لهم أصلا. اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل. وبهكذا ورد الحديث فى الدعاء .

﴿ الباب السادس فى الإيمان بالقضاء والقدر ﴾

س : كيف تؤمن بالقضاء والقدر ؟

ج : أعتقد أن جميع الكائنات كائنة بقضاء الله تعالى و تقديره. وأفعال العباد كلها واقعة بإرادة الله تعالى و تخليقه . ثم القضاء نوعان: مُبْرَم ومُعَلَّق، كدفع البلاء وزيارة العمر بالصدقة والدعاء، فنشكر الله تعالى على نِعَمه فيزيدنا نعمة، ونصبر على بلاياه ونرضىٰ بها وندعوه فيجعل العسر يُسرا .

س : إذا كان الله تعالى هو خالق جميع أفعال العباد فكيف يستحقون الثواب والعقاب على أفعالهم ؟

ج : اعلم أن أفعال العباد نوعان: اختياريّة، كحركة الهبوط: واضطراريّة، كحركة السقوط . ففى الاختياريّة كان من يقصد الحسنة يحبّه الله تعالى ويثيبه عليها. ومن يختار السيئة يغضبه الله تعالى ويعذّبه . فالثواب والعقاب مَنُوطان

بتسبيب العباد واكتسابهم الاختياريّ . فالتسبيب لا يناقض القدر، والاكتساب لا يخالف التوكّل، فإن الدنيا دار السبب والكسب. فنجتهد فى كل خير فنفوز بسعادة الدارين.

﴿ خاتمة ﴾

(فى بيان ما يحبط الإيمان من الكفر– العياذ بالله تعالى منه)

س : ما هو الكفر ؟

ج : هو إنكار لما يجب الإيمان به، واستخفاف بما يجب تعظيمه فى الشرع، وهو إما اعتقاديّ أو قوليّ أو فعليّ.

س : ما هو الكفر الاعتقاديّ ؟

ج : هو جحود الله أو إشراك به أو إنكار صفاته أو أسمائه، أو إطلاق الأسماء المختصة به تعالى، كالقدّوس والقيّوم والرحمٰن على المخلوق، أو وصفه تعالى بكونه جسما أو شكلا، أو إطلاق زمان أو مكان عليه تعالى، أو استخفاف بشىء من أوامره أو نواهيه أو أحكامه أو بوعده أو وعيده، أو إنكار الآخرة أو البعث أو الحساب أو الجزاء أو إنكار الملائكة أو الأنبياء أو إهانتهم، أو إنكار الحديث أو السنّة إلا أن يكون إنكاره وردّه للشكّ فى الراوى، أو لمعارضة الدليل الآخر فلابأس به، إذ الإنكار والردّ لا يرجع إلى الحديث بل إلى الراوى. وإنما كان اختلاف الأئمّة من هذا الوجه مع اختلاف درايتهم، فنسلّمهم ونعظّمهم، فإن إهانة علماء الشرع والاستخفاف بعلم الفقه كفر .

س : ما هو الكفر القوليّ ؟

ج : هو كقراءة الآية بوجه الممازحة، أو التذكير والعِظَة على سبيل المضاحكة، أو التسمية عند المعصية أو أكل الحرام، أو قراءة القرآن والذكر على الهزل

بالتصفيق وضرب الدفّ، أو قوله: "شبعتُ من قراءة القرآن" لمن قال هَلاّ قرأتَ القرآن ؟، وقوله لمن قال اذهب إلى مجلس العلم: "ما لى والعلم؟ ومن يقدر على الإتيان بما يقول العلماء ؟" أو شتم فم مسلم وشتم حيوان من المأكولات كالبقر والغنم . وقوله لرجل حلف بسم الله تعالى: "حلفك وضرط الحمار سواء". وقوله: "هنا لايمشى الحكم" على وجه الردّ. وقوله: "الشريعة تلبيس أوحيلة". وقوله لعابد: "مهلا حتى لاتجاوز الجنة". وقوله: "الولىّ خير من النبىّ". وقوله: "الملائكة والأنبياء يعلمون الغيب". وقوله: "أرواح المشائخ حاضرة تعلم". وقوله لأمير يقتل بغير حق كما قتل سارقا: "أحسنتَ". وقوله للمجوس: "يا أستاذ" تبجيلا. وقوله لمن قال كُلْ من حلال: "الحرام أحبّ إلىّ ". وقوله لرجل: "أعطنى ألف درهم حتى أبعث ملك الموت ليرفع روح فلان". وقوله لرجل: "أعطنى شعيرا اليوم أعطيك بُرّا يوم القيامة". وقوله لرجل: "لو أعطانى الله تعالى الجنة دونك لا أريدها، أو أمرنى أن أدخل الجنة مع فلان لأدخلها". وأمثال هذه الكلمات الكفرية كثيرة من العوام، فيجب الاحتياط فى القول.

س : ما هو الكفر الفعلىّ؟

ج : هو كقصد التشبّه بالكَفَرَة لباسا وهيئة، أو تعظيم عيد الكَفَرَة أو سدّتهم ولو بإهداء بِيضة إليهم لتعظيم ذلك العيد أو بشراء شىء للتبرّك بذلك اليوم. وتصدّقه إلى فقير بشىء من الحرام يرجو به الثواب. وجلوسه على مكان مرتفع والناس حوله يسألون منه مسائل بطريق الاستهزاء ويضربونه بالوسائد. وتشبّه بالمعلّم على وجه السخريّة وقد أخذ الخشبة وضرب الصبيان.

فلنحذر من جميع أصناف الكفر أبدا، ونتعوّذ بهذا الدعاء صباحا ومساء: اللهم إنى أعوذ بك من أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم به وأستغفرك لما لاأعلم به، إنك أنت علّام الغيوب.

س : ما هو مُوجَب الكفر؟

ج : إنّ ما هو كفر بالاتّفاق يوجب إحباط العمل كما فى المرتدّ، فتلزم عليه إعادة الحج إن كان غنيّا، ويكون وطؤه مع زوجته زِنا، والولد الحاصل منه ولد الزنا، ثم إذا أتى بكلمة الشهادة على وجه العادة لم ينفع ما لم يرجع عما قاله. وما كان فى كونه كفرا اختلاف يُؤمر قائله بالتوبة وتجديد النكاح، لكن لايُفتى بتكفير مسلم مهما أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان فى كونه كفرا خلاف ولو رواية ضعيفة .

ثم اعلم أن الإيمان النافع فى الآخرة هو ما لايزول قلبك عن ذلك التصديق ولايتردّد فيه بتشكيك الإنسان وتسويل الشيطان. فلابدّ له من أن تُحقِّق دقائقَ علم التوحيد ، وتستيقن بها بالأدلة العقليّة والنقليّة، وتحافظ على شروط الإيمان وخصائله إلى أن تموت على ذلك .

تذنيب

﴿ فى شروط الإيمان ﴾

س : ما هى شروط الإيمان ؟ وكم هى ؟

ج : شروطه اثنا عشر: فالأول الإيمان بالغيب، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ .. والثانى تخصيص علم الغيب بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَايَعْلَمُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾. والثالث تعظيم الله تعالى وضدّه تحقيره، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ .. والرابع رجاء من رحمة الله تعالى وضدّه يأس، قال الله تعالى: ﴿ لَا يَايْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ . والخامس خوف من عذاب الله تعالى وضده أمن، قال تعالى: ﴿لَايَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ . والسادس حبّ الله تعالى وضدّه بغضه، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ . والسابع اطمئنان بذكر الله تعالى وضدّه اضطراب، قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾. والثامن شوق الله تعالى وضدّه غناء، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾. والتاسع توكل على الله تعالى وضدّه اعتماد على غيره، قال تعالى:﴿ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. والعاشر انقياد الشارع وضدّه ردّ الحكم من أحكامه، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. والحادى عشر حبّ الأشياء لله تعالى وضدّه بغض ما يحبّه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. والثانى عشر اعتقاد الحرام حراما واستحلال الحلال وضده عكس ذلك، قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ .

322

س : ما هى أحكام الإيمان ؟

ج : هى ستّة: أحدها أن من أقرّ بكونه مؤمنا لايجوز علينا قتلُه وأذاؤه بغير حق. والثانى أن أخذ ماله وغضب عقاره حرام، وكذا دم الكافر المصالح معنا وماله. والثالث أن بيع الحرّ والحرّة من المؤمنين وتعبيدهما حرام علينا. الرابع ضرب المؤمن وتعذيبه بغير مُوجَب الشرع وتحقيره لايجوز. الخامس أن قفذ المحصنة والمحصن وإبطال أعراضهم وسبّهم وغيبتهم وحسدهم والنميمة بينهم حرام. والسادس أن كل مؤمن مات على الإيمان يخلد فى الجنة ، فإن أدخل فى النار بذنوب غير مغفورة فلن يخلد فيها، بل يدخل الجنة فى العاقبة. وأما من مات على الكفر فهو خالد فى النار، نعوذ بالله من النار.

فنسأل الله تعالى دوام العصمة ولزوم الاستقامة وحسن الخاتمة، اللهم ثَبِّتْنا على الإيمان وأَمِتْنا على الإيمان واحشرنا يوم القيامة مع الإيمان ولَقِّنّا كلمة الإيمان واختم لنا بخاتمة الإيمان والإسلام.

آمين يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين



323

تحاور الكلام
في
مسائل الصلاة والصيام

تأليف

الشيخ التقى عبد الرحمن بن معصوم الدنكوى

المتوفى ١٩٥٩ ميلادية

نفعنا الله تعالى بمؤلفاته وجزاه عنا خير الجزاء

أعيد طبع هذه الرسالة

لطلبة المدرسة الإسلامية بمسجد بوزى

لينشيا — قانسو

١٩٩٩ م

324

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

قد أوردتُ فى هذه الرسالة رُكْنَى الإسلام بعد الشهادة أعنى الصلاة والصوم. وإنما بدأتُ بالصلوة لأنها علامة الإيمان وعماد الدين، كما قال النبىّ ﷺ :لكلّ شىء عَلَمٌ وعَلَمُ الإيمان الصلوة. وقال ﷺ : الصلوة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين.

س : ما هى الصلوة ؟

ج : الصلوة هى عبادة مخصوصة مع شروطها.

س : ما هى شروط الصلوة ؟ وكم هى ؟

ج : شروطه ستة: الأول تطهير البدن بالماء عن الحدث والخبث.

س : بأىّ ماء يُطهّر ؟

ج : ينقسم الماء خمسة أقسام: أولها طاهر مُطهِّر لا كراهة فيه، وهو الماء المطلق سواء نزل من السماء أو نبع من الأرض. وثانيها طاهر مطهّر مكروه استعماله، وهو الماء الراكد فى الحوض الصغير وقد شربت منه الهرّة والدجاجة ونحوهما. وثالثها طاهر مطهّر للنجس دون الحدث وهو الماء المستعمل فى الوضوء أو الغسل، وماء الشاى والخلّ ، وماء الورد والشجر والبِطّيخ والثمر ونحوها. ورابعها ماء مشكوك فى طهوريّته لا فى طهارته، فيتيمّم مع التوضّئ به، وهو الراكد فى الحوض الصغير وقد شرب منه حمار أو بَغل أمّه حمارة. و خامسها ماء نجس لايطهّر به شىء متنجّس، ولايستعمل للشرب ونحوه، وهو الماء الراكد فى الحوض الصغير الذى وقعت فيه نجاسة، والماء الذى ظهر فيه أثر النجاسة.

﴿ فصل في الوضوء ﴾

س : ما هي فروض الوضوء ؟ وكم هي ؟

ج : أربعة : غسل الوجه، وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح ربع الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين.

س : ما هي سُنَن الوضوء ؟

ج : التسمية، وغسل اليدين إلى الرسغين، والنيّة، والمضمضة، والاستنشاق، والمبالغة فيهما لغير صائم، والاستياك، والترتيب، وتخليل الأصابع واللحية، وتثليث الغسل، ومسح كل الرأس، ومسح الأذنين، والدلك، والموالاة.

س : ما هي مستحبّات الوضوء ؟

ج : التيامن، ومسح الرقبة، والبدائة في مسح الرأس من مقدمه، وفي اليدين والرجلين من رؤوس الأصابع.

س : ما هي مكروهات الوضوء ؟

ج : الإسراف في صبّ الماء، والتقتير فيه، وضرب الوجه بالماء، والتكلم بكلام الدنيا.

س : ما هي نواقض الوضوء ؟

ج : ما خرج من السبيلين، وما سال من سائر الجسد من دم وقيح، والقيء ملأ الفم، والدم الخارج من الفم إذا ساوى البُزاق، والإغماء والجنون، والسكر، والنوم بحيث لا تتمكن المقعدة على الأرض، وقهقهة البالغ في الصلوة، وتماسّ الفرجين مجرّدين .

﴿ فصل في الغسل ﴾

س : بأيّ شيء يفترض الغسل ؟

ج : يفترض بواحد من سبعة أشياء: بخروج المنى بشهوة، وتوارى حشفة فى أحد سبيلَى آدم حيٍّ ، وإنزال المنى بوطء ميتة أو بهيمة. ووجود ماء رقيق بعد الانتباه عن النوم إذا لم يكن ذكره منتشرا قبل النوم. ووجود بَلَل ظنّه مَنِيّا بعد إفاقته من سكر أو إغماء. وانقطاع حيض ونفاس .

س : ما هى فروض الغسل ؟

ج : ثلاثة : المضمضة ، والاستنشاق ، وغسل سائر البدن .

س : ما هى سُنَن الغسل ؟

ج : التسمية، والنية، وغسل اليدين إلى الرُّسغين، وغسل فرجه، وغسل النجاسة لو كانت على بدنه بانفراده، ثم يتوضأ لكن يؤخّر غسل رِجلَيه، ثم يفيض الماء على بدنه مبتدئا برأسه، ثم يغسل منكبه الأيمن ثم الأيسر، ويثلّث غسل كل بدنه مع الدلك .

﴿ فصل فى التيمّم ﴾

س : كيف يتوضأ ويغسل عند عدم الماء ؟

ج : يتيمّم إذا وجدت الأعذار .

س : ما هى الأعذار ؟

ج : بُعده من الماء ميلا ، وخوف حدوث مرض أو زيادته، أو حصول برد يخاف منه التلف، أو خوف عدوّ أو عطش، وعدم آلة ، وخوف فوت صلاة جنازة أو عِيد .

س : ما شروط التيمّم وما فروضه ؟

ج : النية عند ضرب يَده على ما يتيمّم به، وتحقُّق العُذر المبِيح التيمّم، وضربتان بطاهر من جنس الأرض كالتراب والحجر والرمل، ضربة لمسح الوجه،

وضربة لليدين إلى المرفقين. ولا فرق فى التيمم بين الحدثين والطهارة. وكانت الطهارة بالماء والطهارة بالتراب فى صحة الصلوة متساويتين .

س : ما هى سنن التيمم ؟

ج : التسمية، والترتيب، والموالاة، وإقبال اليدين بعد وضعهما على التراب وإدبارهما، وتفضهما، وتفريج الأصابع.

س : ما هى نواقض التيمم ؟

ج : ناقضه ما ينقض الوضوء، والقدرة على استعمال الماء.

﴿ فصل فى تطهير المتنجس ﴾

س : كيف يطهر المتنجّس ؟

ج : يطهر عن نجس مرئىّ كالدم بزوال عينه بلا عدد، ولا يضرّ بقاء أثر يشقّ زواله، وعن غير مرئىّ كالبول بغسل وعصر ثلاثا .

س : كيف حكم الاستنجاء ؟

ج : أحكامه ثلاثة : سنّة و واجب و فرض . فإن كان الخارج لم يتجاوز المخرج فهى سنّة، وإن تجاوز وكان قدر الدرهم فهو واجب، وإن زاد على قدر الدرهم فهو فرض. وكذا حكم تطهير البدن والثوب . ويسنّ بحجارة ثم ماء. ويجوز الاقتصار على أحدهما. ويحرم للاستنجاء إبداءُ عورته للناس . ويجب الاستبراء عند الوضوء حتى يستيقن زوال أثر البول، وإلا فلايصحّ الوضوء .

س : كيف يتوضأ إذا لم ينقطع البول والريح والقيح ؟

ج : إذا تحقق العذر فيتوضأ لكل فرض ويصلّى فيه ما يشاء . وينقض الوضوء بخروج الوقت .

س : كيف يتحقق العذر ؟

ج : إذا استوعب السيلانُ وقت صلاة بأن لم يوجد زمانٌ خَال عنه يَسَع الوضوء والصلاة، فحينئذ تحقق العذر فلا يضرّه ذلك الحدث ، لكن يجب منع السيلان بقدر قدرته ولو بصلاته مومياً . ثم في بقاء العذر يكفي وجوده في كل وقت مرة، وفي زواله يشترط استيعاب الانقطاع . وما سال على ثوبه ولم يكن غسله مفيداً يجوز تركه وإلا فلا.

﴿ فصل في مواقيت الصلاة ﴾

س : كم الصلوات المفروضة ؟ وفي أيّ وقت تُقام ؟

ج : هي خمس صلوات: الأولى الفجر ، وقتها من الصبح المعترض إلى طلوع الشمس. والثانية الظهر، وقته من الزوال إلى بلوغ الظلّ مِثْلَيْه سوىٰ فَيْء الزوال. والثالثة العصر، وقته من خروج وقت الظهر إلى مغيب الشمس. والرابعة المغرب، وقته من غيبتها إلى مغيب الشفق. والخامسة العشاء، وقته منه إلى الفجر. وكذا وقت الوتر .

وهذه الصلوات الخمس في مواقيتها فرض عين على مسلم ومسلمة، وإنكارها واستخفافها كفر، وتركها من أكبر الكبراء . وتؤمر بها الأولاد لسبع، وتضرب عليها لعشر .

س : ما هي شروط الصلاة الباقية ؟

ج : طهارة الثوب، وطهارة المكان، واستقبال القبلة، وستر العورة، والنيّة .

س : ما هي العورة التي يجب سترها ؟

ج : العورة للرجل من تحت سُرَّته إلى ما تحت رُكْبَتَيْه. والعورة للمرأة كل بدنها خلا الوجه والكفّ، فلا يجوز لهن كشف الشعر وإظهار الرُّسْغ .

س : كيف النية ؟

ج : النية هو إحضار القلب للعبادة عند الشروع فى الصلاة . ويجب التعيين لفرض أداء وقضاء. وينوى المقتدى المتابعة، وينوى من يؤمّ النساء الإمامة .

﴿ فصل في صفة الصلاة ﴾

س : ما هى فروض الصلوة ؟

ج : التحريمة، والقيام، والقراءة، والركوع، والسجود، والقعود الأخير، والخروج بصنعه .

س : ما هى واجبات الصلاة ؟

ج : قراءةُ الفاتحة للإمام والمنفرد، وضمُّ سورة، وتعيينُ القراءة فى الأُولَيَيْن من الفرض، ورعايةُ الترتيب، والجلوسُ قدر التشهّد فى القعدة الأُولى، وقراءةُ التشهدين، ولفظُ السلام، وقراءةُ قنوت الوتر، والتعديلُ فى الركوع والسجود، وتكبيراتُ العيدين . وايضا تجب تكبيرة الركوع الثانى فيهما، والجهرُ والإخفاءُ فيما يجهر ويخفى فى حقّ الإمام. فإن ترك واجبا عمدا وجبت عليه إعادة الصلاة فى وقتها، وإن تركه سهوا وجب عليه سجود السهو .

س : ما سجود السهو ؟

ج : هو سجدتان وتشهّد وصلاة على النبىّ ﷺ ودعاء وسلام، بعد التسليمة الأولى عقيب تشهد القعدة الأخيرة.

س : ما هى سنن الصلاة ؟

ج : رفعُ الرجل يديه عند تكبير الإحرام حذاء أُذُنَيْه، والمرأة ترفع يديها حذاء منكبيها، ووضعُ الرجل يمينَه على رُسغ يساره تحت سرّته، ووضعُ المرأة يديها على

صدرها، وقراءةُ الثناء، والتعوذُ، والبسملةُ أوّل كلّ ركعة، والتأمينُ سرًّا عقيب الفاتحة، والتكبيرُ عند الركوع، وأخذُ ركبتيه بيديه، ونصبُ ساقيه، وتسويةُ ظهره بعجزه، والتسبيحُ فيه ثلاثا، ثم التسميعُ رافعا رأسه، ويكتفى به الإمام وبالتحمد المؤتمّ، والمنفرد يجمع بينهما، والتكبيرُ عند الخرور للسجود، ووضعُ وجهه بين كفّيه، ومجافاةُ الرجل بطنه عن فخذيه، ومرفقيه عن جنبيه وذراعيه عن الأرض، وإلصاقُ المرأة بطنها بفخذيها، وتوجيهُ أصابع الرجلين نحوَ القبلة، والتسبيحُ فيه ثلاثا، والتكبيرُ مع رفع الرأس، وافتراشُ الرجل رجله اليسرى، ونصبُ رجله اليمنى، وتوركُ المرأة وإخراجُ رجليها من الجانب الأيمن، ووضعُ اليدين على الفخذين، والإشارةُ بالسبّابة عند التشهد، والصلاةُ على النبيّ ﷺ بعد تشهد القعدة الأخيرة، والدعاءُ، والتسليمُ عن يمينه و عن يساره .

س : ما هى مكروهات الصلاة ؟

ج : الالتفاتُ بعنقه يمينا و شمالا، وصرفُ وجهه عن القبلة، وقلبُ الحصا من محلّ سجوده أكثر من مرة، والصلاةُ إلى وجه إنسان، وصلاتُه بين يديه أو بحذائه أو فوق رأسه تمثال، ومتوجها إلى قبر، وقريبا من نجاسة، وحاسرا رأسه للتكاسل أو للتهاون، وسدلُ الثوب وكفّه، وعبثُه به وبجسده، وفرقعةُ أصابعه، وتثاوبُه، وتمطّيه، وإقعاؤه، وتغميضُ عينيه، وتربّعُه بغير عذر، وافتراشُ ذراعيه، والسجودُ على كور عمامته، ومسابقةُ الإمام فى الركوع والسجود، وردُّ السلام بيده، و فى ثياب البذلة، وعدُّ الآى والتسابيح باليد، وبحضور طعام تميل النفس إليه، وبمدافعة أحد الأخبثين، وكذا سائر ما يشغل البال، وتغطيةَ أنفه وفمه، والقيامُ خلف صفّ فيه فرجة، وقيامُ الإمام فى المحراب، وانفرادُ على دكان وعكسه، وبين يديه نار، ومسحُ تراب الجبهة فى الصلاة .

س : ما هى مفسدات الصلاة ؟

ج : التكلم، والدعاء بما يشبه كلام الناس، والسلام بنيّة التحية، وردّه بلسانه، والأكل، والشرب، والعمل الكثير، وتحويل الصدر من القبلة، والتنحنح بلا عذر، والتأوّه، والتأفيف، وتشميت عاطس، والبكاء بصوت من وجع أو مصيبة، وعدم إعادة ركن أدّاه نائما، ومسابقة الإمام بركن لم يشاركه فيه إمامه، ومحاذاة المرأة الرجل فى صلاة مشتركة، ورفع القدمين فى السجود، وفتحه على غير إمامه، و قراءته عن المصحف، والقراءة بإلحان إن غيّر المعنى .

﴿ فصل فى عدد الصلوات ﴾

س : كم عدد ركعات الصلوات المفروضة ؟

ج : سبعة عشر ركعة : ركعتان للفجر، وأربع ركعات للظهر، وأربع للعصر، وثلاث للمغرب، وأربع للعشاء، وركعتان للجمعة بدل الظهر .

س : كم عدد الصلوات الواجبات ؟

ج : سبع ركعات :ثلاث للوتر، وركعتان للعيدين .

س : كم هى الصلوات المسنونة ؟

ج : ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعده وبعد المغرب والعشاء، وأربع قبل الجمعة وبعدها، وعشرون ركعة للتراويح، وركعتان للكسوف، وركعتان للخسوف .

س : كم هى الصلوات المندوبة ؟

ج : أربع بعد الظهر وقبل العصر وقبل العشاء وبعده، وستّ الأوّابين بعد المغرب، وثماني التهجّد، وثماني الضُحىٰ، وأربع الحاجة، وركعتى الاستخارة،

وأربع التسابيح بثلاثمائة تسبيحة، وركعتى الشكر بعد الوضوء، وركعتى تحية المسجد، وركعتى السفر والقدوم منه .

﴿ فصل فى صلاة المسافر ﴾

س : هل يتغير حكم الصلاة بالسفر ؟

ج : يقصر من سافر قاصدا مسيرة ثلاثة أيام الفرضَ الرباعىَّ ركعتين منذ فارق عمارة موضع إقامته . ويأتى بالسنن فى حال أمن وقرار، وإلا فلا . ثم إن نوى إقامة نصف شهر بموضع فيتمّ . و إن نوى فى أقل منه فيقصر . ولا يضرّ طول المكث بلا نية ، حتى يدخل موضع إقامته .

﴿ فصل فى صلاة المريض ﴾

س : كيف يصلى المريض ؟

ج : يصلّى بقدر قدرته . فإن تعذّر عليه القيام صلّى قاعدا بركوع وسجود، لكن إن قدر على بعض القيام متّكئا على حائط أو عصا ولو قدر آية أو تكبيرة قام. ثم إن عجز قعد كيف شاء . وإن تعذر الركوع والسجود أومأ قاعدا، ويجعل سجوده أخفض من ركوعه، لكن إن خفض برأسه حتى بينه وبين الأرض قدر شبر يلزمه وضعُ شىء بقدره على الأرض للسجود عليه، وإلا فلايلزمه ذلك بل تعيّن الإيماء . ولايرفع إلى وجهه شيئا ليسجد عليه . وإن تعذر القعود ولو مستندا إلى وسادة أو إنسان أومأ مستلقيا ورجلاه نحو القبلة ناصبا ركبتيه ورافعا رأسه يسيرا، أو على جنبه و وجهه إليها . وإن تعذر الإيماء برأسه أخّرت الصلاة، وإن قدر وهو

لم يزد على يوم وليلة قضى وإلا فلا ... وكذا إذا أغمي عليه أكثر من خمس صلوات لايقضي .

﴿ فصل في الصلاة على الميّت ﴾

س : كيف الصلاة على الميت ؟

ج : أن ينوى الصلاةَ لله تعالى والدعاءَ على الميّت . ولها شروط وأركان وسنن . وهي على الأحياء فرض كفاية .

س : ما شروط الجنازة ؟

ج : إسلام الميت، وطهارته، وستر عورته، وكونه للقبلة، وإحضاره، ووضعه أمام المصلّي .

س : ما ركن الجنازة ؟

ج : القيام للقادر، والتكبيرات الأربع بما فيها تكبيرة الإحرام .

س : ما سنن الجنازة ؟

ج : الثناء بعد تكبير الإحرام، والصلاة على النبيّ ﷺ بعد التكبيرة الثانية، والدعاء بعد الثالثة، والتسليم بعد الرابعة .

س : ما الدعاء ؟

ج : الدعاء للصبيّ : اللهمّ اجعله لنا فَرَطا واجعله ذُخْرا وشافعا مشفَّعا . والدعاء للبالغ : اللهمّ اغفر لحيّنا ومَيّتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذَكَرنا وأُنثانا . اللهمّ من أحييتَه منّا فأَحْيِه على الإسلام، ومن توفّيته منّا فتوفّه على الإيمان

قد تمت مسائل الصلاة بعون الله تعالى . وقد بذلت في تحريرها غاية طاقتي، لكن لايخلو عن زلل وخلل . فالمرجو من العلماء الحاذقين في الفقه – نفعنا الله تعالى بهم آمين – إصلاح ما فيه وتبيين لطالبيه ما يحتاجون إليه . والله أعلم .

مسائل الصوم

س : ما هو الصوم ؟

ج : هو إمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية، من الفجر إلى الغروب.

س : فى أىّ وقت تصحّ النية ؟

ج : يصح أداء رمضان والنذر المعين والنفل بنية من الليل إلى الضحوة الكبرى (١١ ساعة)، وبمطلق النيّة . والقضاء والنذر المطلق والكفارات لاتصح إلا بنيّة معيّنة من الليل .

س : كم ينقسم الصوم ؟

ج : ينقسم أربعة أقسام : فرض و واجب و مندوب و مكروه .

س : ما الصوم المفروض ؟ وما الصوم الواجب ؟

ج : المفروض صوم رمضان ، والواجب صوم النذر وصوم الكفارات .

س : ما الصوم المندوب ؟

ج : صوم الأشهر الحرام : رجب وشوّال وذى القعدة وذى الحجّة ومحرّم، وصوم الأيام المباركة: عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس والجمعة وأيام البيض .

س : ما هو الصوم المكروه ؟

ج : المكروه تحريما هو صوم يوم العيدين وأيّام التشريق . وتنزيها هو صوم عاشوراء وحده، وسبت وحده، وصوم وصال .

س : ما هى الكفارات ؟

ج : هى كفارة إفطار رمضان عمدا، وظِهار، وقتل، يصوم شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستّين مسكينا. وكفارة يَمين يطعم عشرة مساكين . فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

س : ما شرط صحة الصوم ؟

ج : النيّة، والخُلُوّ عن أشياء تفسد الصوم، والخلوّ عن حيض ونفاس . ولايشترط الخلوّ عن الجنابة ولو يوما .

س : ما الذى يفسد الصوم ؟

ج : ما يفسده قسمان : قسم يوجب القضاء مع الكفّارة وهو أكل وشرب وجماع عمدا فى شهر رمضان ، وقسم يوجب القضاء بلا كفارة، كما لو أفطر خطأً كأن تمضمض فسبقه الماء، أو مُكْرَهًا كصبّ ماء فى حلقه بإكراه، أو استعط، أو أقطر فى أذنه دهنا، أو داوى جائفة أو آمة فوصل الدواء إلى الجوف، أو ابتلع حصاة، أو أكل ناسيا فظنّ أنه أفطر فأكل عمدا، أو تسحر، أو أفطر يظن اليوم ليلا، أو استقأ ملأ فمه، أو ذرعه القئ ملأ الفم فأعاده، أو أنزل بمباشرة أو لمس، أو أفسد صوم غير رمضان أداء .

س : ما الذى لا يفسد الصوم ؟

ج : هو لو أكل أو شرب أو جامع ناسيا، أو خرج البُزاق أو المُخاط من أنفه أو فمه فجذبه، أو دخل غبار أو دخان أو ذباب فى حلقه، أو ابتلع بَلَلا فى فَمِه بعد المضمضة مع الريق، أو أدهن، أو اكتحل، أو دخل الماء فى أذنه، أو حكّ أُذُنَه بعود، أو احتلم، أو أنزل بنظر، أو أدخل إصبعه اليابسة أو عودا فى مقعدته وطرفه خارجٌ .

س : ماذا يُكره فى الصوم ؟

ج : ذوق شىء ومُضغه بلا عذر، ومباشرة ومسّ ومعانقة إن لم يأمن. ولا بأس بشمّ المسك والورد . ولو تبخّر ببخور فاشتمّه أفطر .

س : ما هى العوارض المبيحة لعدم الصوم ؟

ج : يُباح لمريض خاف زيادة المرض أو امتداده الفطرُ . وللمسافر مطلقا الفطرُ، لكن يندب له الصوم إن لم يضرّه . ولحامل ومُرضِع إن خافتا على النفس أو الولد الفطرُ . وقضوا ما قدروا . ولو ماتوا بلا قضاء وجبت الوصيّة بالفدية، وإلا فلا . ولشيخٍ فَانٍ عجز عن الصوم الفطرُ، وعليه الفدية .

س : ما هى الفدية ؟

ج : يطعم لكل يوم مسكينا كالفطرة نصف صاع من بُرّ، أو صاع من شعير، أو قيمتهما .

س : ماذا يستحب فى الصوم ؟

ج : يستحب التسحّر وتأخيره وتعجيل الإفطار، وأن يفطر على التمرِ ثم الماءِ إن لم يجد التمر ، ويدعو عند الإفطار بما يشاء ويقول : اللهمّ لك صُمْتُ، وعلى رزقك أفطرتُ، ذهب الظمأ وابتلّت العروق، وثبت الأجر، إن شاء الله تعالى .

— تمت مسائل الصوم بعون الله تعالى —

﴿ خاتمة فى موعظة الصائمين ﴾

يا إخوانى الصائمين ! إن أردتم أن تنالوا الفضائل والثواب من صومكم، فينبغى لكم أن تحفظوا ألسنتكم عن الكذب والغيبة والنميمة والفحوش، وتحفظوا جوارحكم عن الخطايا والزلل، وتحفظوا قلوبكم عن الحسد وسائر الأخلاق الذميمة وعداوة المسلمين . ومع ذلك تكونون خائفين من الله تعالى فيقبل صومكم . قال الله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتّقين ﴾ .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على النبىّ وآله أجمعين

فهرس

تحاور الكلام فى عقائد الإسلام

مقدمة ٢
الباب الأول فى الإيمان با لله تعالى ٣
الباب الثانى فى الإيمان بالملائكة عليهم السلام ٤
الباب الثالث فى الإيمان بالكتب ٥
فصل فى فضل القرآن ٥
الباب الرابع فى الإيمان بالرسل ٦
فصل فى فضل نبينا ﷺ ٧
الباب الخامس فى الإيمان باليوم الآخر ٩
فصل فى أشراط الساعة ١٠
فصل فى أحوال الساعة ١١
فصل فى الجنة والنار ١٢
الباب السادس فى الإيمان بالقضاء والقدر ١٣
خاتمة فى بيان ما يحيط الإيمان من الكفر ١٤
تذنيب فى شروط الإيمان ١٧

تحاور الكلام فى مسائل الصلاة والصيام

مقدمة ٢٠
فصل فى الوضوء ٢١
فصل فى الغسل ٢١
فصل فى التيمم ٢٢
فصل فى تطهير المتنجس ٢٣
فصل فى مواقيت الصلاة ٢٤
فصل فى صفة الصلاة ٢٥
فصل فى عدد الصلوات ٢٧
فصل فى صلاة المسافر ٢٨
فصل فى صلاة المريض ٢٨
فصل فى الصلاة على الميت ٢٩
مسائل الصوم ٣٠
خاتمة فى موعظة الصائمين ٣٢

241

العقائد الإسلامية

243

العقائد الإسلامية

مجموعة

من ثلاثة كتب فى عقيدة أهل السنة والجماعة

فى المدرسة الإسلامية التابعة لمسجد بوكى

ليشيا – قانسو

١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

هذه المجموعة تشتمل على ثلاثة كتب :

- الوصيّة – فى عقيدة أهل السنة والجماعة

  للإمام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه

- الجواهر الكلاميّة – فى إيضاح العقيدة الإسلامية

  للعلامة الشيخ طاهر بن صالح الجزائرى رحمه الله

- متن العقائد النسفية

  للإمام الهمام قدوة علماء الإسلام نجم الدين عمر النسفى رحمه الله

245

كتاب الوصيّة

للإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله

في عقيدة أهل السنة والجماعة

246

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مصطفى عاشر بسنده المتصل إلى الإمام الأعظم رحمه الله تعالى : انه قال فى إملائه وصيّته : اعلموا أصحابى – وفّقكم الله تعالى – أن مذهب أهل السنة والجماعة على اعتقاد اثنى عشر خصلة ، فمن كان يستقيم على هذه الخصال فقد هُدى إلى صراط مستقيم .

أوّلُها الإيمان ، والإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان . والإقرار لا يكون وحده إيمانا ، لأنه لو كان إيمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين . وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيمانا ، لأنها لو كانت إيمانا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين . قال الله تعالى فى حق المنافقين : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾. وقال الله تعالى فى حق أهل الكتاب : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾.

والإيمان لا يزيد ولا ينقص ، لأنه لا يتصور نقصانه إلا بزيادة الكفر ، و لايتصور زيادته إلا بنقصان الكفر ، وكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد فى حالة واحدة مؤمناً وكافراً . والمؤمن مؤمن حقًّا ، والكافر كافر حقًّا . وليس فى الإيمان شكّ كما أن ليس فى الكفر شكّ ، لقوله تعالى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقًّا ﴾ و ﴿أولئك هم الكافرون حقًّا ﴾ .

والعاصون من أُمّة محمد ﷺ كلهم مؤمنون حقًّا وليسوا بكافرين .

فصل

العمل غير الإيمان ، والإيمان غير العمل ، بدليل أن كثيرا من الأوقات يرتفع فيه العمل من المؤمن ولا يجوز أن يقال: ارتفع فيه الإيمان ، فإن الحائض يرفع الله سبحانه

247

وتعالى عنها الصلاة ، ولا يجوز أن يقال رفع عنها الإيمان أو أمرها بترك الإيمان ، وقد قال لها الشارع : دَعِي الصلاةَ ثم اقضيه ، ولا يجوز أن يقال دعي الإيمان ثم اقضيه . ويجوز أن يقال ليس على الفقير الزكوٰة ، ولا يجوز أن يقال ليس على الفقير الإيمان .

وتقدير الخير والشرّ كلّه من الله تعالى ، لأنه لو زعم أحد أن تقدير الخير والشرّ من غيره لصار كافراً بالله تعالى وبطل توحيده .

فصل

والثاني نُقرّ بأن الأعمال ثلاثة : فريضة وفضيلة ومعصية . فالفريضة بأمر الله ومشيته ومحبّته ورضائه وقضائه وقدره وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه وكتابته في اللوح المحفوظ . والفضيلة ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيته ومحبّته ورضائه وقضائه وقدره وحكمه وعمله وتوفيقه وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ . والمعصية ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيته لا بمحبته ، وبقضائه لا برضائه ، وبتقديره لا بتوفيقه ، وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ .

فصل

والثالث نقرّ بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه ، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج ، فلو كان محتاجا لَمَا قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوقين ، ولو كان محتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا .

فصل

والرابع نقرّ بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ووحيه وتنزيله لا هو ولا غيره، بل هو صفته على التحقيق ، مكتوبٌ في المصاحف مقروٌّ بالألسنة محفوظٌ في الصدور غيرُ حالّ فيها . والحبر والكاغد والكتابة مخلوقة ، لأنها أفعال العباد ، وكلام الله

تعالى غير مخلوق ، لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالات القرآن لحاجة العباد إليها ، وكلام الله تعالى قائم بذاته ، ومعناه مفهوم هذه الأشياء . فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم . والله تعالى معبود لا يزال عما كان . وكلامه مقروء ومحفوظ من غير مزايلة عنه .

فصل

والخامس نقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبوبكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ رضوان الله عليهم أجمعين ، لقوله تعالى : ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقرّبون في جنّات النعيم ﴾. وكل من كان أسبق فهو أفضل ، ويحبهم كل مؤمن تقيّ ، ويبغضهم كل منافق شقيّ .

فصل

والسادس نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق ، فلما كان الفاعل مخلوقا فأعماله أولى أن تكون مخلوقة .

فصل

والسابع نقر بأن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة ، لأنهم ضعفاء عاجزون ، والله خالقهم ورازقهم ، لقوله تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾. والكسب حلال ، وجميع المال من الحلال حلال ، وجمع المال من الحرام حرام.

والناس على ثلاثة أصناف : المؤمن المخلص في إيمانه ، والكافر الجاحد في كفره ، والمنافق المداهن في نفاقه . والله تعالى فرض على المؤمن العملَ ، وعلى الكافر الإيمانَ ، وعلى المنافق الإخلاصَ ، لقوله تعالى : ﴿ ياأيها الناس اتّقوا رَبَّكم ﴾. يعني ياأيها المؤمنون أطيعوا ، وياأيها الكافرون آمِنوا ، وياأيها المنافقون أخلِصوا .

فصـــل

والثامن نقر بأن الاستطاعة مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل ، لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيا عن الله تعالى وقت الحاجة ، فهذا خلاف حكم النصّ ، لقوله تعالى : ﴿ والله الْغَنِيُّ وأنتم الفقراء ﴾. ولو كان بعد الفعل لكان من المحال لأنه حصول بلا استطاعة ولا طاقة .

فصـــل

والتاسع نقر بأن المسح على الخفين واجب للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها ، لأن الحديث ورد هكذا ، فمن أنكر فإنه يخشى عليه الكفر لأنه قريب من الخبر المتواتر . والقصر والإفطار في السفر رخصة ، لنصّ الكتاب لقوله تعالى: ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تَقْصُرُوا من الصلوة ﴾. و في الإفطار قوله تعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعِدَّةٌ مِنْ أيَّام أُخَر ﴾ .

فصـــل

والعاشر نقر بأن الله تعالى أمر القلم بأن يكتب ، فقال القلم : ماذا أكتب يارب ؟ فقال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، لقوله سبحانه : ﴿ وكل شيء فعلوه في الزُّبُر وكل صغير وكبير مُستَطر ﴾.

فصـــل

والحادى عشر نقر بأن عذاب القبر كائن لا محالة . وسؤال منكر ونكير حَقٌّ ، لورود الأحاديث . والجنة والنار حقّ ، وهما مخلوقتان لأهلهما ، لقوله تعالى في حقّ المؤمنين : ﴿ أُعِدَّت للمتقين ﴾، وفي حق الكفّار : ﴿ أعدّت للكافرين ﴾. خلقهما الله تعالى للثواب والعقاب . والميزان حقّ لقوله تعالى:﴿ ونَضَع الموازينَ القِسْطَ ليَوْمِ القيامة ﴾ وقراءة الكتاب حقّ لقوله تعالى:﴿ اقرأ كتابَك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾.

٢٤٥

فصـــل

والثانى عشر نقر بأن الله يحيى هذه النفوس بعد الموت ، ويبعثهم فى زمان مقداره خمسون ألف سنة للجزاء والثواب وأداء الحقوق ، لقوله تعالى : ﴿وأن الله يبعث مَنْ فى القبور﴾. ولقاء الله تعالى لأهل الجنة حقّ بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة . وشفاعة نبينا محمد ﷺ لكل من هو من أهل الجنة وإن كان صاحب كبيرة حقٌّ .

وعائشة بعد خديجة الكبرى أفضلُ نساء العالمين وأُمُّ المؤمنين ومطهَّرة عن الزنا بريئة عما قال الروافض ، فمن شهد عليها بالزنا فهو ولد الزنا .

وأهل الجنة فى الجنة خالدون ، وأهل النار فى النار خالدون ، لقوله تعالى فى حق المؤمنين: ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ . وفى حق الكفار: ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

تمت

251

الجواهر الكلامية

في إيضاح العقيدة الإسلامية

تأليف

الأستاذ العلامة شيخ المحققين

الشيخ طاهر بن صالح الجزائري

رحمه الله تعالى

252

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(وبعد) فهذه رسالة مشتملة على المسائل المهمّة فى علم الكلام ، قريبة المأخذ للأفهام . و جعلتها على طريق السؤال والجواب ، وتساهلت فى عباراتها تسهيلا للطلّاب .

المقدمة

وتشتمل على أربع مسائل

س : ما معنى العقيدة الإسلامية ؟

ج : العقيدة الإسلامية هى الأمور التى يعتقدها أهل الإسلام أى يجزمون بصحّتها.

س : ما معنى الإسلام ؟

ج : الإسلام هو الإقرارُ باللسان والتصديقُ بالقلب بأن جميع ما جاء به نبيُّنا محمدٌ ﷺ حقٌّ وصدق .

س : ما أركان العقيدة الإسلامية ، أى أساسها ؟

ج : أركان العقيدة الإسلامية ستة أشياء ، وهى الإيمانُ بالله تعالى ، والإيمانُ بملائكته ، والإيمانُ بكتبه ، والإيمانُ برسله ، والإيمانُ باليوم الآخر ، والإيمانُ بالقدر .

المبحث الأول

فى الإيمـان با لله سبحانه وتعالى

س : كيف الإيمان با لله سبحانه وتعالى إجمالا ؟

ج : هو أن نعتقد أن ا لله سبحانه وتعالى مُتَّصِفٌ بجميع صفات الكمال ومُنَزَّهٌ عـن جميع صفات النقصان .

س : كيف الإيمان با لله سبحانه وتعالى تفصيلا ؟

ج : هو أن نعتقد أن ا لله سبحانه وتعالى موصوف بالوجود ، والقِـدَم ، والبقـاء ، و المخالَفة للحوادث ، والقيام بنفسه ، والوحدانية ، والحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة، والسمع ، والبَصَر ، والكلام . وأنه حَـىٌّ ، عليم ، قادر ، مريد ، سميع ، بصير ، متكلّم .

س : كيف الاعتقاد بالوجود لله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن ا لله تعالى موجود ، وأن وجوده بذاته ليس بواسطة شئ ، وأن وجوده واجبٌ لا يمكن أن يلحقه عدمٌ .

س : كيف الاعتقاد بالقدم لله سبحانه وتعالى ؟

ج : هو أن نعتقدَ أن ا لله قديـم ، نعنـى أنـه موجـود قبـل كـل شـئ ، وأنـه لم يكـن معدوماً فى وقت من الأوقات ، وأن وجوده ليس له أوّلٌ .

س : كيف الإعتقاد بالبقاء لله سبحانه وتعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن ا لله سـبحانه وتعـالى بـاق ، وأن بقـاءه ليـس لـه نهايـة ، وأنـه لايزول أصلا . ولا يلحقه العدم فى وقت من الأوقات .

س : كيف الاعتقاد بمخالفته تعالى للحوادث أى المخلوقات ؟

ج : هو أن نعتقد أن ا لله تعالى لا يشابهه شئٌ ، لا فى ذاتـه ولا فـى صفاتـه ولا فـى أفعاله .

س : كيف الاعتقاد بمخالفة ذاته سبحانه للحوادث ؟

ج : هو أن نعتقد أن ذات الله سبحانه وتعالى لا تُشابه شيئا من المخلوقات بوَجْهٍ من الوجوه ، فكلُّ ما تراه أو يخطر ببالك فالله ليس كذلك ، ليس كمثله شئ .

س : كيف الاعتقاد بأن صفاته سبحانه وتعالى مخالفة صفات الحوادث ؟

ج : هو أن نعتقد أن علم الله تعالى لا يُشَابِهُ عِلْمَنا ، وأن قدرته لا تشابه قدرتَنا ، وأن إرادته لا تشابه إرادتَنا ، وأن حياته لا تشابه حياتَنا ، وأن سمعه لايشابه سمعنا ، وأن بصره لايشابه بصرنا ، وأن كلامه لا يشابه كلامنا .

س : كيف الاعتقاد بأن أفعاله سبحانه وتعالى مخالفة لأفعال الحوادث ؟

ج : هو أن نعتقد أن أفعال المولَى سبحانه وتعالى لا تشابه أفعال شئ من الموجودات، لأن المولى سبحانه وتعالى يفعل الأشياء بلا واسطة ولا آلة ، ﴿ إنما أمرُه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ . و أنه لايفعل شيئا لاحتياجه إليه ، وأنه لا يفعل شيئا عبثا أى بغير فائدة لأنه سبحانه وتعالى حكيم .

س : كيف الاعتقاد بقيامه تعالى بنفسه ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شئ من الأشياء ، فلايحتاج إلى مكان ولا إلى محلّ ولا إلى شئ من المخلوقات أصلا . فهو الغنيُّ عن كل شئ ، وكل شئ محتاج إليه سبحانه وتعالى .

س : كيف الاعتقاد بحياة الله سبحانه وتعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى حيٌّ ، وأن حياته سبحانه ليست كحياتنا، فإن حياتنا بوسائط كجريان الدم و النَّفَس ، وحياةُ الله سبحانه ليست بواسطة شئ . وهى قديمة باقية لا يلحقها العدمُ والتغيرُ أصلا .

س : كيف الاعتقاد بوحدانية الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى واحدٌ ليس له شريكٌ ولا نظيرٌ ولا مماثلٌ ولا ضِدٌّ ولا معاندٌ .

س : كيف الاعتقاد بعلم الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بالعِلْم ، وأنه بكلّ شئ عليم : يعلم الأشياء كلَّها ظاهرها وباطنها ، ويعلم عدد حبَّات الرمل وعدد قطرات المطر وأوراق الشجر ويعلم السرَّ وأخفى ، لا تخفى عليه خافية . وعلمُه ليس بمكتسب ، بل يعلم الأشياء في الأزل قبل وجودها .

س : كيف الاعتقاد بقدرة الله تعالى ؟

ج : هو أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالقدرة ، وأنه على كل شئ قدير .

س : كيف الاعتقاد بإرادة الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله تعالى موصوف بالإرادة ، وأنه مريد لا يقع شئٌ إلا بإرادته . فأيُّ شئ أراده كان ، وأيُّ شئ لم يُرده فإنه لا يمكن أن يكون .

س : كيف الاعتقاد بسمع الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه موصوف بالسمع ، وأنه يسمع كلَّ شئ سِرًّا كان أو جهرًا ، لكن سمعه سبحانه وتعالى ليس كسمعنا ، فإن سمعنا بواسطة الأذن ، وسمعُه سبحانه ليس بواسطة شئ .

س : كيف الاعتقاد ببَصَر الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه موصوف بالبصر ، وأنه بكل شئ بصيرٌ، يُبْصِر حتى النملةَ السوداءَ في الليلة الظلماء وأصغرَ من ذلك ، لا يخفى عن بصره شئٌ في ظاهر الأرض وباطنها وفوق السماء وما دُونها ، لكن بصره سبحانه ليس كبصرنا ، فإن بصرنا يكون بواسطة العين ، وبصره سبحانه ليس بواسطة شئ .

س : كيف الاعتقاد بكلام الله تعالى ؟

ج : هو أن نعتقد أن الله سبحانه موصوف بالكلام ، وأن كلامه لا يشبه كلامنا ، فإن كلامنا مخلوق فينا وبواسطة آلة من فم ولسان وشفتين ، وكلامه سبحانه وتعالى ليس كذلك .

س : أخبرني عن الصفات المستحيلة التي لا يتصف بها المولى سبحانه وتعالى ؟

ج : الصفات المستحيلة في حق الله تعالى – أي التي لا يمكن أن يتصف بها – هي العدمُ ، والحدوثُ ، والفناءُ ، والمماثلةُ للحوادث ، والاحتياجُ لغيره سبحانه وتعالى ، ووجودُ الشريك ، والعجزُ ، والكراهيةُ – أي وقوع شيء بغير إرادته – ، والجهلُ ، وأشباهُ ذلك . وإنما استحال اتّصافُه بها لأنها صفات نقصان، والمولى سبحانه وتعالى لايتّصف إلا بصفات الكمال .

س : أخبرني عن الأشياء التي يجوز صدورها من المولى سبحانه وتعالى .

ج : هي فعلُ الممكنات وتركُها ، مثل أن يجعل الإنسان غنيًّا أو فقيرًا ، صحيحًا أو سقيمًا ، وأشباه ذلك .

س : ما المراد بالاستواء في قوله سبحانه ﴿ الرحمٰن على العرش استوى ﴾؟

ج : المراد به استواء يليق بجلال الرحمٰن جلَّ وعلا ، فالاستواء معلوم والكيف مجهول . واستواؤه على العرش ليس كاستواء الإنسان على السفينة أو ظهر الدابّة أو السرير مثلا ، فمن تصوَّر مثلَ ذلك فهو ممن غلب عليه الوهمُ ، لأنه شَبَّهَ الخالق بالمخلوق مع أنه قد ثبت في العقل والنقل أنه ليس كمثله شيء. فكما أن ذاته لا تشابه ذات شيء من المخلوقات كذلك ما يُنسب إليه سبحانه لايشابه شيئا مما ينسب إليها .

س : هل يضاف إلى الله سبحانه يَدَان أو أَعْيُن أو نحو ذلك ؟

ج : قد ورد في الكتاب العزيز إضافة اليد إلى الله سبحانه في قوله جلَّ شأنه ﴿ يَدُ الله فوق أيديهم ﴾ واليدين في قوله سبحانه ﴿ يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقتُ بيَدَيَّ ﴾ والأعين في قوله سبحانه ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأَعْيُنِنَا ﴾ إلا أنه لا يجوز أن يضاف إليه إلا ما أضافه إلى نفسه في كتابه المنزل أو أضافه إليه نبيُّه المرسلُ .

س : ما المراد باليد هنا ؟

ج : المراد باليد هنا معنى يليق بجلاله سبحانه ، وكذلك الأعين ، فإن كل ما يضاف إليه سبحانه يكون غير مماثل لما يضاف إلى شيء من المخلوقات . ومن اعتقد أن له يَدًا كيَدِ

شيء منها أو عَيْنًا كذلك فهو ممن غلب عليه الوهمُ ، إذ شَبَّه الله بخلقه وهو ليس كمثله شيء .

س : إلى مَن ينسب ما ذكرته في معنى الاستواء واليدين والأعين ؟

ج : ينسب ذلك إلى جمهور السلف . وأما الخلف فأكثرهم يفسّرون الاستواءَ بالاستيلاء واليدَ بالنعمة أو القدرة والأعينَ بالحفظ والرعاية ، وذلك لتوهُّم كثير منهم أنها إن لم تؤوَّل وتُصرَف عن ظاهرها أوهمت التشبيهَ . وقد اتّفق الفريقان على أن المشبِّه ضالٌّ . وغيرهم يقولون إنما تُوهِمُ التشبيه لو لم يدل العقل والنقل على التنزيه ، فمن شَبَّه فمن نفسه أُتِيَ .

س : كيف نثبت شيئًا ثم نقول : "الكيف فيه مجهول" ؟

ج : هذا غير مستغرب ، فإنا نعلم أن نفوسنا متصفة بصفات كالعلم والقدرة والإرادة ، مع أنا لا نعلم كيفية قيام هذه الصفات بها ، بل إنا نسمع ونبصر ولا نعلم كيفية حصول السمع والإبصار ، بل إننا نتكلم ولا نعلم كيف صدر منا الكلام . فإنْ علمنا شيئا من ذلك فقد غابت عنا أشياء ، ومثل هذا لايحصى . فإذا كان هذا فيما يُضاف إلينا فكيف الحال فيما يُضاف إليه سبحانه.

س : أى المذهبين أرجح ؟

ج : مذهب السلف أرجح لأنه أسلم وأحكم ، وأما مذهب الخلف فإنما يسوغ الأخذ به عند الضرورة ، وذلك فيما إذا خُشِيَ على بعض الناس إن لم تؤوَّل لهم تلك الكلم أن يقعوا في مهواة التشبيه فيؤوَّل لهم ذلك تأويلا سائغا في اللغة المشهورة .

المبحث الثانى

فى الإيمان بالملائكة ، ويشتمل على ثلاث مسائل

س : ما الملائكة ؟

ج : هم أجسامٌ لطيفةٌ مخلوقةٌ من نُور ، لا يأكلون ولا يشربون ، وهم عبادٌ مُكْرَمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون .

258

س : هل يرى البشرُ الملائكة ؟

ج : لا يرى البشرُ (غير الأنبياء) الملائكة إذا كانوا على صُوَرهم الأصلية ، لأنهم أجسام لطيفة ، كما أنهم لا يرون الهواءَ مع كونه جسماً مالئاً للفضاء لكونه لطيفاً ، وأما إذا تشكّلوا بصورة جسم كثيف كالإنسان فيرونهم. ورُؤْيَةُ الأنبياء لهم على صُوَرهم الأصلية خُصوصيةٌ خُصُّوا بها لتَلَقِّي المسائل الدينية والأحكام الشرعية ، ولا يستغرب وجود أجسام بيننا لا نراها بالعين، وفي المعتاد ما يقرِّب ذلك للذهن ويرفع عنه الغينَ ، فإن أمامنا كثيرا من الأجسام الحيّة وغير الحيّة لا يُدركها البصرُ ، ولو لا النظّارة لظننّا أنها ليس لها عينٌ ولا أثرٌ . كما لا يستغرب اختصاص البعض بإبصار أشياءَ لا تدركها سائر الأبصار، فإن في اختلاف الأبصار في قوّة الإدراك وضعفه عبرةٌ لأُولي الأبصار.

س : ما وظائف الملائكة ؟

ج : من الملائكة رُسُلٌ بين المولىٰ سبحانه وتعالى وبين أنبيائه ورُسُله كجبرائيل عليه السلام . ومنهم حَفَظَة على العباد . ومنهم من يكتب أعمالَ العباد من خير أو شرّ . ومنهم موكّلون بالجنة ونعيمها . ومنهم موكّلون بالنار وعذابها .. ومنهم حَمَلَة العرش . ومنهم قائمون بمصالح العباد ومنافعهم . إلى غير ذلك مما أمروا به .

المبحث الثالث

في الإيمان بكتبه سبحانه وتعالى

س : كيف الاعتقاد بكتب الله تعالى ؟

ج : أعتقد أن لله تعالى كُتُبًا أنزلها على أنبيائه ، وبَيَّن فيها أمرَه ونهيَه ووعدَه ووعيدَه . وهي كلامُ الله تعالى حقيقةً بدتْ منه بلا كيفية قولاً ، وأنزلها وحيًا . من تلك الكُتُب التوراةُ والإنجيلُ والزبورُ والقرآنُ .

س : كيف اعتقادك بالتوراة ؟

259

ج : أعتقد أن التوراة كتابٌ من كتُب الله سبحانه وتعالى ، أنزله على كَليمه موسىٰ عليه السلام ، وذلك لبيان الأحكام الشرعية ، والعقائد الصحيحة المرضيَّة ، والتبشير بظهور نبيٍّ من بنى إسماعيل وهو نبيُّنا عليه الصلاة والسلام، والإشارة إلى أنه يأتى بشرع جديد يهدى إلى دار السلام .

س : كيف اعتقاد العلماء الأعلام فى حقّ التوراة الموجودة الآن فى أيدى أهل الكتاب ؟

ج : اعتقاد العلماء الأعلام أن التوراة الموجودة الآن قد لحقها التحريفُ. ومما يدل على ذلك أنه ليس فيها ذكر الجنة والنار ، وحال البعث والحشر والجزاء. مع أن ذلك أهمُّ ما يُذكر فى الكتُب الإلٰهية . ومما يدل أيضا على كونها محرَّفة ذكرُ وفاة موسىٰ عليه السلام فيها فى الباب الأخير منها ، والحال أنه هو الذى أنزلت عليه .

س : كيف اعقادك فى الزبور ؟

ج : أعتقد أن الزبور كتاب من كتب الله سبحانه وتعالى ، أنزله على سيّدنا داود عليه السلام . وهو عبارة عن أدْعِيَة وأذكار ومَوَاعِظَ وحِكَم ، وليس فيه أحكام شرعية ، لأن داود عليه السلام كان مأمورًا باتباع الشريعة الموسوية .

س : كيف اعتقادك فى الإنجيل ؟

ج : أعتقد أن الإنجيل كتاب من كتُب الله سبحانه وتعالى ، أنزله على المسيح عيسى عليه السلام . وذلك لبيان الحقائق ، ودعوة الخلق لتوحيد الخالق ، ونسخ بعض أحكام التوراة الفرعية على حسب الاقتضاء ، والتبشير بظهور خاتم الأنبياء .

س : كيف اعتقاد العلماء الأعلام فى الإنجيل المتداول الآن ؟

ج : اعتقاد العلماء الأعلام أن الإنجيل المتداول الآن له أربعُ نسخ أَلَّفَهَا أربعةٌ ، بعضهم لم يَرَ المسيحَ عليه السلام أصلا ، وهم : متّى ومرقص ولوقا ويوحنا . والإنجيلُ كلّ من هؤلاء مناقضٌ لآخر فى كثير من المطالب . وقد كان للنصارى أناجيل كثيرة غير هذه الأربعة ، لكن بعد رفع سيدنا عيسىٰ عليه السلام إلى السماء بأكثر من مائتى سنة عوّلوا على

إلغائها ما عدا هذه الأربعة ، تخلُّصاً من كثرة التناقض ، وتملُّصاً من وفرة التضادّ والتعارض .

س : كيف اعتقادك فى القرآن ؟

ج : أعتقد أن القرآن أشرف كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على أشرف أنبيائه محمد ﷺ ، وهو آخر الكتب الإلهية نزولا ، وهو ناسخ لجميع الكتب قبله، وحكمه باقٍ إلى يوم القيامة . لا يمكن أن يلحقه تغييرٌ ولا تبديلٌ ، وهو أعظم آية على نبوّة نبيّنا محمّد ﷺ ، لكونه أعظم المعجزات .

س : لأىّ شئ كان القرآن الكريم أعظم المعجزات ؟

ج : إنما كان القرآن أعظم المعجزات لكونه آية عقلية باقية مَدَى الدهر ، تُشاهَد كلَّ حين بعيْن الفكر ، وسواه من المعجزات انقضت بانقضاء وقتها فلم يبق منها أثرٌ غير الخبر . ووجهُ إعجازه أنه بلغ فى الفصاحة والبلاغة إلى حدٍّ خرج عن طوق البشر ، فإن النبىّ عليه الصلاة والسلام تحدَّى به العرب العرباء وهم أفصح الأُمَم لساناً وأوضحهم بلاغة وبيانا . وقد وصلوا فى عصره فى البلاغة وفصل الخطاب ، لحال يُحيِّر العقولَ ويُدهش الألبابَ ، وبقى فيهم ثلاثةٌ وعشرين عاماً وهو يتحدّاهم بالقرآن أعظمَ تحَدّ ، ويتصدى لتقريعهم به وإثارة هِمَمِهم للتعرض للمعارضة أعظمَ تصَدٍّ ، فتارة يطلب منهم الإتيانَ بمثل سورة من القرآن ، وأن يستعينوا بمَن شاءوه من الإنس والجانّ ، وتارة يَسِمُهم بالعجزِ عن ذلك ، وعدمِ قدرتهم على سلوك تلك المسالك . وهم ذوو النفوس الأبيّة وأهل الحميّة والعصبيّة ، فعجزوا عن ذلك عن آخرهم ، وتركوا المعارضةَ بالكلام إلى المعارضة بالحسام ، وعدلوا عن المقابلة باللسان إلى المقاتلة بالسِنان . وحيث عجز عربُ ذلك العصر فمَن سواهم يكون أعجز فى هذا الأمر . وقد مضى إلى الآن أكثرُ من ألف وثلاثمائة عام ، ولم يوجد أحد من البلغاء إلا وهو مسلمٌ أو ذو استسلام . فدل على أنه ليس من كلام البشر ، بل هو كلام خالق القوى والقدر ، أنزله تصديقا لرسوله وتحقيقا لمقوله . وهذا الوجهُ وحده كافٍ فى الإعجاز . وقد انضمّ لهذا الوجه أوجهٌ :

أحدها : إخباره عن أمور مغيبة ظهرت كما أخبر . ثانيها : أنه لا يَمَلُّهُ السمعُ مهما تكرَّر. ثالثها : جمعه لعلوم لم تكن موجودة عند العرب والعجم . رابعها : إنباؤه عن الوقائع الخالية وأحوال الأُمَم . والحال أن من أنزل عليه عليه الصلاة والسلام كان أُمِّيًّا لايكتب ولا يقرأ ، لاستغنائه عن ذلك بالوحي ، وليكون وجه الإعجاز بالقبول أحرى .

المبحث الرابع

في الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

س : كيف اعتقادك برُسُل الله تعالى ؟

ج : أعتقد أن لله تعالى رُسُلا أرسلهم رحمةً منه وفضلا ، مبشِّرين للمُحْسِن بالثواب، ومُنْذِرين للمُسِيء بالعقاب ، ومبيِّنين للناس ما يحتاجون إليه من مصالح الدين والدنيا، ومفيدين لهم ما يبلغون به الدرجة العُلْيا . وأيَّدَهم بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة، أوَّلُهم آدم ، وآخرُهم نبيُّنا محمد عليهم الصلاة والسلام .

س : ما معنى النبيّ ؟

ج : النبيّ إنسان أُوحي إليه بشَرْعٍ وإن لم يؤمر بتبليغه ، فإن أُمر بتبليغه سُمّي رسولا أيضا ، فكلُّ رسول نبيٌّ وليس كلُّ نبيّ رسولا .

س : كم عدد الأنبياء ؟

ج : لا يُعلم عددُهم على اليقين . والمذكور أسماؤهم في الكتاب العزيز خمسة وعشرون وهم : آدم ، إدريس ، نوح ، هود ، صالح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، ذوالكفل ، داود ، سليمان ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريّا ، يحيى ، عيسى ، محمد عليهم الصلاة والسلام، وهم رُسُلٌ أيضا .

س : ما المعجزة ؟

ج : المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة يظهر على يد مدَّعى النبوَّة موافقًا لدعواه ، على وجه يُعْجِز المنكرين عن الإتيان بمثله .

س : ما الحكمة فى إظهار المعجزة على أيدى الأنبياء ؟

ج : الحكمة فى إظهار المعجزة على أيدى الأنبياء الدلالةُ على صدقهم فيما ادّعوه ، إذ كل دعوى لم تقترن بدليل فهى غير مسموعة ، والتمييزُ بينهم وبين من يدّعى النبوّة كاذبا ، وهى قائمة مقام قول الله تعالى : " صَدَقَ عَبْدِى فيما يَدَّعى " .

س : ما وجه دلالة المعجزة على صدق الأنبياء ، وكونها قائمة مقامَ قول الله تعالى ﴿ صدق عبدى ﴾ ؟

ج : وجه دلالة المعجزة على صدق الأنبياء يظهر من هذا المثال – ولله المثل الأعلىٰ – وهو أنه لو قام أحد من الناس فى محفل عظيم بمحضر ملك كبير حكيم ، وقال : أيها الناس : إنّى رسولُ هذا الملك إليكم ، ومؤتمنُه لديك ، أرسلنى لأبلّغكم أوَامِرَه ، وهو عالمٌ بمقالتى وسامعٌ لكلامى ومبصرٌ لى . وآية صدقى أن أطلب منه أن يخرق عادته ويخالفها فيجيبنى إلى ذلك . ثم قال للملك إن كنتَ صادقا فى دعواى فاخرق عادتَك وقُمْ ثلاث مرّات متواليات ، ففعل الملكُ ذلك ، فإنه يحصل للجماعة علمٌ ضرورىٌّ بصدقه فى مقالته . وقام خرقُ الملك لعادته مقامَ قول الملك : قد صدق فيما ادَّعاه ، ولم يشكّ أحدٌ أنه رسول الملك . والأنبياء عليهم السلام قد ادّعوا إرسالَ الله تعالى لهم للبشر، وهو عالمٌ بدعواهم ، سامعٌ لهم ، ناظرٌ إليهم . فإذا طلبوا من الله تعالى إظهارَ المعجزات التى ليس فى طاقة البشر أن يأتوا بمثلها ، فأعانهم على ذلك وأقدرهم عليها ، كان ذلك تصديقا لهم منه فعلا ، وهو كالتصديق بالقول بل أولىٰ . وهو يستلزم صدقهم فى دعوى الرسالة ، لأن تصديق المولىٰ الحكيم العليم القادر للكاذب أمرٌ ظاهرُ الاستحالة. لا سيّما وقد انضمّ إلى دلالة المعجزات على صدقهم دلالةُ ما اشتهر عنهم من الصفات والأحوال التى هى فى غاية الحسن ونهاية الكمال .

س : ما الفرق بين المعجزة والسحر ؟

١٨

ج : السحر أمر خارق للعادة فى بادئ الرأى تمكن معارضتُه ، لأنه مبنىٌّ على أسباب مَنْ عرفها وتعاطاها حصل على يده ذلك الأمرُ . فهو فى الحقيقة ونفس الأمر غير خارق للعادة ، وغرابته إنما هى بالنظر لجهل أسبابه . وأما المعجزة فإنها خارقة للعادة حقيقة لا يمكن معارضتها . فلا يمكن الساحر أن يفعل مثل فعل الأنبياء من جعل الميّت حيًّا ، وقلب العصا حيّةً . ولذا آمنت سَحَرَة فرعون بموسى عليه السلام لمّا صارت عصاه حيّةً حقيقةً وابتلعت عصيّهم وحبالهم ، لمعرفتهم بأن هذا مما لا يأتى بالسحر . والسحر مصدرهُ من نفس أمّارة بالسوء تكون مظهراً للفساد ، والمعجزة مصدرها من نفس زكيّة تكون مظهراً للصلاح والإرشاد .

س : ما الفرق بين المعجزة والكرامة ؟

ج : الكرامة أمر خارق للعادة يظهر على يد الولىّ ، فهى غير مقرونة بدعوى النبوّة . وأما المعجزة فإنها تكون مقرونة بدعوى النبوة . والولىُّ هو العارفُ بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكن المواظبُ على الطاعات المجتنبُ للمعاصى والسيئات والمعرضُ عن الانهماك فى اللذّات والشهوات . وظهورُ الكرامة على يده إكرامٌ له من ربّه ، وإشارة لقبوله عنده وقُربه ، وهى كالمعجزة للنبىّ الذى يكون من أمّته ذلك الولىُّ ، إذ الولىُّ لا يكون وليًّا حتى يكون مقرًّا برسالة رسوله ومُذعِنا لأوامره غايةَ الإذعان . ولو ادّعَى الاستقلالَ بنفسه ولم يتابع رسولَه لم تظهر على يديه الكرامةُ ولم يكن وليًّا للرحمٰن ، بل يكون عدوًّا له ووليًّا للشيطان . كما يشير لذلك قوله تعالى خطاباً لنبيّنا عليه الصلاة والسلام فى حقّ أقوام زعموا أنهم يحبون الله : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللهَ فاتّبِعُونى يُحْبِبْكم الله ويغفرْ لكم ذنوبَكم والله غفورٌ رحيمٌ . قل أطيعوا اللهَ والرسولَ فإنْ تَوَلّوْا فإنّ الله لايحبّ الكافرين ﴾ .

س : ماذا يجب للأنبياء عليهم السلام ؟

ج : يجب للأنبياء عليهم السلام أربعُ صفات ، وهى : الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة . ومعنى الصدق فى حقّهم كونُ خبرهم مطابقًا للواقع ونفسِ الأمر ، فلا يصدر

منهم كذب أصلا . ومعنى الأمانة فى حقّهم كونُ ظواهرهم وبواطنهم محفوظةً من الوقوع فيما لا يرضى الحقّ الذى اصطفاهم على سائر الخلق . ومعنى التبليغ كونهم بيَّنُوا للناس كلَّ ما أمرهم الله ببيانه أحسنَ بيان، فلم يكتموا من ذلك شيئا . ومعنى الفطانة كونهم أكملَ الخلق فى النباهة والفهم .

س : ماذا يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

ج : يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أربعُ صفات ، وهى : الكذب والعصيان والكتمان والغفلة . وكذلك يستحيل عليهم كلّ صفة تُعَدُّ عند الناس من العيوب وإن لم تكن من الذنوب ، كدَنَاءَة الحِرْفة أو النسب ، أو تنافى حكمةَ البعثة كالصَّمَم والبَكَم .

س : إذا كان العصيان مستحيلا فى حق الأنبياء عليهم السلام فكيف أكل آدمُ من الشجرة التى نُهى عنها ؟

ج : إن آدم عليه السلام أكل من الشجرة التى نُهى عنها بطريق النسيان . قال تعالى: ﴿ ولقد عَهِدْنا إلَىٰ آدمَ من قبلُ فنَسِىَ ولم نجدْ له عَزْمًا ﴾ ، والناسى غير عاصٍ و لا مؤاخذ . وأما نسبة العصيان إليه فى قوله تعالى : ﴿ وعصى آدمُ ربَّه فغوىٰ ثم اجتباه ربُّه فتاب عليه وهدىٰ ﴾ فلصدور صورة المخالفة عنه ، بناء على النسيان الناشئ عن عدم التحفظ التام منه . والمخالفة التى تصدر نسيانا لا تُعَدّ فى حق الناس عصيانا ، وعُدّت معصية فى حق آدم نظرًا لشرف رتبته وعظم منزلته ، والخطأُ الصغيرُ يُستعظم من الكبير. وأما مؤاخذةُ المولىٰ سبحانه وتعالى لآدم على ذلك بإهباطه إلى هذه الديار ، واعترافُ آدم بالذنب ، ومثابرتُه على الاستغفار ، فذلك لتزداد درجتُه عُلُوًّا ، وثوابُه وأجرُه نُمُوًّا . ويقاس على ذلك ما يُنسب لسائر الأنبياء من الذنوب والمعاصى . فإنها ذنوب بالإضافة إلى عُلُوّ مناصبهم ، ومعَاصٍ بالنسبة إلى كمال طاعتهم ، لا أنها كذُنُوب غيرهم ومعاصيهم ، لأنها صادرة منهم عليهم السلام إما على طريق التأوُّل أو على طريق السهو

وعدم التعمد . وأما اعترافهم بها واستغفارهم منها فلزيادة معرفتهم بمولاهم وشدّة ورعهم وتقواهم ، وليزدادوا أجرًا وقربةً وعلوًّا في الدرجة والرتبة .

س : ماذا يجوز في حق الأنبياء عليهم السلام ؟

ج : يجوز على الأنبياء عليهم السلام وقوعُ الأعراض البشرية التي لا تؤدّي إلى نقص في مراتبهم العليّة كالأكل والشرب ، والجوع والعطش ، واعتراء الحرّ والبرد ، والتعب والراحة ، والمرض والصحة ، ومثلُ ذلك التجارةُ والاحترافُ بحِرْفَة من الحِرَف التي ليست دَنِيَّةً ، لأنهم بشرٌ يجوز عليهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدي إلى نقص .

س : ما الحكمة في لحوق الأمراض والآلام بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

ج : الحكمة في لحوق الأمراض والآلام بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونهم خير البريّة ، وكونِ ساحتهم من العيوب بريّة ، أن يعظم أجرُهم ويظهر في طاعة الله تعالى ثباتُهم وصبرُهم . ولأجل أن تتأسّى بهم الناسُ إذا حلَّ بهم البلاءُ واليأسُ . ويعلموا أن الدنيا دارُ بلاء وامتحان ، لا دارُ إكرام وإحسان . ولئلا يعتقد الألوهيّةَ أحدٌ فيهم إذا رأى المعجزات الباهرةَ تظهر على أيديهم ، ويعلم أن ذلك بإرادة الله تعالى وخلقه ليس غير ، وأنهم وإن عظُم قدرُهم وجلَّ أمرُهم فهم عبيد عاجزون عن جلب النفع ودفع الضرر .

س : ما خلاصة ما يجب أن نعتقد في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

ج : نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام موصوفون بكل صفة تزين ، ومبرَّؤون في الظاهر والباطن والفعل والقول عن كل أمر يشين . وأنهم يجوز أن تطرأ عليهم الأعراضُ البشريَّةُ التي لا تؤدّي إلى نقص في مراتبهم العليّة . وأن الله اصطفاهم على العالَمين ، وأرسلهم إليهم ليكونوا بأوامره وأحكامه عامِلين . وأنهم لم يختلفوا في أمر الدين ، لكونه أصلا لتعلُّقه بالاعتقاد الذي لا يقبل التعدّدَ والتحوّلَ أصلا ، وإنما اختلفوا في بعض أحكام الشريعة لكونها فرعا ، لتعلّقها بالعمل الذي توجب الحكمة اختلافَه باختلاف الأمم زمانًا ومكانًا وحالًا وطبعًا .

Z66

س : كم صفةً امتاز بها نبيُّنا ﷺ عن سائر الأنبياء ؟

ج : امتاز نبيُّنا عليه الصلاة والسلام عن سائر الأنبياء بثلاث صفات : الأولى أنه أفضل الأنبياء . الثانية أنه أرسل إلى الناس كافة . الثالثة أنه خاتم الأنبياء فلا يأتى بعده نبيٌّ .

س : لم كان نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء ؟

ج : إنما كان نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء ، لأن حكمة إرسال الأنبياء دعوةُ الخلق إلى عبادة الحقّ ، وإرشادُهم إلى طريق السداد فى أمور المعاش والمعاد ، وإعلامُهم بالأمور الغائبة عن أبصارهم والأحوال التى لايصلون إليها بأفكارهم ، وتقريرُ الأدلّة القاطعة ، وإزالةُ الشُّبَه الباطلة . وقد تكفّلت شريعتُه الغرّاءُ ببيان جميع هذه الأشياء على وجه لا يُتصور أبلغ منه فى الكمال ، بحيث توافق جميعَ الأُمَم فى جميع الأزمنة والأمكنة والأحوال ، فلا حاجة للخلق إلى نبيٍّ بعده ، لأن الكمال قد بلغ حَدَّه . ومن هذا يظهر سِرُّ إرساله لجميع الخلق وكونُه أكملهم فى الخَلق والخُلق .

س : كيف يقال إن نبينا عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء ، مع أن عيسىٰ عليه السلام ينزل فى آخر الزمان ؟

ج : إن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان ، ويحكم بشريعة نبينا عليه السلام دون شريعته ، لأن شريعته هو قد نُسخت لمضيّ الوقت الذى كان العمل بها موافقا لمقتضَى الحكمة ، فيكون خليفةً لنبيّنا عليه السلام ونائباً عنه فى إجراء شريعته فى هذه الأمّة ، وذلك مما يؤكّد كونَ نبيّنا خاتم الأنبياء .

س : اذكر لى معجزات نبيّنا عليه الصلاة والسلام .

ج : إن معجزات نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام كثيرة : فمن معجزاته القرآنُ الكريمُ ، وهو أعظمُ آياته وأكبرها وأبهاها وأبهرها ، وقد سبق ذكرُ وجه إعجازه وأنه آية باقية دائما ، لكون من أتى بها للأنبياء خَاتِمًا . ومن معجزاته نبعُ الماء من بين أصابعه فى حال السفر حين اشتدّ العطشُ بأصحابه الكِرَام ولم يكن إلا ماءٌ قليلٌ ، فوضع كفّه الكريمة

فيه فكثر حتى قضى الحاضرون أو طارَهم منه وزاد عليهم ، وهذا وقع مِرَارًا . ومن معجزاته تكثيرُ الطعام القليل حتى كفى أناسًا كثيرين ، وهذا وقع أيضا مرارا . إلى غير ذلك مما ذكر فى كتب دلائل النبوة .

س : كيف كانت سيرة نبيّنا عليه الصلاة والسلام ؟

ج : قد وقع الإجماع والاتفاق على أن سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام أحسن السير على الإطلاق . وقد أقرّ بحسنها الكُفّار ، وكيف لا وهى كالشمس فى رابعة النهار . وقد ذكر أهل السِّير أنه عليه الصلاة والسلام كان أشرف الناس نسبًا وأعلاهم حسبًا ، يصل الرحمَ ويُغيث المضطرَّ ، كثير التحمُّل والإغضاء والصبر . دأبُه العفوُ والصفحُ والرأفةُ والرفقُ ، لا ينتقم إلا فيما فيه حَقُّ الحقّ أو حقُّ الخلق . وكان كثيرَ السكوت لتفكّره فى أسرار الملكوت ، وإذا تكلّم أتى بجوامع الكَلِم ، وهى الكلمات القليلة التى تتضمّن معانى كثيرة من باهر الحِكَم . وكان أفصح الناس بيانًا ، يمزح بعض الأحيان ، ولا يقول فى مزحه إلا حقًّا . وكان واثقًا بعصمة الله له فى كلّ حال ، يُقْدِمُ حين تُحْجِمُ الأبطالُ ، ويثبت على حاله لدى جميع الأهوال . وكان شديد التواضع ، وكان مع تواضعه وبشاشته ذاهيبة لم تكن لغيره من البشر ، حتى لم يكن أحد من أصحابه يؤكد فى وجهه الكريم النظرَ ، وكانوا فى مجلسه فى غاية الأدب كأنما على رؤسهم الطير . لايقطع أحدٌ منهم كلامَ أحد . ولاتُذكر فى مجلسه العيوبُ . وكان المشركون من صباه يلقّبونه بالأمين . وبعد ادّعائه النبوّة لم يجد أعداؤه مع شدّة عداوتهم له وحرصهم على الطعن فيه مطعنًا ، ولا إلى القدح فيه سبيلا . وكان يعلّم الناسَ الحكمةَ والأحكامَ ، ويدعوهم إلى دار السلام . وقد كَمُل من اتّبعه فى الفضائل العلمية والعملية ، ومن لم يتبعه سَرَى له شئ من ذلك بطريق العرض والتبعيّة . وقد أظهر الله دينَه سائرَ الأديان ، وأبقى ذكرَه الجميلَ على لسان موافقيه ومخالفيه مدى الزمان . ومن طالع كتب سيرته المشتملة على أخلاقه العظيمة الباهرة ، عرف أنه أشرف العالَمين فى الأوصاف الباطنة والظاهرة .

268

المبحث الخامس

فى الإيمان باليوم الآخر

س : ما اليوم الآخر . وما معنى الإيمان به ؟

ج : أما اليومُ الآخرُ فهو يومٌ عظيمُ الأهوال ، تشيب فيه الأطفال ، تقوم الناسُ فيه من قبورهم ، ويُحشرون إلى صعيد واحد للحساب ، ثم يؤول أمرُهم إلى النعيم أو العذاب. وأما الإيمان به فهو التصديق بأنه لا بدّ أن يأتى ، وأن يظهر فيه جميعُ ما ورد فى القرآن والحديث فى شأنه .

س : ماذا تعتقد في اليوم الآخر وما يتعلق به ؟

ج : أعتقد أوّلاً بسؤال القبر، ثم بنعيمه أو عذابه ، ثم بحشر الأجساد ، وأن الخلق كما بُدئ يُعاد ، ثم بالحساب والميزان ، ثم بإعطاء الكتاب إما باليمين وإما بالشمال ، ثم بالصراط ، ثم بدخول المؤمنين الجنةَ دارَ النعيم ، ودخول الكافرين جهنَّمَ دارَ العذاب الأليم .

س : كيف اعتقادك بسؤال القبر ثم نعيمه أو عذابه ؟

ج : أعتقد أن الميت إذا وُضع فى قبره تُعاد روحُه إلى جسده بقدر ما يفهم الخطابَ ويردّ الجوابَ . ثم يأتيه ملكان فيسألانه عن رَبّه ونبيّه ، وعن دينه الذى كان عليه ، وعن الفرائض التى كان أَمَرَه اللهُ تعالى بأدائها . فإن كان الميتُ من الذين آمنوا وعملوا الصالحات أجاب عن السؤال بتوفيق الله تعالى أحسنَ جواب ، من غير خوف منهما ولا اضطراب ، فيكشف الله عن بصره ويفتح له بابًا من أبواب الجنة ، فيحظىٰ بالنعيم العظيم، ويقال له : هذا جزاءُ من كان فى دنياه على الصراط المستقيم . وإن كان الميتُ كافرا أو منافقا يُدهش ولايدرى ما يقول فى الجواب ، فيعذّبانه حينئذ أشدَّ العذاب ، ويُكشف عن بصره فيُفتح له باب من أبواب جهنم ، وتُنوَّعُ له أنواع العذاب والألم ، ويقولان له : هذا جزاء من كفر بمولاه واتبع نفسَه وهواه .

س : إذا أكل السَّبُعُ إنسانًا وصار فى بطنه أو وقع فى البحر فأكلته الأسماكُ ، فهل يُسأل أو يُعذَّب أو يُنعَّم ؟

ج : نعم كلُّ من مات يُسأل ثم يُعذَّب أو يُنعَّم . ولا فرق بين من دُفِنَ فى القبر ، أو صار فى بطن السبع أو فى قعر البحر ، فالله على كل شئ قدير ، وبكل شئ عليم خبير .

س : إذا كان الميتُ تُعاد إليه روحُه ، ويُسأل ثم يعذَّب أو ينعَّم فلأيِّ شئ لا ترى الناسُ شيئا من ذلك ؟

ج : إن الله يحجب أبصارَهم عن ذلك امتحانا لهم ، ليُظهر من يؤمن بالغيب ، ومن لايؤمن به من ذوى الشكّ والريب . ولو رأى الناسُ ذلك لآمنوا كلُّهم ، ولم يَصِرْ فرقٌ بين الناس ، ولم يتميز الخبيثُ من الطيِّب ، والرديءُ من الجيِّد .

س : هل لهذه المسألة مثالٌ يُقرِّبها للذهن ؟

ج : نعم ، مثالُ ذلك النائمُ الذى يرى فى منامه أشياءً يُسَرُّ بها و يتنعّم ، أو أشياء يحزن بها ويتألم ، والذى يكون قاعدا لجنبه مشاهداً له لا يدرى بذلك ، ولا يشعر بما هنالك . وكذلك الميتُ يُسأل فى قبره ويجيب ويتنعّم أو يتألّم ، ولايدرى به أحدٌ من الأحياء ولا يعلم .

س : كيف الاعتقاد بحشر الأجساد ، وأن الخلق كما بُدئ يُعاد ؟

ج : هو أن نعتقد أن الناس بعد موتهم جميعا يُنشئهم اللهُ نشأةً أخرى تشاكل النشأةَ الأولىٰ ، فيقومون من قبورهم ويُحشرون إلى محلّ واحد يسمَّى الموقف .

س : كيف اعتقادك بالحساب ؟

ج : أعتقد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يجمع الناس إلى المحشر يحاسب كلَّ واحد، ويقرّره على ما فعل من خير أو شرّ ، وتشهد على الجاحدين جوارحُهم ، وتظهر للكل فضائحُهم ، وتقوم عليهم الحجّةُ ، ولايبقى لهم العذرُ من محجة ﴿ فمن يعمل مثقالَ ذرّة خيرًا يرَهُ ومن يعمل مثقالَ ذرّة شرًّا يره ﴾ .

270

س : كيف اعتقادك بالميزان وإعطاء الكتب ؟

ج : أعتقد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن يحاسب الناس ويقرّرهم على أفعالهم تُوزن أعمالهم لينكشف لكل واحد مقدارُ عمله ، فمن رجح خيرُه على شرّه أعطى كتابه بيمينه وفاز فوزا عظيما . ومن رجح شرُّه على خيره أعطى كتابه بشماله وخَسِرَ خُسرانا مبينا .

س : كيف اعتقادك بالصراط ؟

ج : الصراط جسرٌ ممدودٌ على ظهر جهنّم ليمرّ الناسُ عليه ، فتبثت عليه أقدام المؤمنين الطائعين ويمرّون عليه إلى الجنة . فمنهم من يمرّ عليه كالبرق ، ومنهم من يمرّ عليه كالجواد ، ومنهم من يكون بطئَ السير عليه . وتزلّ عنه أقدامُ الكافرين والعُصَاة من المؤمنين فيقعون في النار . ولايستغرب أن ييسِّر السيرَ عليه للسعداء من يسيّر الطيرَ في الهواء .

س : هل يشفع أحدٌ ذلك اليوم ؟

ج : يشفع الأنبياء والأولياء والعلماء العاملون والشهداء .

س : فيمن يشفع من أذن له بالشفاعة ؟

ج : يشفعون في بعض المؤمنين العاصين .

س : هل يشفع أحدٌ في أحد من الكفّار ؟

ج : لا يستطيع أحدٌ من الأنبياء – فضلا عن غيرهم – أن يخاطب الله تعالى في أحد من الكفّار ، لعلمهم بأن كلمة العذاب قد حقّت عليهم ، وأن الله سبحانه لا يأذن بذلك ، قال جلّ شأنه : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لاتنفع الشفاعةُ إلّا لِمَن أذن له الرحمٰنُ ورَضِيَ له قولا ﴾ .

س : ما الكوثر الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لنبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وأشار إليه بقوله عزّ شأنه : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ؟

ج : الكوثر نهرٌ في الجنة ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، مَن شَرِبَ من مائه شربةً لايعطش بعدها أبداً .

271

س : ما حكم المؤمن الطائع بعد الحساب ؟

ج : حكم المؤمن الطائع بعد الحساب دخولُ الجنّة خالدًا أبدًا في نعيمها المستطاب.

س : ما حكم الكافر أو المنافق بعد الحساب ؟

ج : حكم الكافر أو المنافق بعد الحساب دخولُ النار خالدا فيها أبدا لايُفتّر عنه الألمُ والعذابُ .

س : ما حكم المؤمن العاصي بعد الحساب ؟

ح : حكم المؤمن العاصي بعد الحساب – إن غفر الله له – أن يدخل الجنة من أوّل الأمر خالدا فيها أبدا ، وإن لم يغفر له أن يعذّب في النار مُدّة على مقدار ذنبه ، ثم يخرج منها ويدخل الجنة خالدا فيها أبدا .

س : ما الجنة ؟

ج : هي دار النعيم المقيم ، دارٌ فيها ما تشتهيه الأنفسُ وتَلَذّ الأعينُ . دارٌ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بَشَرٍ .

س : ما جهنّم ؟

ج : هي دار العذاب المقيم ، دار فيها جميع أنواع الآلام التي لا تخطر على الأفهام.

المبحث السادس

في الإيمان بالقضاء والقدر

س : ما الاعتقاد بالقضاء والقدر ؟

ج : هو أن نعتقد أن جميعَ أفعال العباد – سواء كانت اختيارية مثل القيام والقعود والأكل والشرب ، أو اضطرارية مثل الوقوع – كائنةٌ بإرادة الله تعالى وتقديره لها في الأزل وعلمه بها قبل وقتها .

٢٧٢

س : إذا كان الله تعالى هو الخالق لجميع أفعال العبد أفلا يكون العبدُ حينئذ مجبورا في جميع أفعاله ، والمجبورُ لا يستحقّ الثوابَ والعقابَ ؟

ج : كلا لا يكون العبد مجبورا ، لأن له إرادةً جزئيةً يقدر على صرفها إلى جانب الخير و إلى جانب الشّرّ ،وله عقلٌ يميز به بينهما . فإذا صرف إرادته إلى الخير ظهر ذلك الخيرُ الذى أراده ، وأُثيب عليه لظهوره على يده ، وتعلّق إرادته الجزئية به ، وإن صرفها إلى جانب الشرّ ظهر ذلك الشرُّ وعُوقب عليه لظهوره على يده ، وتعلّق إرادته الجزئية به.

س : اذكر لى مثالا قريبا للذهن يوضح لى أن العبد ليس بمجبور على أفعاله .

ج : كل إنسان يمكنه أن يعرف بأنه ليس بمجبور على جميع أفعاله ، وذلك لتميزه بين تحرّك يده وقت الكتابة ، وبين تحرّك يده وقت الارتعاش مثلا ، فإن تحرك يده حال الكتابة ينسبه لنفسه فيقول : كتبتُ باختيارى وبإرادتي ، وأما تحرك يده من الارتعاش فلا ينسبه لنفسه ولا يقول : أنا حرّكتُ يدى ، بل يقول: إن ذلك وقع بغير اختيارى .

س : ماذا يستفاد من هذا المثال ؟

ج : يستفاد منه أن كلَّ إنسان يُدْرِك بأدنى ملاحظةٍ أنّ أفعالَه قسمان : قسم يكون باختياره وإرادته مثل أكله وشربه وضربه لزيد ونحو ذلك ، وقسم يكون بغير اختياره مثل وقوعه .

س : أىّ شئ يترتب على أفعال العبد إذا كانت اختيارية ؟

ج : أفعال العبد الاختيارية إذا كانت خيراً يترتّب عليها الثوابُ ، وإن كانت شرًّا يترتب عليها العقابُ . وأما أفعاله الاضطراريّة فلا يترتب عليها شئ من ذلك .

س : إذا ضرب إنسانٌ غيرَه ظلمًا وعدوانًا أو فعل نحو ذلك من أنواع الشرّ والمعاصى ، ثم اعتذر بكون ذلك مقدَّراً عليه ، فهل يقبل منه ذلك الاعتذار ؟

ج : إنه لا يقبل من العبد الاعتذارُ بالقدر لا عند الله سبحانه وتعالى ولا عند الخلق، لوجود الإرادة الجزئية له والقدرة والاختيار والعقل .

س : اذكر لى خلاصة هذا المبحث .

ج : إنه يجب على كلّ إنسان مكلّف أن يعتقد ويجزم بأن جميع أفعاله وأقواله وجميع حركاته – سواء كانت خيرًا أو شرًّا – هي واقعة بإرادة الله وتقديره وعلمه ، لكن الخير برضاه ، والشرّ ليس برضاه . وأن للعبد إرادة جزئية في أفعاله الاختيارية . وأنه يثاب على الخير ويعاقب على الشرّ . وأنه ليس له عذر في فعله الشرّ . وأن الله ليس بظلّام للعبيد .

الخاتمة في مسائل مهمّة

((تتبع ما سلف ، نقلت عن السلف))

س : هل يجوز التكلم في ذاته تعالى بالعقل ؟

ج : لا يجوز التكلم في ذاته تعالى بالعقل ، لأن العقل قاصرٌ عن إدراك ذات الخالق سبحانه وتعالى ، فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

س : إذا كان العقل لا يدرك ذاته تعالى فكيف الوصول إلى معرفته تعالى مع أن المعرفة واجبة على كل أحد .

ج : إن معرفته تعالى تحصل بمعرفة صفاته من الوجود والقدم والبقاء ومخالفته للحوداث والقيام بنفسه والوحدانيّة والحياة والعلم والقدرة والإرادة و السمع والبصر والكلام .

س : بأيّ شيء عرفنا الله تعالى مع أننا ما رأيناه بأبصارنا ؟

ج : عرفنا وجودَ الله تعالى وباقيَ صفاته بظهور آثار قدرته في هذه المخلوقات الحادثة المتقَنة البديعة المحيِّرة للعقول كالسماوات وما اشتملت عليه من الشمس والقمر والنجوم والأرض وما اشتملت عليه من المعادن والأشجار وغير ذلك من أنواع الحيوانات ، التي منها الإنسانُ المخلوقُ في أحسن تقويم ، الموصوفُ بأنواع الكمال والفضل ، الممتازُ بالعقل القويم . فكما أن من شاهد بناءً عرف أن له بانيًا ، ومن شاهد

كتابًا عرف أن له كاتبًا ، وإن لم يره ولم يسمع خبره . فكذلك من رأى هذا العالَمَ المتقنَ البديعَ الباهرَ عرف أن له مُوجِدًا قديمًا عليمًا مريدًا قديرًا حكيمًا .

س : هل لهذه المسألة نظير في المخلوقات ، أي هل يوجد في المخلوقات شئ نتحقق وجودَه مع أننا لا نراه ؟

ج : نعم وذلك كالروح ، فإنا نحكم بوجودها وإن لم نحظَ بشهودها ، حيث نرى ما لها من الآثار ، مع أنا لا نراها بالأبصار ولا ندرك حقيقتها بالأفكار . وكذلك الله سبحانه وتعالى فإنه وإن لم نره بأبصارنا ولم ندرك حقيقة ذاته بأفكارنا ، نجزم بوجود ذاته الموصوفة بصفات الكمال ، نظرًا لما نرى من آثار صُنْعِه البديعِ سبحانه وتعالى الشاهدِ له بلسان الحال والمقال .

س : هل يجوز الخوض في حقيقة الروح والبحث عن ماهيتها ؟

ج : لا يجوز ذلك ، لأن العقل قاصر عن إدراك حقيقتها ، فالبحث عنها إضاعة وقت . وهذا أكبر دليل على قصر عقل الإنسان ، فإنه لم يدرك حقيقة روحه مع كونها مخلوقة وغير خارجة عنه ، ليقطعَ الأملَ عن إدراك حقيقة خالقه الذي ليس له شبيهٌ .

س : هل تمكن رؤية الله سبحان وتعالى بالبصر ؟

ج : رؤية الله تعالى بالبصر ممكنةٌ عقلاً ، وواقعة في الجنة للمؤمنين نقلاً ، فإن الله تعالى موجود وكل موجود يمكن رؤيته ، قال الله تعالى: ﴿ وجوهٌ يومئذ ناضرةٌ إلى رَبِّها ناظرة ﴾ فيرونه بالأبصار بغير كيفٍ يوم القيامة ، ويُحجب عنه الكافرون زيادة لهم في الحسرة والندامة .

س : هل إصابة العين حق ؟

ج : نعم ، وذلك لأن بعض النفوس من شأنها وخواصها أنها إذا نظرت إلى شئ نظرَ استحسانٍ وتعجُّبٍ يُصاب المنظور إليه ويلحقه الضررُ ، لكن هذه النفوس قليلة جدًّا. فلا ينبغي للإنسان أن يشغل أفكاره بذلك وينسب أكثر ما يصاب به إلى إصابة العين أو إلى السحر ، كما يفعله كثير من النساء لأن ذلك طيشٌ وخفّةٌ .

س : كيف تؤثر العين مع كونها ألطف أجزاء الإنسان وعدم اتصالها بالمنظور إليه وعدم خروج شئ منها يتصل به ؟

ج : لا مانع أن يكون للشئ اللطيف تأثيرٌ قويٌّ ، ولا يشترط فى التأثير الاتصالُ ، فإنا نرى بعضَ الناس من أصحاب الهيئة والاقتدار إذا نظر إلى أحد نظرَ مغضَب ربما يعترى المنظورَ إليه الدهشةُ والارتباكُ ، وقد يُفضى به الأمرُ إلى الهلاك ، مع أنه لم يتسلّط عليه فى ظاهر الحسّ ، ولا حصل بين المؤثّر والمتأثّر اتصال ومسّ ، والمغناطيس يجذب الحديد مع عدم اتصاله به ، وعدم خروج شئ منه يوجب صدور التأثُّر عنه ، بل الأمور اللطيفة أعظم آثاراً من الأمور الكثيفة، فإن الأمور الجسيمة إنما تصدر من الإرادة والنية ، وهما من الأمور المعنوية . فلا يستغرب حينئذ أن تؤثر العين فى المنظور إليه مع لطافتها وعدم اتصالها به ، وعدم خروج شئ منها .

س : مَن أفضل الأمم جميعا بعد الأنبياء عليهم السلام ؟

ج : أفضلُ الأُمَم جميعا بعد الأنبياء هى الأمة المحمدية ؛ وأفضلُها الصحابة الكرام ، وهم الذين اجتمعوا بنبينا عليه الصلاة والسلام وآمنوا به واتبعوا النور الذى أنزل معه ، وأفضلُهم الخلفاء الأربعة .

س : ما الإسراء وما المعراج ؟

ج : الإسراء هو سير النبى عليه الصلاة والسلام من مسجد مكّة إلى المسجد الأقصى فى القدس فى ليلة . وهذا ثابت بنصّ القرآن الكريم . والمعراج هو صعوده تلك الليلة من المسجد الأقصى إلى السماوات ، واجتماعه بالملأ الأعلى ، تشريفاً لهم به و إكراماً له . وقد ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة. وهذا أمرٌ ممكنٌ أخبر به الصادق ، فيجب حمله على ظاهره . ولايستغرب ممن سيَّر الطير فى الهواء ، وجعل الكواكب تقطع بحركتها فى دقيقة مسافةً لايقطعها الناسُ فى مائة عام ، أن يرفع إلى السماء فى الساعة حبيبَه الذى اصطفاه على الأنام . فهو على كل شئ قدير ، وبكل شئ خبير .

س : هل ينفع الدعاءُ الداعيَ أو المدعوَّ له ، وهل يصل ثوابُ صدقة الحيِّ إلى الميّت إذا أهدى له ذلك ؟

ج : إن الصدقة أمرٌ مرغوبٌ فيه ، والدعاءُ والتضرّعُ إلى الله تعالى مطلوبٌ ، وكلاهما نافعٌ عنده تعالى للحيّ والميّت .

س : هل نعيم الجنة روحانيٌّ أم جُسمانيٌّ ، وكذلك عذاب النار كيف هو ، وهل هما دائمان أم ينقطعان ؟

ج : إن الجنة تشتمل النعيمين الروحانيَّ والجُسمانيَّ ، فالروحانيُّ لتلذّذ الروح ، كالتسبيح والعبادة ورؤية الله تعالى وإعلامه برضاه عنهم . والجسمانيُّ لتلذّذ الجسم كالأكل والشرب والنكاح . والنار تشتمل على العذاب الجسمانيّ والعذاب الروحانيّ . والنعيمُ والعذابُ فيهما دائمٌ لا ينقطع أبداً ، وأهلوهما خالدون فيهما ، وهما موجودتان الآن .

س : هل يبلغ الوليُّ درجةَ النبيّ ، وهل يصل إلى حالة تسقط عنه التكاليفُ عندها ؟

ج : لا يبلغ الوليُّ درجةَ نبيّ من الأنبياء أصلا . ولا يصل العبد ما دام عاقلا بالغا إلى حيث يسقط عنه الأمرُ والنهيُ ويُباح له ما شاء . ومن زعم ذلك كفر . وكذلك يكفر من زعم أن للشريعة باطناً يخالف ظاهرَها هو المراد بالحقيقة ، فأوَّلَ النصوصَ القطعيّةَ وحملها على غير ظواهرها ، كمن زعم أن المراد بالملائكة القُوَى العقليّة ، وبالشياطين القُوَى الوهميّة .

س : ما المجتهد ومَن المجتهدون الذين استقر الرأيُ على اتباعهم ؟

ج : المجتهد هو المحيطُ بمُعظم قواعد الشريعة ونصوصها ، الممارسُ لها بحيث اكتسب قوةً يفهم بها مقصودَ الشارع . والمجتهدون كثيرون ، والمجتهدون الذين استقرّ الرأيُ على اتّباعِهم والأخذِ بقولهم أربعةٌ ، وهم : أبو حنيفة النعمانُ بْنُ ثابت ، ومالكُ بن أنس ، ومحمدُ بن إدريس الشافعيّ ، وأحمدُ بن حنبل رضي الله عنهم . وإنما اختار العلماءُ تقليدَ هؤلاء الأربعة دون غيرهم ممن بلغ درجةَ الاجتهاد ، لكثرة ما استنبطوه من المسائل

بسبب تفرّغهم لذلك ، حتى ندرت القضايا التي لم يبيّنوا حكمَها ، ولنقل مذاهبهم إلينا بطريق التواتر ، فينبغي تقليدُ واحدٍ معيَّنٍ منهم إلا للضرورة . وإلا فربما أدّى إلى تلفيق ، يخرج عن سواء الطريق .

س : لم اختلف المجتهدون في بعض المسائل ؟

ج : إن المجتهدين لم يختلفوا في أصول الدين ولا في أمّهات فروعه أصلا ، لثبوتها بالدلالة القطعية . وإنما اختلفوا في بعض المسائل الفرعية لعدم ثبوت نصّ قطعيّ فيها . إذ الجزئيات لا يتيسر حصرُها ، والاختلافُ فيها سهلٌ . فكلٌّ منهم بذل وُسْعَه في استخراج حكمها من الكتاب والسنّة بحسب ماظهر له . فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ منهم فله أجرٌ لسعيه في إظهار الصواب بقدر وُسعه . واختلافُ الأئمة رحمةٌ للأُمّة ، لأنه اختلاف في أمور فرعية ، والاختلافُ فيها يوجب اليُسْرَ على الناس ، وعدمَ وقوعهم في الحرج والبأس . فإذا اضطرّ الإنسان عمل بما هو الأيسر ، وإلا فيعمل بما هو الأحوط أو الأحرى والأظهر .

س : ما أشراط الساعة ؟

ج : أشراط الساعة (العلامة الدالة على قرب قيامها جدًّا) أمور : منها الدجّالُ وهو رجل أعور يخرج في خِفّةٍ من الدين وإدبارٍ من العلم ، ويدّعي الألوهيةَ ويُظهر بعضَ العجائب ، ويتّبعه مَن كان ضعيفَ الإيمان واليقين . ومنها ظهورُ دابّة من الأرض تُعَلّمُ الناسَ في وجوههم ، فمن كان مؤمنا جعلت له علامةٌ يُعرف بها أنه مؤمن ، ومن كان كافرا جعلت له علامة يُعرف بها أنه كافر . وتكلّم الناسَ بأحوالهم . ومنها طلوعُ الشمس من المغرب يوماً من الأيام وينسدّ حينئذ بابُ التوبة ولا تُقبل من أحد . ومنها خروجُ يأجُوجَ ومأجوج ، وهم جيلٌ من الناس أكثروا الفسادَ في الأرض في الزمان الغابر . ولما وصل إلى ناحيتهم ذو القَرْنين شَكَا منهم جيرانُهم إليه ، فرثى لحالهم ، وكان الموصِّل بينهم مَضيق بين جبلين ، فبَنَى فيه سدًّا عاليًا جدًّا من حديد ، وأفرغ عليه الرصاصَ المذابَ ، فصار سدًّا محكَماً أملس لا يتيسر نقبُه ولا الصعودُ عليه . فإذا حان

278

أوانُ خروجهم انفتح السدُّ بسبب من الأسباب ، فينتشرون فى الأرض ويكثر فسادهم فى طُولها والعَرْض . فيُلْجَأ إلى مولاهم فى رفع شرّهم وضررهم فيهلكهم ويقضى بمحو أثرهم . ومنها نزولُ عيسىٰ عليه السلام ، وذلك حين ما تكثر فى المسلمين الفِتَنُ وتتوالى عليهم المِحَنُ ، فيتولّى أمورَ هذه الأمة ، و يكشف عنهم كلَّ مُلِمَّة ، ويقتل الدجَّالَ ، ويخلّص الناسَ من الأهواء والأهوال.

س : مَن السعيد ؟

ج : السعيدُ هو المؤمنُ الصالحُ القائمُ بحقوق الحقّ وحقوق الخلق، المتّبعُ للشريعة ظاهراً وباطناً ، المعرضُ عن زخارف هذه الدار ، فهو صاحب السعادة، ومَن له الحسنى وزيادة . نسأله سبحانه أن يوفّقنا لذلك ويجعلنا من السالكين فى أحسن المسالك .

والحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات ، وعلى
أشرف أنبيائه أزكى التحيات .



Z79

متن

العقائد النسفية

للإمام الهمام قدوة علماء الإسلام عمر النسفيّ

أعلى الله درجته في دار السلام

280

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أهلُ الحق : حقائقُ الأشياء ثابتةٌ ، والعلمُ بها متحقّقٌ ، خلافا للسوفسطائية.

وأسبابُ العلم للخلق ثلاثةٌ : الحواسّ السليمة والخبر الصادق والعقل .

فالحواسّ خمسٌ : السمع والبصر والشمّ والذوق واللمس ، وبكل حاسّة منها يوقف على ما وضعت هي له .

والخبر الصادق على نوعين : أحدهما الخبر المتواتر ، وهو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب ، وهو موجب للعلم الضرورى كالعلم بالملوك الخالية فى الأزمنة الماضية والبلدان النائية . والنوع الثانى خبر الرسول المؤيّد بالمعجزة ؛ وهو يوجب العلم الاستدلاليّ ، والعلمُ الثابتُ به يُضاهى العلمَ الثابتَ بالضرورة فى التيقن والثبات .

وأما العقل فهو سبب للعلم أيضا ، وما ثبت منه بالبداهة فهو ضروريٌّ كالعلم بأن كل شئ أعظم من جزئه ، وما ثبت منه بالاستدلال فهو كسبيٌّ .

والإلهامُ ليس من أسباب المعرفة بصحة الشئ عند أهل الحقّ .

والعالَم بجميع أجزائه مُحْدَث ، إذ هو أعيان وأعراض . فالأعيان ما له قيام بذاته ؛ وهو إما مركّب وهو الجسم ، أو غير مركّب كالجوهر وهو الجزء الذى لا يتجزأ . والعرض ما لا يقوم بذاته ويحدث فى الأجسام والجوهر كالألوان والأكوان والطعوم والروائح .

والمحدِث للعالَم هو الله الواحدُ القديمُ الحيُّ القادرُ العليمُ السميعُ البصيرُ الشائى المريدُ ، ليس بعرض ولا جسم ولا جوهر ولا مصوَّر ولا محدود ولا معدود ولا متبعّض ولا متجزّء ولا مركّب ولا مُتَنَاهٍ . ولا يوصف بالمائية ولا بالكيفية ، ولا يتمكن فى مكان، ولا يجرى عليه زمانٌ ، ولا يشبهه شئٌ ، ولايخرج عن علمه وقدرته شئٌ .

وله صفاتٌ أزليّة قائمة بذاته وهى لا هو ولا غيره ، وهى : العلم والقدرة والحياة والقوّة والسمع والبصر والإرادة والمشيّة والفعل والتخليق والترزيق والكلام ، وهو متكلم بكلام هو صفة له أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات ، وهو صفة منافية للسكوت والآفة ، والله تعالى متكلّمٌ بها آمرٌ ناهٍ مخبرٌ .

القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق . وهو مكتوب فى مصاحفنا ، محفوظ فى قلوبنا ، مقروّ بألسنتنا ، مسموع بآذاننا ، وغير حالّ فيها . والتكوين صفة لله تعالى أزليّة ، وهو تكوينه للعالَم ولكلّ جزء من أجزائه لوقت وجوده ، وهو غير المكوَّن عندنا .

والإرادة صفة أزليّة قائمة بذاته .

ورؤية الله جائزة فى العقل واجبة بالنقل ، ورد الدليلُ السمعىُّ بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى فى دار الآخرة ، فيُرَى لا فى مكان ولا على جهة من مقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة بين الرائى وبين الله تعالى .

والله خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان ، وهى كلها بإرادته ومشيته وحكمه وقضيته وتقديره . وللعباد أفعال اختيارية يثابون بها ويعاقبون عليها . والحسن منها برضاء الله تعالى ، والقبيح منها ليس برضائه.

والاستطاعة مع الفعل ، وهى حقيقة القدرة التى يكون بها الفعل ، ويقع هذا الاسم على سلامة الأسباب والآلات والجوارح ، وصحّة التكليف تعتمد على هذه الاستطاعة، ولا يكلف العبد بما ليس فى وسعه .

وما يوجد من الألم فى المضروب عقيب ضرب إنسان والانكسار فى الزجاج عقيب كسر إنسان وما أشبهه ،كل ذلك مخلوق الله تعالى ، لا صنع للعبد فى تخليقه .

والمقتولُ ميّتٌ بأجله ، والموت قائم بالميت مخلوق الله تعالى لا صنع للعبد فيه تخليقا ولا اكتسابا ، والأجل واحد .

والحرام رزق ، وكلٌّ يستوفى رزق نفسه حلالاً كان أو حرامًا ، ولايتصور أن لا يأكل إنسانٌ رزقه أو يأكل غيرُه رزقه .

وا لله يُضِلُّ من يشاء ويهدى من يشاء .

وما هو الأصلح للعبد فليس ذلك بواجب على ا لله تعالى .

وعذابُ القبر للكافرين ولبعض عُصاة المؤمنين ، وتنعيمُ أهل الطاعة فى القبر بما يعلمه ا لله تعالى ويريده، وسؤالُ منكر ونكير، ثابتٌ بالدلائل السمعية.

والبعث حقٌّ ، والوزن حقٌّ ، والكتاب حقٌّ ، والسؤال حقٌّ ، والحوض حقٌّ ، والصراط حقٌّ ، والجنّة حقٌّ ، والنار حقٌّ . وهما مخلوقتان الآن موجودتان باقيتان لا تُفنيان ولا يفنى أهلهما .

والكبيرة لا تخرج العبدَ المؤمنَ من الإيمان ، ولا تدخله فى الكفر . وا لله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من الصغائر والكبائر . ويجوز العقابُ على الصغيرة والعفوُ عن الكبيرة إذا لم تكن عن استحلال ، والاستحلال كفر .

والشفاعة ثابتة للرسل والأخيار فى حق أهل الكبائر بالمستفيض من الأخبار .

وأهل الكبائر من المؤمنين لا يخلّدون فى النار وإن ماتوا بغير توبة .

والإيمان هو التصديق بما جاء به النبى ﷺ والإقرار به . فأما الأعمال فهى تتزايد فى نفسها ، والإيمان فى نفسه لا يزيد ولا ينقص . والإيمان والإسلام واحد. و إذا وُجد من العبد التصديقُ والإقرارُ صحّ له أن يقول : أنا مؤمن حقًّا، ولا ينبغى أن يقول : أنا مؤمن إن شاء ا لله تعالى .

والسعيد قد يشقى ، والشقىّ قد يسعد . والتغيُّر يكون على السعادة والشقاوة دون الإسعاد والإشقاء ، وهما من صفات ا لله تعالى ، ولا تغيّر على ا لله ولا على صفاته .

وفى إرسال الرسل حكمة . وقد أرسل ا لله رُسُلاً من البشر إلى البشر مبشّرين ومنذرين ومبيّنين للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين ، وأيّدهم بالمعجزات الناقضات للعادات . وأوّلُ الأنبياء آدم ، وآخرُهم محمد ﷺ . وقد روى بيان عددهم فى بعض الأحاديث ، والأولى أن لا يقتصر على عدد فى التسمية ، وقد قال ا لله تعالى : ﴿ منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ ، ولايؤمن فى ذكر العدد أن

283

يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج عنهم من هو منهم ، وكلهم كانوا مخبرين مبلّغين عن الله تعالى صادقين ناصحين . وأفضلُ الأنبياء محمدٌ ﷺ .

والملائكة عبادُ الله العاملون بأمره ، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة .

و لله تعالى كُتُب أنزلها على أنبيائه وبَيَّن فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده .

والمعراج لرسول الله ﷺ في اليقظة بشخصه إلى السماء ثم إلى ما شاء من العُلَى حقٌّ .

وكرامات الأولياء حقٌّ . فيظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولىّ من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة ، وظهورِ الطعام والشراب واللباس عند الحاجة ، والمشي على الماء والطيرانِ في الهواء ، وكلامِ الجماد والعجماء وغير ذلك من الأشياء . ويكون ذلك معجزة للرسول الذى ظهرت هذه الكرامةُ لواحد من أُمَّتِه ، لأنه يظهر بها أنه ولىٌّ ، ولن يكون ولىًّا إلا وأن يكون مُحِقًّا في ديانته ، وديانتُه الإقرارُ برسالة رسوله .

وأفضلُ البشر بعد نبيّنا أبو بكر الصديق ثم عُمَر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علىّ المرتضى رضى الله عنهم أجمعين . وخلافتهم على هذه الترتيب أيضا .

والخلافة ثلاثون سنة ، ثم بعدها ملك وإمارة .

والمسلمون لا بدّ لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم ، وإقامة حدودهم ، وسدّ ثغورهم ، وتجهيز جيوشهم ، وأخذ صدقاتهم ، وقهر المتغلبة والمتلصّصة وقطّاع الطريق ، وإقامة الجُمَع والأعياد ، وقطع المنازعات الواقعة بين العباد ، وقبول الشهادات القائمة على الحقوق ، وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم ، وقسمة الغنائم . وينبغى أن يكون الإمام ظاهرا لا مختفيا ولا منتظرا، ويكون من قريش ولا يجوز من غيرهم ، ولا يختص ببنى هاشم وأولاد علىّ رضى الله عنه. ولايشترط فى الإمام أن يكون معصوما ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه. ويشترط أن يكون من أهل الولاية المطلقة ، سائسا قادرا على تنفيذ الأحكام ، وحفظ حدود الإسلام ، وإنصاف المظلوم من الظالم . ولا ينعزل الإمام بالفسق والجور .

ويجوز الصلاة خلفَ كلّ برّ وفاجر . ونصلّى على كلّ برّ وفاجر .

ونكفّ عن ذكر الصحابة إلا بخير . ونشهد بالجنة للعشرة المبشّرة الذين بَشَّرَهم النبيُّ عليه السلام بالجنّة .

ونرى المسح على الخُفَّين فى السفر والحضر .

ولا نحرم نبيذ الجرّة .

ولا يبلغ ولىٌّ درجةَ الأنبياء أصلا .

ولا يصل العبدُ إلى حيث يسقط عنه الأمرُ والنهىُ .

والنصوصُ تُحمل على ظواهرها ، والعدولُ عنها إلى معان يدّعيها أهلُ الباطن إلحادٌ بكفر .

وردُّ النصوص كفرٌ . واستحلالَ المعصية كفرٌ . والاستهزاء على الشريعة كفرٌ . واليأس من الله تعالى كفرٌ . والأمن من الله تعالى كفرٌ . وتصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفرٌ .

والمعدوم ليس بشئ .

وفى دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عنهم نفعٌ لهم .

والله يجيب الدعوات ويقضى الحاجات .

وما أخبر به النبيُّ عليه السلام من أشراط الساعة : من خروج الدجال ودابَّة الأرض ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه السلام من السماء ، وطلوع الشمس من مغربها ، فهو حقٌّ .

والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب .

ورُسُلُ البشر أفضلُ من رسل الملائكة ، ورسلُ الملائكة أفضلُ من عامّة البشر ، وعامةُ البشر أفضلُ من عامة الملائكة .

تمّت

فهرس 285

كتاب الوصية فى عقيدة أهل السنة والجماعة ٣

الجواهر الكلامية ٩

فى الإيمان با لله سبحانه وتعالى ١١

فى الإيمان بالملائكة ١٥

فى الإيمان بالكتب ١٦

فى الإيمان بالرسل ١٩

فى الإيمان باليوم الآخر ٢٦

فى الإيمان بالقضاء والقدر ٢٩

الخاتمة فى مسائل مهمّة ٣١

العقائد النسفية ٣٧

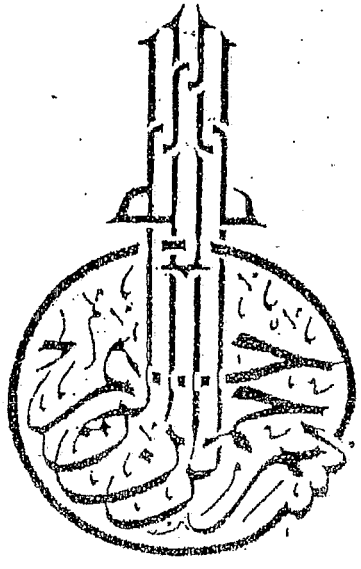


289

العقيدة الطحاوية

في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة
على مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأصحابه
- رضي الله عنهم -

z 90



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الحجة أبو جعفر الوراق الطحاوى بمصر رحمه الله :

هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة : أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى، وأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى ، وأبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى — رضوان الله عليهم أجمعين — وما يعتقدون من أصول الدين و يدينون به رب العالمين .

نقول فى توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله واحد لاشريك له ولاشىء مثله ولاشىء يعجزه ولا إله غيره ، قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، لايفنى ولايبيد، ولايكون إلامايريد ، لاتبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولايشبه الأنام ، حى لايموت ، قيوم لاينام ، خالق بلا حاجة ، رازق بلا مؤنة ، مميت بلا مخافة ، باعث بلا مشقة ، ما زال بصفاته قديما قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لايزال عليها أبديا ، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ، ولا بإحداث البرية استفاد اسم البارى ، له معنى الربوبية ولامربوب ومعنى الخالق ولامخلوق ، وكما أنه محيى الموتى بعدما أحيا ، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم . ذلك بأنه على كل شىء قدير ، وكل شىء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير ، لايحتاج إلى شىء ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ .

الشورى / ١١ .

خلق الخلق بعلمه ، وقدر لهم أقدارا ، وضرب لهم آجالا ، ولم يخف عليه شىء قبل أن يخلقهم

وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، وأمرهم بطاعته ، ونهاهم عن معصيته ، وكل شيء يجرى بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ ، لامشيئة للعباد إلاماشاء لهم ، فماشاءلهم كان ، ومالم يشأ لم يكن ، يهدى من يشاء ويعصم ويعافى فضلا ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلى عدلا ، وكلهم يتقلبون فى مشيئته بين فضله وعدله ،وهو متعال عن الأضداد والأنداد ، لاراد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولاغالب لأمره ، آمنا بذلك كله ، وأيقنا أن كلا من عنده .

وإن محمدا عبده المصطفى ، ونبيه المجتبى ، ورسوله المرتضى ، وأنه خاتم الأنبياء ، و إمام الأتقياء ، وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم .

وكل دعوى النبوة بعده صلى الله عليه وسلم فغى وهوى ، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى ، وبالنور والضياء ، صلى الله عليه وسلم .

وإن القران كلام الله ، منه بدأ بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر ، حيث قال - تعالى - :

﴿ سأصليه سقر ﴾ المدثر / ٢٦ .

فلماأوعد الله بسقر لمن قال : ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ولايشبه قول البشر ، ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار انزجر وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر .

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ وتفسيره على ما أراد الله ـ تعالى ـ وعلمه ، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو كما قال ، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ـ عز وجل ـ ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه .

ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ، فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد ، وصافي المعرفة ، وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر و الإيمان ، والتصديق والتكذيب ، والإقرار والإنكار ، موسوسا تائها شاكا لا مؤمنا مصدقا ، ولا جاحدا مكذبا .

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار الإسلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأولها بفهم إذ كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ـ ترك التأويل ، ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ، ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه ، فإن ربنا ـ جل وعلا ـ موصوف بصفات الوحدانية ، منعوت بنعوت الفردانية ، ليس في معناه أحد من البرية .

وتعالى عن الحدود والغايات ، والأركان و الأعضاء و الأدوات ، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات .

والمعراج حق ، وقد أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا ، وأكرمه بما شاء ، وأوحى إليه ما أوحى ، ما كذب

الفؤاد ما رأى ، فصلى الله عليه وسلم فى الأخرة والأولى .

والحوض الذى أكرمه الله ـ تعالى ـ به غياثا لأمته حق .

والشفاعة التى أدخرها لهم حق ، كما روى فى الأخبار .

والميثاق الذى أخذه الله ـ تعالى ـ من آدم وذريته حق ، وقد علم الله ـ تعالى ـ فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ، وعدد من يدخل النار جملة واحدة ، فلا يزداد فى ذلك العدد ولا ينقص منه ، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه ، وكل ميسر لما خلق له ، والأعمال بالخواتيم ، والسعيد من سعد بقضاء الله ، والشقى من شقى بقضاء الله .

وأصل القدر سر الله ـ تعالى ـ فى خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل ، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة ، فإن الله ـ تعالى ـ طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ فمن سأل : لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين ،

فهذه جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله ـ تعالى ـ وهى درجة الراسخين فى العلم لأن العلم علمان : علم فى الخلق موجود ، وعلم فى الخلق مفقود ، فإنكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر ، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود ، وترك طلب العلم المفقود

ونؤمن باللوح والقلم ، وبجميع ما فيه قد رقم ، فلو اجتمع الخلق كلهم على شىء كتبه الله ـ تعالى ـ فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا كلهم على شىء لم يكتبه

الله ـ تعالى ـ فيه بجعلوه كائنا لم يقدروا عليه ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ،وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه .

وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه فى كل كائن من خلقه ، فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ، ليس فيه ناقض ، ولامعقب ولامزيل ولامغير ، ولاناقص ولازائد من خلقه فى سماواته و أرضه ، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة ، و الاعتراف بتوحيد الله ـ تعالى ـ وربوبيته ، كما قال ـ تعالى ـ فى كتابه : ﴿وخلق كل شىء فقدره تقديرا﴾ وقال ـ تعالى ـ : ﴿و كان أمر الله قدرا مقدورا﴾ فويل لمن صار لله ـ تعالى ـ فى القدر خصيما ، وأحضر للنظر فيه قلبا سقيما ، لقد التمس بوهمه فى فحص الغيب سرا كتيما وعاد بما قال فيه أفاكا أثيما .

والعرش والكرسى حق ، وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شىء وفوقه ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه .

ونقول : إن الله اتخذ إبراهيم خليلا ، وكلم موسى تكليما ، إيمانا وتصديقا وتسليما .

ونؤمن بالملائكة و النبيين ، والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين .

ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ما داموا بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين .

ولانخوض فى الله ، ولانمارى فى دين الله .

ولانجادل فى القرآن ، ونشهد أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، فعلمه سيد المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم ، و هو كلام الله ـ تعالى ـ لايساويه شىء من كلام المخلوقين ، ولانقول بخلقه ، ولانخالف جماعة المسلمين .

ولانكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله .

ولانقول : لايضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ، ويدخلهم الجنة برحمته ، ولاأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بالجنة ، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولانقنطهم .

والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام ، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة ، ولايخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه .

و الإيمان هو الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان .

و جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق .

والإيمان واحد ، وأهله فى أصله سواء ، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ، و مخالفة الهوى ، وملازمة الأولى .

والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن .

والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله ـ تعالى ـ ، ونحن مؤمنون بذلك كله ، لانفرق بين أحد من رسله ، ونصدقهم كلهم على ماجاؤوا به .

وأهل الكبائر [من أمة محمد صلى الله عليه وسلم] فى النار ، لايخلدون ، إذا ماتوا و هم موحدون وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين [مؤمنين] وهم فى مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم بفضله ، كما ذكر ـ عزوجل ـ فى كتابه ﴿ ويغفرمادون ذلك لمن يشاء ﴾ وإن شاء عذبهم فى النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته ، وذلك بأن الله ـ تعالى ـ تولى أهل معرفته ، و لم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا ولايته ، اللهم ياولى الإسلام وأهله ، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به .

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ، وعلى من مات منهم ، ولاننزل أحدا منهم جنة ولا نارا ولانشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ، مالم يظهر منهم شىء من ذلك ، ونذر سرائرهم إلى الله ـ تعالى ـ .

ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا من وجب عليه السيف .

ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا ، ولاندعو عليهم ، ولاننزع يدا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله ـ عز وجل ـ فريضة ، مالم يأمروا بمعصيته ، و ندعو لهم بالصح والمعافاة .

وتتبع السنة والجماعة ، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة ، ونحب أهل العدل والأمانة ، ونبغض أهل الجور والخيانة .

ونقول : الله أعلم ، فيما اشتبه علينا علمه ،

ونرى المسح على الخفين فى السفر و الحضر كما جاء فى الأثر .

. والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين ، برهم وفاجرهم ، إلى قيام الساعة ، لايبطلهما شىء ولاينقضهما .

. ونؤمن بالكرام الكاتبين ، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين ، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين ، وبعذاب القبر لمن كان له أهلا ، وسؤال منكر و نكير فى قبره عن ربه و دينه و نبيه ، وعلى جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، والقبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران .

. ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب والصراط والميزان .

. والجنة والنار مخلوقتان لاتفنيان أبدا ولاتبيدان ، وأن الله ـ تعالى ـ خلق الجنة والنار قبل الخلق ، وخلق لهما أهلا ، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلا منه ، ومن شاء منهم الى النار عدلا منه ، وكل يعمل لماقدفرغ له ، وصائر إلى ما خلق له .

. والخير والشر مقدران على العباد ،

. والاستطاعة التى يجب بها الفعل من نحوالتوفيق الذى لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهى مع الفعل ، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الأدوات فهى قبل الفعل ، و بها يتعلق الخطاب ، وهو كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ لايكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾

وأفعال العباد خلق الله ، وكسب من العباد ، ولم يكلفهم الله ـ تعالى ـ إلا ما يطيقون ، ولا يطيقون إلا ما كلفهم ، وهو تفسير (لاحول ولاقوة إلا بالله) نقول : لاحيلة لأحد ولا حركة لأحد عن معصية إلا بمعونة الله ، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله ـ تعالى ـ .

وكل يجرى بمشيئة الله ـ تعالى ـ وقضائه وقدره ، غلبت مشيئته المشيئات كلها ، وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء ، وهو غير ظالم أبدا ، تقدس عن كل سوء وحين ، وتنزه عن كل عيب وشين ، ﴿ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ الأنبياء / ٢٣ .

وفى دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات ، والله ـ تعالى ـ يستجيب الدعوات ، و يقضى الحاجات ، ويملك كل شىء ولايملكه شىء ، ولاغنى عن الله ـ تعالى ـ طرفة عين ، و من استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر ، وصار من أهل الحين .

والله يغضب ويرضى ، لا كأحد من الورى .

ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نفرط فى حب أحد منهم ، و لا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، ولانذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين و إيمان و إحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

ونثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، أولا لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة ، ثم لعمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، ثم لعثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ ، ثم لعلى ـ رضى الله عنه ـ وهم الخلفاء الراشدون ، والأئمة المهتدون .

وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة ، نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله الحق ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة ، رضى الله عنهم أجمعين .

ومن أحسن القول فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس ، وذرياته من كل رجس فقد برىء من النفاق .

وعلماء السلف من السابقين ، ومن بعدهم من التابعين ، أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .

ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ، ونقول : نبى واحد أفضل من جميع الأولياء .

ونؤمن بما جاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من رواياتهم .

ونؤمن بأشراط الساعة : من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم - عليه السلام - من السماء ، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها ، وخروج دابة الأرض من موضعها .

ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ، ولا من يدعى شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

ونرى الجماعة حقا وصوابا ، والفرقة زيغا وعذابا ، ودين الله فى الأرض والسماء واحد ، وهو دين الإسلام ، قال - تعالى - : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ آل عمران / ١٩ ، وقال - تعالى - : ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ المائدة / ٣ ، وهو بين الغلو

والتقصير ، و بين التشبيه والتعطيل ، و بين الجبر والقدر ، و بين الأمن و الإياس .

فهذا ديننا و اعتقادنا ظاهرا وباطنا ، ونحن براء إلى الله من كل ماخالف الذى ذكرناه وبيناه ، ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يثبتنا على الإيمان ، ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة ، والمذاهب الردية ، مثل المشبهة ، والمعتزلة ،والجهمية ، والجبرية ، والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ، ونحن منهم براء ، وهم عندنا ضلال و أردياء ، و بالله العصمة والتوفيق .

كتب هذا المتن فى مدرسة العلوم الإسلامية ببوزى

فى الأربعاء / شعبان / ١٤١٦ ه

٣ / يناير / ١٩٩٦ م

بلمنشيا قانسو

بسم الله الرحمن الرحيم

متن الفقه الأكبر للامام الأعظم رضي الله تعالى عنه

أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه يجب أن يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار حق كله . والله تعالى واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق انه لا شريك له قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . لا يشبه شيئا من الاشياء من خلقه ولا يشبهه شئ من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية أما الذاتية فالحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة وأما الفعلية فالتخليق والترزيق والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعل لم يزل ولا يزال باسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة لم يزل عالما بعلمه والعلم صفة في الازل وقادرا بقدرته والقدرة صفة في الازل ومتكلما بكلامه والكلام صفة في الازل وخالقا بتخليقه والتخليق صفة في الازل وفاعلا بفعله والفعل صفة في الازل والفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الازل والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق وصفاته في الازل غير محدثة ولا مخلوقة فمن قال انها مخلوقة أو محدثة أو وقف أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى . والقرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى الالسن مقروء وعلى النبي عليه الصلاة والسلام منزل ولفظنا بالقرآن مخلوق وكتابتنا له مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة والقرآن غير مخلوق . وما ذكر الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعن فرعون وابليس فان ذلك كله كلام الله تعالى اخبارا عنهم وكلام الله تعالى غير مخلوق وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم . وسمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى كما قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما وقد كان الله تعالى متكلما ولم يكن كلم موسى عليه السلام وقد كان الله تعالى خالقا في الازل وليس كمثله شئ وهو السميع البصير . فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الازل وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويسمع لا كسمعنا ويتكلم لا ككلامنا . ونحن نتكلم بالآلات

والحروف

والحروف والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق وهو شئ لا كالأشياء ومعنى الشئ اثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له . وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته أو نعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف . خلق الله تعالى الأشياء لا من شئ وكان الله تعالى عالما في الازل بالأشياء قبل كونها وهو الذي قدر الاشياء وقضاها ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شئ الا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ ولكن كتبه بالوصف لا بالحكم . والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الازل بلا كيف يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما ويعلم انه كيف يكون اذا أوجده ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودا ويعلم انه كيف يكون فناؤه ويعلم الله تعالى القائم في حال قيامه قائما واذا قعد علمه قاعدا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف يحدث في المخلوقين . خلق الله تعالى الخلق سليما من الكفر والايمان ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم فكفر من كفر بفعله وانكاره وجحوده الحق بخذلان الله تعالى اياه وآمن من آمن بفعله واقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى اياه ونصرته له . أخرج ذرية آدم من صلبه على صور الذر فجعلهم عقلاء فخاطبهم وأمرهم بالايمان ونهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون على تلك الفطرة ومن كفر بعد ذلك فقد بدل وغير ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم . ولم يجبر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم أشخاصا والايمان والكفر فعل العباد ويعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه وأحبه من غير أن يتغير علمه وصفته . وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خالقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته ورضائه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره . والانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطايا ومحمد عليه الصلاة والسلام حبيبه وعبده ورسوله ونبيه وصفيه ونقيه ولم يعبد الصنم ولم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط . وأفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين عابدين ثابتين

على الحق ومع الحق نتولاهم جميعا . ولا نذكر أحدا من أصحاب رسول الله الا بخير . ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب وان كانت كبيرة اذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الايمان ونسميه مؤمنا حقيقة ويجوز أن يكون مؤمنا فاسقا غير كافر . والمسح على الخفين سنة والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة . والصلاة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة . ولا نقول ان المؤمن لا تضره الذنوب ولا نقول انه لا يدخل النار ولا نقول انه يخلد فيها وان كان فاسقا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا ولا نقول ان حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة والمعاني المبطلة ولم يبطلها بالكفر والردة حتى خرج من الدنيا مؤمنا فان الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها . وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمنا فانه في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بالنار وان شاء عفا عنه ولم يعذبه بالنار أصلا . والرياء اذا وقع في عمل من الاعمال فانه يبطل أجره وكذلك العجب . والآيات ثابتة للأنبياء والكرامات للاولياء حق وأما التي تكون لأعدائه مثل ابليس وفرعون والدجال مما روي في الاخبار انه كان ويكون لهم لا نسميها آيات ولا كرامات ولكن نسميها قضاء حاجات لهم وذلك لان الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجا لهم وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغيانا وكفرا وذلك كله جائز وممكن . وكان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق ورازقا قبل أن يرزق . والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة . والايمان هو الاقرار والتصديق وايمان أهل السماء والارض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق . والمؤمنون مستوون في الايمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال . والاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تعالى فمن طريق اللغة فرق بين الايمان والاسلام ولكن لا يكون ايمان بلا اسلام ولا يوجد اسلام بلا ايمان وهما كالظهر مع البطن . والدين اسم واقع على الايمان والاسلام والشرائع كلها . نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف الله نفسه في كتابه بجميع صفاته وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له ولكنه يعبده بأمره كما أمر كتابه وسنة رسوله . ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضى والخوف والرجاء والايمان في ذلك ويتفاوتون فيما دون الايمان في ذلك كله . والله تعالى متفضل على عباده عادل قد يعطي من الثواب أضعاف ما يستوجبه العبد تفضلا منه وقد يعاقب على الذنب عدلا منه وقد يعفو فضلا منه . وشفاعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام حق وشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت . ووزن

الأعمال بالميزان يوم القيامة حق وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق وان لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز . والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان أبدا ولا تموت الحور العين أبدا ولا يفنى عقاب الله تعالى وثوابه سرمدا . والله تعالى يهدى من يشاء فضلا منه و يضل من يشاء عدلا منه واضلاله خذلانه وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد الى ما يرضاه منه وهو عدل منه وكذا عقوبة المخذول على المعصية . ولا يجوز أن نقول ان الشيطان يسلب الايمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا ولكن نقول العبد يدع الايمان فحينئذ يسلبه منه الشيطان . وسؤال منكر ونكير حق كائن فى القبر واعادة الروح الى جسد العبد فى قبره حق وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين وكل شئ ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عز اسمه فجائز القول به سوى اليد بالفارسية و يجوز أن يقال يروى خداى عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية . وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها ولكن على معنى الكرامة والهوان والمطيع قريب منه بلا كيف والعاصى بعيد عنه بلا كيف والقرب والبعد والاقبال يقع على المناجى . وكذلك جواره فى الجنة والوقوف بين يديه بلا كيفية . والقرآن منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المصاحف مكتوب وآيات القرآن فى معنى الكلام كلها مستوية فى الفضيلة والعظمة الا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل آية الكرسى لان المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة الذكر وفضيلة المذكور ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار وكذلك الاسماء والصفات كلها مستوية فى العظمة والفضل لا تفاوت بينهما . وقاسم وطاهر وابراهيم كانوا بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعا بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن واذا أشكل على الانسان شئ من دقائق علم التوحيد فانه ينبغى له أن يعتقد فى الحال ما هو الصواب عند الله تعالى الى أن يجد عالما فيسأله ولا يسعه تأخير الطلب ولا يعذر بالوقف فيه و يكفر ان وقف وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع ضال

وخروج الدجال و يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الاخبار الصحيحة حق كائن والله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

381

جمهورية مصر العربية
الأزهر
الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية

توضيح العقيدة المفيد

في علم التوحيد

مقرر الصف الثاني الإعدادي بالمعاهد الأزهرية

383

جمهورية مصر العربية

الأزهـــر

الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية

توضيح العقيدة المفيد
فى عـــلم التوحيد

تـأليف

المرحوم حسين عبد الرحيم مكى

من علماء التخصص فى التوحيد والمنطق

مقرر الصف الثانى الإعدادى بالمعاهد الأزهرية

(صححه ونقحه مع بعض التعليقات)

موسى أحمد اللباد

الأستاذ فى أصول فقه الحنفية بكلية الشريعة

طبع على نفقة الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية

القـــاهرة

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

384

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي الكريم ، وعلى إخوانه المرسلين والنبيين وآله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فقد دفعني — إلى تأليف (توضيح العقيدة على شرح نظم الخريدة) الحرص على مصلحة أبنائي طلبة المعاهد الدينية ، فقد عودتهم أن أتقدم لهم بكتب التوحيد المقررة عليهم غنية بزبدة الفن في عبارات سهلة واضحة عامرة بتحرير المذاهب وبسط الأدلة ، خالية من التطويل الممل ، بعيدة عن الإيجاز المخل ، وقد راعيت كل ذلك في توضيح العقيدة ، راجياً من الله — تعالى — أن ينفع به كل من زاوله ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

في سنة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م

المؤلف

حسين عبد الرحيم مكي

المنهـــج

الصـف الثانى الاعدادى

موضـوعات المنهج :

مقدمة : تعريف علم التوحيد - موضوعه - فائدته - الحكم العقلى - أقسامه : الواجب - الجائز - المستحيل .

الإلهيـات : الصفات الواجبة لله - عز وجل - بيان معنى كل صفة من الصفات الآتية ، وإقامة الدليل العقلى والنقلى عليها : الوجود - القدم - البقاء - المخالفة للحوادث - القيام بالنفس - الوحدانية - أضداد تلك الصفات .

٢ - النبوات : حاجة البشر إلى الرسالة - الواجب : والجائز والمستحيل فى حق الرسل - عليهم السلام - تفصيلا ، المعجزة . أمثلة لها - عموم رسالته ﷺ وختمها للنبوات والرسالات ، بعض معجزاته ﷺ .

٣ - السمعيات : سؤال القبر - نعيمه وعذابه - النشر - الحشر ، الصراط ، الميزان ، الحساب ، الثواب والعقاب ، الجنة والنار ، الملائكة والجن .

الآيات التى ترشد إلى معرفة الله - تعالى - معنى الإيمان والإسلام .

مقدمة

تعريف علم التوحيد :

علم التوحيد : علم يبحث فيه عما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق الله ـ سبحانه وتعالى وعن رسل الله عليهم الصلاة والسلام وما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقهم ، وعن السمعيّات التى أخبر بها الصادق من حيث اعتقادها والإيمان بها ، وعن الممكنات الموجودة من حيث إنه يتوصل بها إلى العلم بوجود خالقها ووحدانيته وقدرته وعلمه وحياته .

موضوع علم التوحيد :

موضوع علم التوحيد ذات الله ـ تعالى ـ من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقه تعالى وذات رسله عليهم السلام من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقهم ، والسمعيّات وهى الأمور التى لا تؤخذ إلا بالسماع من الصادق كالبعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وسؤال القبر وعذابه ـ من حيث اعتقادها والإذعان بها ، والممكنات الموجودة من حيث إنه يتوصل بها إلى العلم بوجود خالقها .

ثمرة علم التوحيد وفائدته :

لعلم التوحيد فوائد : منها معرفة الله بصفاته الواجبة له مع تنزيهه تعالى عما يستحيل لتصافه به ، معرفة صحيحة ناشئة عن الأدلة اليقينية ليكون المرء مؤمنا صدقا ، عارفاً بربه حقًّا ، فيذعن له بالربوبية ، ويذل له بالعبودية ، ويعبده عبادة صحيحة .

ومنها التصديق برسل الله ، والجزم بما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقهم ، لينقاد الناس لهم ، ويسمعوا قولهم ، ويمتثلوا أمرهم ونهيهم ، فتسود المحبة والوئام . والعدل والسلام . ويستتب الأمن والنظام ، وينقطع الظلم والنزاع والفساد والاستعباد .

ومنها التصديق بكتب الله المقدسة التى أنزلها على بعض رسله كالقرآن والإنجيل ، ليعمل الناس بما فيها من حكم ومواعظ وآداب وأوامر ونواهى فيسعدوا فى الدارين .

ومنها الإيمان بملائكة الله المطهرين ، ليصدق الناس بالوحى إلى الرسل عن طريقهم ، ويذعنوا بصدق الرسل فى قولهم : أو حى الله إلينا بواسطة الملك .

ومنها الإيمان بالدار الآخرة ، وما فيها من بعث وحساب وجنة ونار وثواب وعقاب ، فإن العقل إذا أمن بذلك أقبل على الخير والطاعة ، وابتعد عن الشر والمعاصى .

ومنها اطمئنان المكلف إلى ما عقد القلب عليه من العقائد ، لأنه جزم بها عن أدلة يقينية ، فانتقل من التقليد المختلف فى إيمان صاحبه ، إلى التحقيق والعلم والمعرفة .

ومنها الاقتدار على إرشاد المسترشدين بإيضاح الدليل لهم ، وعلى إلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم .

وأكبر فوائده ونهاية مقاصده : الطهارة من دنس الشرك وآثامه ، والنجاة من الخلود فى النار ، والفوز برضا الله تعالى وسعادة الدارين .

اقسام الحكم العقلى ، وبيانها :

عرفت أن الحكم العقلى إثبات أمر لأمر ، أو نفى أمر عن أمر . من غير توقف على تجربة ، ولا استناد إلى شرع .

وينقسم إلى ثلاثة أقسام : وجوب ، واستحالة ، وجواز . أما الوجوب فمعناه : عدم قبول الانتفاء أصلا . تقول : قدرة الله واجبة وجوباً عقلياً . ومعنى وجوب القدرة لله : عدم قبولها الانتفاء اصلا .

وأما الاستحالة فمعناها : عدم قبول الثبوت أصلا ، تقول : الجهل مستحيل عقلى بالنسبة لله تعالى ومعنى استحالة الجهل عقلا : عدم قبول الجهل للثبوت أصلا .

وأما الجواز العقلى فمعناه : قبول الثبوت تارة والانتفاء تارة أخرى تقول : انقلاب الحجر ذهبا جائز عقلى ، ومعنى جواز الانقلاب عقلا : قبول انقلاب الثبوت تارة والانتفاء تارة أخرى .

الواجب والمستحيل والجائز العقلى وأقسامها :

الواجب العقلى : هو الثابت الذى لا تقبل ذاته العدم أصلا ؛ وهو قسمان : ضرورى ونظرى ، فالواجب الضرورى : ما لا يتوقف إدراك وجوبه على نظر واستدلال ؛ كأخذ الجسم قدراً من الفراغ ، وتقدم الأب فى الوجود على ابنه ، وكون الواحد نصف الاثنين .

والواجب النظرى ؛ ما يتوقف إدراك وجوبه على نظر واستدلال ؛ كوجود الله وقدرته وعلمه ، وصدق الرسل وأمانتهم .

والمستحيل العقلى : هو المعدوم الذى لاتقبل ذاته الثبوت أصلا ، وهو قسمان : ضرورى ونظرى ، فالمستحيل الضرورى : ما لايتوقف إدراك استحالته على نظر واستدلال ، كاجتماع الحركة والسكون فى محل واحد ، وزيادة الخمسة على العشرة ، وكون الجزء أكبر من كله . والمستحيل النظرى ما يتوقف إدراك استحالته على نظر واستدلال ، كالعجز والجهل والمماثلة للحوادث بالنسبة لله تعالى ، والكذب والخيانة بالنسبة لرسل الله عليهم السلام

والجائز العقلى : هو الذى تقبل ذاته الثبوت تارة ، والانتفاء تارة أخرى[1] . وهو قسمان : ضرورى ونظرى . فالجائز الضرورى : مالا يتوقف إدراك جوازه على نظر واستدلال ؛ كتغير الأجواء بالبرودة والحرارة ، ونزول الأمطار ، وهبوب الرياح ، والصحة ، والغنى ، والطاعة والمعصية ، بالنسبة لنا ، وأكل الرسل ، ومشيهم فى الأسواق .

والجائز النظرى : هو مايتوقف إدراك جوازه على نظر واستدلال ، كإرسال الله تعالى الرسل إلى العباد ، وإثابته العاصى وتعذيبه المطيع .

---

(١) من الجائز العقلى لذاته : ما وجب أو استحال لغيره ، فالممكنات التى علم الله - تعالى - أزلا أنها ستوجد يجب وجودها لتعلق علم الله بوجودها فهى جائزة الوجود ، وجائزة العدم لذاتها ، وواجبة الوجود لغيرها . وهو تعلق علم الله - تعالى - بوجودها ، فجوازها ذاتى ووجوبها عرضى .

الممكنات التى علم الله أزلا أنها لاتوجد يستحيل وجودها لتعلق علم الله - تعالى - بعدم وجودها فهى جائزة الوجود ، وجائزة العدم لذاتها ، ومستحيلة الوجود لغيرها وهو تعلق علم الله - تعالى - بعدم وجودها فجوازها ذاتى ، واستحالتها عرضية ، فكلا النوعين من الجائز العقلى لذاته .

٤٩٥

الإلهيات

المراد بالإلهيات : المسائل المتعلقة بذات الإله - سبحانه وتعالى - من الواجبات والمستحيلات والجائزات فى حقه تعالى ، وسيأتي بيانها تفصيلا إن شاء الله تعالى .

بيان ما يجب لله تعالى إجمالا ، ودليله :

يجب لله - تعالى - إجمالا كل كمال يليق بذاته المقدسة ، وكمالات الله تعالى لا تتناهى ، لا يحصيها عد ولا يحيط بها علمنا ، فيجب على كل مكلف أن يؤمن بأن كل كمال يليق بذات الله واجب له ، وأن كمالاته تعالى لا تتناهى .

الدليل على أن كل كمال يليق بذاته تعالى واجب له : أنه لو لم يجب لله تعالى كل كمال يليق بذاته تعالى لجاز اتصافه تعالى بشيء من النقائص ، ولو جاز اتصافه بشيء منها لكان تعالى عاجزاً عن دفع النقائص عنه ، فلا يكون إلها خالقاً للعالم ، مخالفاً للحوادث ، لكن كونه تعالى كذلك باطل ، فبطل ما أدى إليه وهو جواز اتصافه تعالى بشيء من النقائص ، ووجب له تعالى كل كمال يليق بذاته المقدسة .

قال تعالى :

(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)

ومعنى القدوس : المنزه عن كل منقصة .

الصفات الواجبة لله تفصيلا :

تطلق الصفة على معنيين : الأول : ماليس بذات ، وجوديا كان كالعلم أو عدميا كالقدم ، فإن مفهوم القدم : عدم الحدوث . والمعنى الثانى : المعنى الوجودى القائم بالموصوف كالقدرة .

ويجب لله تفصيلا عشرون صفة : الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، والوحدانية ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام النفسى ؛ وكون الله قادراً ، وكونه مريداً ، وكونه عالماً ، وكونه حيا ، وكونه سميعا ، وكونه بصيراً ، وكونه متكلماً .

الوجود ، ودليل ثبوته لله تعالى :

علمت أنه يجب لله تعالى تفصيلا عشرون صفة ، وأن منها صفة نفسية وهى الوجود ، وعرفه بعض العلماء بأنه صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد على الذات

ومعنى كون الوصف بالوجود يدل على نفس الذات دون معنى زائد على الذات : أن لفظ موجود فى قولنا : (الله موجود) وقع وصفا لله - تعالى - وهو يدل على ذات الله المتحققة الثابتة ، ولا يدل على معنى زائد على الذات ، لهذا كان هذا الوجود صفة نفسية لدلالة الوصف به على نفس الذات فقط ، بخلاف قولنا : (الله قادر) مثلا فإن لفظ قادر وقع وصفًا لله - تعالى - وهو يدل على ذات الله - تعالى - وعلى معنى زائد عليها قائم بها وهو القدرة . لذلك كانت القدرة صفة معنى لدلالتها على معنى موجود قائم بذات الله المقدسة .

الدليل على وجود الله تعالى هذه الكائنات ، فإنها حادثة موجودة بعد العدم وكل حادث لابد له من محدث موجود ، فهذه الكائنات لابد لها من محدث موجود وذلك المحدث الموجود هو الله تعالى كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، قال تعالى : ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ » ، « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا » و « هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ و « أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ » ، « وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » ، « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ » فهذه الآيات ونحوها تدل على أن الخالق لجميع الكائنات هو الله تعالى كما تدل على أن جميع الكائنات حادثة ، ولا يعقل أن يكون الخالق الموجود لهذه الكائنات معدوماً ، لأن المعدوم فاقد الوجود وفاقد الشيء لا يعطيه لغيره ، فثبت أن الله تعالى موجود ، وضد الوجود العدم ، والعدم مستحيل عليه تعالى .

والدليل على وجوب الوجود لله :

ثبت بالأدلة القطعية النقلية والعقلية أن الله تعالى موجود فيجب الإيمان بذلك ، كما يجب الإيمان بأن وجود الله تعالى واجب لذاته ، فوجود الله تعالى ثابت أزلا وأبداً ، فلم يسبق بعدم ، ولا يلحقه عدم ، ولا يقبل الانتفاء أصلا لذاته .

الدليل على وجوب الوجود لله : أنه قد ثبت لله الوجود ، وأن العالم محتاج فى وجوده وفى جميع شئونه إلى الله تعالى ومن ثبت وجوده واحتياج العالم إليه لا يكون من جملة العالم ، فيكون وجوده لذاته ، ومن كان وجوده لذاته ، يجب له الوجود ، فالله تعالى يجب له الوجود .

القـــدم ، ودليـــل وجـــوبه لله :

من الصفات السلبية الواجبة لله تعالى القدم ، ومعناه : عدم أولية الوجود . فوجود الله تعالى لا أول له ، فلم يسبق بعدم .

الدليل على وجوب القدم لله تعالى : أنه قد ثبت لله وجوب الوجود ومن ثبت له وجوب الوجود فقد ثبت له وجوب القدم ، واستحال عليه الحدوث ، فالله تعالى قد ثبت له وجوب القدم ، واستحال عليه تعالى الحدوث .

قال تعالى : (هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ) أى هو الموجود قبل كل شيء بلا بداية لوجوده تعالى والباقى بعد فناء كل موجود بلا نهاية لوجوده تعالى .

البقاء ، ودليل وجوبه لله تعالى :

من الصفات السلبية الواجبة لله تعالى البقاء ، ومعناه : عدم آخرية الوجود ، فوجود الله تعالى لا آخر له ، فلا يلحقه عدم .

الدليل على وجوب البقاء لله : أنه قد ثبت له وجوب الوجود والقدم . ومن ثبت له وجوب الوجود والقدم ، ثبت له وجوب البقاء واستحال عليه الفناء . قال تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) أى ويبقى ذات ربك (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ) أى ذاته الكريمة ، فإنها لا تهلك ولا تفنى ، فالوجه فى الآيتين مراد منه الذات العلية. لأن الوجه بمعنى الجارحة مستحيل عليه تعالى لأنه يستلزم الجسمية ، وهى مستحيلة عليه تعالى.

المخالفة للحوادث ، ودليل وجوبها لله :

من الصفات السلبية الواجبة لله · مخالفته تعالى للحوادث ، ومعناها : عدم مماثلته تعالى للحوادث فى الذات وفى الصفات .

فذاته تعالى ليست كذا ت الحوادث ، وصفاته تعالى ليست كصفاتها ، فليس تعالى جسما ، ولامتصلا بجسم ، ولاحالاً فى مكان وجهة ، وليست ذاته تعالى مركبة من أجزاء فلا يد له تعالى ولا وجه ، ولا عين (بمعنى الجارحة) ولا يوصف بنحو النزول والصعود ، والمجىء والفوقية الحسية ، والاستواء على الأجسام ، بمعنى الاستقرار عليها فإن ذلك من صفات الحوادث ومستلزم للجسمية ، ومستحيل عليه تعالى ، وماورد من النصوص التى يوهم ظاهرها مشابهة الله تعالى للحوادث فمؤ ول ، ومصروف عن ظاهره ، ومحمول على معنى يليق بذاته المقدسة ، فتحمل اليد فى قوله تعالى : (يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) على القدرة ، ويحمل الوجه فى قوله تعالى (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) على الذات . وتحمل العين فى قوله تعالى : (تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا) على القدرة أو الإرادة أو العلم . ويحمل الاستواء فى قوله تعالى : (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) على الاستيلاء والملك . فمعنى استوى على العرش · استولى عليه وملكه (وجاء) فى قوله تعالى : (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) مسند فى الحقيقة إلى فاعل محذوف ، وهو امْرُ أومَلكُ ، والمعنى : وجاء أمْرُ ربِّكَ أومَلكُ ربِّكَ والمَلَكُ صَفًّا صفا .

الدليل على وجوب مخالفة الله تعالى للحوادث : أنه تعالى لو لم يكن مخالفا للحوادث فى ذاته وصفاته لكان تعالى مماثلا لها ، فيكون تعالى حادثا

مثلها ، لكن كونه تعالى حادثا باطل ، لأنه ثبت وجوب قدمه تعالى فاستحالت عليه المماثلة للحوادث، ووجبت له المخالفة لها، قال تعالى. (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) وضد المخالفة للحوادث المماثلة لها ، وهى مستحيلة عليه تعالى .

القيام بالنفس ودليل وجوبه لله تعالى :

من الصفات السلبية الواجبة لله تعالى (قيامه تعالى بنفسه) ومعناه : عدم احتياجه تعالى إلى ذات يقوم بها أو إلى موجد يوجده تعالى .

ومعنى هذه الصفة : أن الله تعالى ليس صفة فلا يكون تعالى محتاجا إلى ذات يقوم بها ، وليس تعالى حادثا فلا يكون تعالى محتاجا إلى موجد .

يدل على وجوب قيام الله تعالى بنفسه : أنه تعالى لو لم يكن قائما بنفسه لكان تعالى محتاجا إلى ذات يقوم بها فيكون صفة ، أو إلى موجد فيكون تعالى حادثا ، لكن كونه تعالى صفة أو حادثا باطل .

الدليل على بطلان كونه تعالى صفة : أنه تعالى لو كان صفة لما اتصف بالصفات الثبوتية ، كالعلم والقدرة ، لأن الصفة لا تتصف بالصفات الثبوتية فلا يقال : القدرة عالمة أو مريدة أو قادرة ، ولكن وجب اتصافه تعالى بالصفات الثبوتية فبطل كونه تعالى صفة فلا يكون محتاجا إلى ذات يقوم بها .

والدليل على بطلان كونه تعالى حادثا . أنه قد ثبت له تعالى وجوب الوجود والقدم والبقاء فبطل كونه تعالى حادثا فلا يكون تعالى محتاجا إلى موجد يوجده تعالى .

ومتى بطل كون الله تعالى محتاجا إلى ذات يقوم بها ، أو إلى موجد ، بطل كونه تعالى غير قائم بنفسه ، ووجب له ـ تعالى القيام بالنفس . قال الله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ) وقال تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ) .

فدلت الآيتان على أنه هو الغنى عما سواه ولو كان تعالى محتاجا إلى ذات يقوم بها أو إلى موجد ، لما كان تعالى غنيا عن العالمين .

تمرين

١ - افرق بين الصفة النفسية والسلبية والمعنوية وصفة المعنى

٢ - عرف الصفات الآتية ، وأقم الدليل على وجوبها لله تعالى :
الوجود - القدم - البقاء - المخالفة للحوادث - القيام بالنفس .

الوحدانية ، ودليل وجوبها لله تعالى :

من الصفات السلبية الواجبة لله تعالى (الوحدانية) ومعناها : عدم التعدد فى الذات وفى الصفات وفى الأفعال .

فالله تعالى واحد فى ذاته : فذاته تعالى ليست مركبة من أجزاء[١] ، ولا توجد ذات تشبه ذاته تعالى ، وواحد فى صفاته : أى كل صفة من صفات الله واحدة ، فليس له تعالى صفتان أو أكثر من نوع واحد كقدرتين وعلمين وإرادتين[٢] وليس لغيره تعالى صفات تشبه صفاته تعالى[٣] ، وواحد فى الأفعال : فجميع الكائنات مخلوقة بقدرة الله وحدها فلا شريك له فيها ، وليس لغيره تعالى فعل من الأفعال[٤] .

---

(١) إذ لو تركبت ذاته تعالى من أجزاء لكانت الذات محتاجة فى تحققها إلى مجموع أجزائها ، والاحتياج دليل الحدوث ، والحدوث مستحيل بالنسبة إليه تعالى ، فتركب ذاته تعالى من أجزاء محال .

(٢) لأن ما زاد على صفة واحدة من كل نوع لا فائدة فيه ، إذ من لوازم صفات الله أن تكون كل صفة كاملة مستقلة ، واتصافه تعالى بما لا فائدة فيه عبث ، والعبث مستحيل بالنسبة إليه تعالى فاتصافه تعالى بما زاد على صفة واحدة من كل نوع محال .

(٣) إذ لو كان لغير الله صفات تشبه صفاته ، لكان ذلك الغير إلها فيتعدد الإله ، لكن قام البرهان على استحالة التعدد قال تعالى : « قل هو الله أحد » .

(٤) إذ لو كان لغير الله تعالى فعل لما كانت جميع الكائنات مستندة إلى قدرة الله وحدها ، لكن ثبت بالدليل استناد جميع الكائنات إلى قدرة الله تعالى ، قال تعالى : « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه » .

الدليل على عدم وجود ذات تشبه ذات الله تعالى : أنه لو وجدت ذات غير الله متصفة بصفات الألوهية لوجد إلهان ، ولو وجد إلهان لأمكن الخلاف بينهما ، كأن يريد أحدهما وجود شيء ويريد الآخر عدم وجوده فإن نفذ مرادهما معا لزم اجتماع النقيضين ، وهو وجود ذلك الشيء وعدم وجوده ، واجتماع النقيضين باطل ، وإن لم ينفذ مرادهما معا لزم عجزهما فلا توجد هذه المخلوقات ، وعدم وجودها باطل بالمشاهدة ، وإن نفذ مراد أحدهما وعجز الثاني ، كان من نفذ مراده هو الإله دون من عجز ، على أن عجز من لم ينفذ مراده يثبت للآخر ، لأن الفرض أنهما متساويان وما ثبت لأحدهما يثبت للآخر ، وحينئذ لا توجد هذه المخلوقات ، وعدم وجودها باطل بالمشاهدة .

ومتى بطل جميع ما تقدم ، فقد بطل ما أدى إليه ، وهو تعدد الإله ، ووجب اتصاف الله تعالى ـ بالوحدانية . قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ . وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ .

صفات المعانى الواجبة لله

تعريف القدرة ودليل وجوبها لله :

قدرة الله صفة وجودية أزلية قائمة بذاته — تعالى — يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق علمه — تعالى — وإرادته .

الدليل على وجوب القدرة لله :

أنه — تعالى — هو الخالق لجميع الكائنات وكل خالق قادر ، ولك أن تقول فى الاستدلال : لو لم يكن الله — تعالى — قادراً لكان عاجزاً ولو كان عاجزاً ما وجد شىء من هذه الكائنات . لكن عدم وجودها باطل بالمشاهدة فبطل ما أدى إليه وهو اتصافه — تعالى — بالعجز ، ووجب اتصافه تعالى بالقدرة قال — تعالى — : « إن الله على كل شىء قدير » ، « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » .

تعريف الارادة ودليل وجوبها لله .

إرادة الله صفة وجودية أزلية قائمة بذاته — تعالى — تخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه من الأمور المتقابلة فالله تخصص بإرادته الممكن بالوجود بدل العدم والعكس ، والعلم بدل الجهل والعكس ، وبالقدر المخصوص دون بقية المقادير ، وبالوجود فى الزمان المعين دون ما قبله وما بعده ، وبالوجود فى الجهة المعينة دون بقية الأمكنة والجهات .

الدليل على وجوب الإرادة لله : أنه لو لم يكن مريداً لجميع الممكنات التى وقعت وتقع لكان — تعالى — مكرهاً ومقهوراً على فعلها كلها أو بعضها فلا يكون — تعالى — متمكنا من الفعل والترك ، ويكون — تعالى — عاجزاً

عن دفع ما يقهره ولو كان كذلك ما وجدت هذه الكائنات لكن عدم وجودها باطل بالمشاهدة ، فبطل ما أدى إليه وهو كونه — تعالى — مكرهاً ، ووجب اتصافه — تعالى — بالإرادة قال — تعالى —: « وربك يخلق ما يشاء ويختار » « فعال لما يريد » وقال — عليه الصلاة والسلام — (ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن) .

تعريف العلم ودليل وجوبه لله :

علم الله صفة وجودية أزلية قائمة بذاته — تعالى — تتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق إحاطة وانكشاف دون سبق خفاء .

دليل وجوب العلم لله: أنه ثبت أن جميع الكائنات حادثة وأن محدثها هو الله ، وقد اشتملت هذه الكائنات على نظام بديع وصنع عجيب وترتيب دقيق وأودع فى كل نوع منها من الخصائص ما جعله مستعدا لأداء ما خلق لأجله فى هذه الحياة ، وكل فعل هذا شأنه يدل على أن فاعله عالم ، فهذه الكائنات مع ما اشتملت عليه تدل على أن فاعلها — وهو الله — عالم ، إذ يستحيل أن يصدر مثل هذا من جاهل ، فاستحال عليه — تعالى — الجهل ووجب اتصافه بالعلم ، قال — تعالى : « إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما » ، (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) ، (يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور) ، (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) .

تعريف الحياة ودليل وجوبها لله :

حياة الله : صفة وجودية قائمة بذاته — تعالى — تقتضى صحة اتصافه تعالى — بنحو الإرادة والعلم ، فالاتصاف بالحياة شرط للاتصاف بنحو هذه الصفات .

الدليل على وجوب صفة الحياة لله : أنه قد وجب اتصاف الله بالإرادة والعلم فوجب اتصافه بالحياة، لأنه لا يتصف بهذه الصفات إلا من اتصف بالحياة ، وللك أن تقول فى الاستدلال : إذ لو لم يتصف المولى بالحياة ما اتصف بنحو العلم والسمع ، إذ يستحيل أن يكون غير الحى عالما سميعاً ولكن وجب اتصافه – تعالى – بهذه الصفات ، فوجب اتصافه بصفة الحياة . قال تعالى – : (وتوكل على الحى الذى لا يموت) ، (وعنت الوجوه للحى القيوم) ، (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) .

تعريف السمع ودليل وجوبه لله :

سمع الله – تعالى – صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى بها انكشاف جميع الموجودات انكشافاً تاماً بغاير الانكشاف بصفتى العلم والبصر .

والدليل على وجوب صفة السمع لله : أنه – تعالى – لو لم يتصف بها لا تصف بضدها وهو الصمم ، والصمم نقص ، والنقص عليه – تعالى – محال فوجب اتصافه – تعالى – بصفة السمع . يدل على أن السمع كمال وضده نقص قول سيدنا إبراهيم لأبيه : (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً) وقوله – عليه السلام – تبكيتا لعباد الأصنام : (هل يسمعكونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون)فترى أن الآيات توبيخ لقوم يعبدون أصناما خلت عن هذه الكمالات،وتجردت عن هذهالخصائص وتسفيه لأحلامهم . فدل ذلك على أن المودع فى الفطر أن من شأن الإله أن يكون سميعاً يجيب من دعاه، بصيرا يرى من يعبده، ولايسمح عاقل لنفسه أن يعبد إلها أصم أو يخضع لإله أعمى قال – تعالى – : « إن الله سميع بصير) . (قال : لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى) .

تعريف البصر ودليل وجوبه لله :

بصر الله – تعالى – صفة وجودية أزلية قائمة بذاته – تعالى – بها انكشاف جميع الموجودات انكشافاً تاماً بغاير الإنكشاف بصفتي العلم والسمع ؛

الدليل على وجوب صفة البصر لله : أنه – تعالى – لو لم يتصف بها لاتصف – تعالى – بالعمى ، والعمى نقص ، والنقص عليه – تعالى – محال فاستحال عليه – تعالى – العمى ووجب اتصافه بصفة البصر . قال – تعالى – (وكان الله بما تعملون بصيرا) . (إن الله سميع بصير)[1]

تعريف الكلام النفسي ودليل وجوبه لله :

كلام الله – تعالى – صفة وجودية أزلية قائمة بذاته – تعالى – ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقديم والتأخير والترتيب تدل على جميع الواجبات والمستحيلات والجائزات ، فتدل على أن الله واحد قادر موصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، كما تدل على الأمر بالطاعات وعلى النهي عن المحرمات ، وعلى الوعد بالثواب لمن أطاع ، وعلى الوعيد بالعقاب لمن عصى ، وعلى الإخبار بجميع ما كان وما يكون ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن هناك بعثا وحسابا وجنة ونارا وثوابا وعقابا ، حتى لو أزيل عنا الحجاب وأطلعنا الله على هذه الصفة لفهمنا منها كل شيء .

---

(١) علمت أن الله مخالف للحوادث في ذاته وصفاته ، فسمعه – تعالى – وبصره مخالفان لسمع الحوادث وبصرها . لأن سمع الحوادث قوة في الأذن ويتعلق بالأصوات فقط . وبصرها قوة في العين ويتعلق بالمبصرات فقط . أما سمع الله وبصره فمنزهان عن الطول في جارحة لاستحالة الجارحة عليه – تعالى – ، ويتعلقان بجميع الموجودات .

واحذر بأن يطوف بعقلك وفى أى وقت أن كلام الله – تعالى – من قبيل الألفاظ والأصوات . لأن هذا حادث ولا يقوم إلا بالأجسام ، والله منزه عن الجسمية وعن قيام الحوادث بذاته – تعالى – بل كلامه – تعالى – صفة أزلية بها الدلالة والإفهام . كما أن قدرته – تعالى – صفة أزلية بها الإيجاد والإعدام ،

والدليل على وجوب اتصاف الله بصفة الكلام النفسى أنه – تعالى – لو لم يتصف بها لاتصف بالبكم ، والبكم نقص ، والنقص محال عليه تعالى ، فوجب اتصافه – تعالى – بصفة الكلام النفسى ، قال – تعالى – :

(وكلم الله موسى تكليما) .

واعلم أن ما ذكر من كون صفات المعانى سبعة لا غير مذهب الأشاعرة ، وأما عند الماتريدية فثمانية ، لأنهم زادوا صفة [التكوين] وهو تكوينه تعالى للعالم ولكل جزء من أجزائه لا فى الأزل بل لوقت وجوده ، وهو صفة جامعة لجميع أفعاله تعالى ، فهى عندهم صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ، وهو غير المكوَّن ، وعبروا عنه بالإيجاد والتخليق والترزيق والتصوير والإحياء والإماتة وغير ذلك ، فمرجع كل صفات الفعل إلى التكوين ، فإنه إن تعلق بالوجود يسمى إيجادا ، وبالحياة إحياء ، وبالصورة تصويرا ، وبالرزق ترزيقا ، وبالموت إماتة إلى غير ذلك . فالكل فى الحقيقة تكوين ، وإنما الخصوص بخصوصيات التعلقات . فالتكوين ثابت أزلا وأبدا ، والمكوَّن حادث بحدوث التعلق كما فى العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التى لايلزم من قدمها قدم متعلقاتها لكون تعلقاتها حادثة .

وهذا التكوين وراء القدرة ، فإن فى القدرة تصحيحا لكلا طرفى الفعل والترك ، وفى الإرادة ترجيحا لأحد الطرفين ، والإيجاد يتعلق بالتكوين بعد ترجيح الإرادة ، فلو لم تثبت القدرة التى هى مصححة الطرفين يلزم الإيجاب ، ولو لم يثبت التكوين يلزم الإيجاد من غير مستند ، فإن القدرة مصححة الإيجاد ، والتكوين مباشر الإيجاد ، فلابد إذاً من إثبات التكوين .

وأما عند الأشاعرة فالتكوين من الصفات الإضافية والاعتبارات العقلية ، وصفات الأفعال عندهم أسماء لتعلقات القدرة التنجيزية ، فالتخليق اسم لتعلق القدرة بالمخلوق ، والإحياء اسم لتعلق القدرة بالحياة ، والرزق اسم لتعلق القدرة بالمرزوق ، والإماتة اسم لتعلق القدرة بالموت وهكذا . فصفات الفعل حادثة لأنها عبارة عن تعلقات القدرة ، والتعلقات حادثة ، فليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقه بمتعلق خاص ، فهى مستغنية عنه .

ولذا قيل الخلاف بين الفريقين لفظى لا معنوى كما ذكره النووى وغيره .

بيان معنى تعلق الصفة :

تعلق الصفة معناه اقتضاء الصفة أمرا زائدا على قيامها بموصوفها ، والصفة المتعلقة هى التى تقتضى وتطلب أمرًا زائدا على قيامها بموصوفها كقدرة الله فإنها قائمة بذاته — تعالى — وتقتضى مقدوراً تؤثر فيه الوجود أو العدم ، فهى متعلقة بذلك المقدور ، وذلك المقدور متعلق لها وتعلقها به اقتضاؤها إياه لتؤثر فيه الوجود أو العدم. وكالعلم فإنه قائم بموصوفه ويقتضى أمراً ينكشف به .

وعدم تعلق الصفة معناه عدم اقتضاء الصفة أمرا زائدا على قيامها بموصوفها والصفة غير المتعلقة هى التى لا تقتضى ولا تطلب أمرا زائدا على قيامها بموصوفها ، كالحياة فإنها صفة قائمة بموصوفها لا تقتضى أمرا زائدا على قيامها بموصوفها .

تقسيم الصفات باعتبار التعلق وعدمه :

علمت أنه يجب لله تفصيلا عشرون صفة وأنها تنقسم أربعة أقسام : نفسية وسلبية ومعان ومعنوية ، واعلم أن الذى يتعلق من هذه الأنواع إنما هو صفات المعانى ما عدا الحياة فإن الحياة صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك ولا تطلب أمراً زائدا على قيامها بالذات ، والذى لا يتعلق هو الصفة النفسية والصفات السلبية والصفات المعنوية ، وعلى هذا فالذى يتعلق من صفات الله ست صفات وكلها صفات معان : القدرة والإرادة والعلم والكلام والسمع والبصر .

بيان متعلق الصـفات المتعلقة وتعلقاتها

بيان متعلق القدرة وتعلقاتها :

قدرة الله تتعلق بالممكن ولا تتعلق بالواجب والمستحيل ،

بيان تعلق القدرة بالممكن :

للقدرة بالممكن تعلقان : أحدهما صلوحي قديم ، وهو صلاحية القدرة فى الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال ، وثانيهما تنجيزى حادث وهو إيجاد القدرة وإعدامها الممكن — بالفعل فيما لا يزال[1] .

بيان متعلق الارادة وتعلقاتها :

إرادة الله تتعلق بالممكن دون الواجب والمستحيل ،

تعلقات الارادة :

للإرادة بالممكن تعلقان : أحدهما صلوحى قديم ، وهو صلاحية الإرادة فى الأزل لتخصيص كل ممكن بأى أمر من الأمور المتقابلة الجائزة عليه . وثانيهما تنجيزى قديم ، وهو تخصيص الإرادة فى الأزل كل ممكن ببعض ما يجوز عليه بدل البعض الآخر .

بيان متعلق العلم والكلام وتعلقاتهما :

أما صفة العلم فإنها تتعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق انكشاف ، وللعلم تعلق واحد (تنجيزى قديم) وهو تعلق العلم أزلا بالواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق إحاطة وانكشاف دون سبق خفاء أو جهل .

وأما صفة الكلام فإنها تتعلق بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق دلالة وإفهام ، وللكلام تعلق واحد (تنجيزى قديم) وهو تعلق الكلام فى الأزل بجميع الواجبات والمستحيلات والممكنات تعلق دلالة وإفهام .

بيان متعلق السمع والبصر وتعلقاتهما :

سمع الله — تعالى — وبصره يتعلقان بالموجودات فقط سواء أكانت الموجودات واجبة أم ممكنة ، ولا يتعلقان بالمعدوم سواء أكان المعدوم مستحيلا أم ممكناً ، ولكل من السمع والبصر تعلقات ثلاثة : أحدهما صلوحى قديم وهو صلاحية السمع والبصر فى الأزل للتعلق بما سيوجد من الممكنات . ثانيها : تنجيزى قديم ، وهو تعلقهما أزلا بذات الله وصفاته تعلق انكشاف . ثالثها : تنجيزى حادث ، وهو تعلقهما فعلا بالممكنات بعد وجودها تعلق إحاطة وانكشاف .

واعلم أن تعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة ، وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم ، فجميع الممكنات التى علم الله أزلا أنها ستوجد قد رجحت الإرادة فى الأزل وجودها فيما لا يزال ، وعند مجئ وقت كينونته توجده القدرة على وفق تعلق الإرادة والعلم ، فلا تتعلق القدرة بوجود مالم يرد الله وجوده ؛ كما أن الإرادة لا ترجح وجود ما علم الله عدم وجوده ولا يقع فى ملك الله إلا ما أراده ، فجميع الكائنات واقعة بقدرة الله ومراده له سواء أكانت الكائنات إيمانا أم كفرا ، طاعة أم معصية ، وهذا ما أجمع عليه أهل السنة وأيدته الأدلة ، قال — تعالى — : (إن الله يفعل ما يريد) ، (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقال — عليه السلام — (ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن) .

الجائز في حق الله تعالى ودليل الجواز :

علمت أن الله متصف بكل كمال يليق بذاته المقدسة ، ومنزه عن كل نقص ، وخالق لجميع الكائنات ، غنى عما سواه ومحتاج إليه كل ماعداه ، له ملك السموات والأرض يتصرف فيه بحكمته على وفق علمه وإرادته . لا شريك له ولا سلطان عليه ، مختار في جميع شئونه ، إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، لا يجب ولا يستحيل عليه شئ من أفعاله — تعالى — :

فالجائز في حقه — تعالى — : فعل كل ممكن وتركه ، كالإيجاد والإعدام والإعطاء والمنع ، والإسعاد والإشقاء ، والثواب والعقاب ، وإثابة المطيع وتعذيب العاصي والعكس ، وفعل الصلاح والأصلح للعباد ، وإرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزات .

والدليل على أنه يجوز على الله فعل كل ممكن وتركه : أنه قد وجب اتصافه بالحياة والقدرة والإرادة والعلم والوحدانية ، فثبت له الاختيار المطلق في جميع شئونه فيجوز منه الفعل والترك لكل ممكن . قال — تعالى — : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » وقال — عليه السلام — (ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن) .

مستحيل على الله ـ تعالى ـ اجمالا وتفصيلا ودليل الاستحالة :

والمستحيل العقلى هو المعدوم الذى لا يقبل الثبوت أصلا لذاته .كاجتماع الحركة والسكون فى محل واحد ، وخلو الجسم عن الحركة والسكون معاً ، وزيادة العشرة على العشرين ، وثبوت العجز والجهل بالنسبة لله ـ تعالى ـ والكذب والخيانه بالنسبة لرسله ـ عليهم السلام ـ .

وكل صفة وجبت لموصوف استحال ضدها على ذلك الموصوف ، فكل ما وجب لله ـ تعالى ـ إجمالا يستحيل ضده إجمالا ، وكل ما وجب تفصيلا يستحيل ضده تفصيلا ، وقد وجب لله ـ تعالى ـ إجمالا كل كمال يليق بذاته المقدسة ، فيستحيل عليه إجمالا كل نقص ، وقد وجب له تفصيلا الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية والقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام النفسى ، فيستحيل عليه ـ تعالى ـ تفصيلا أضدادها ، وهى العدم والحدوث والفناء والمماثلة للحوادث وعدم القيام بالنفس والتعدد والعجز والكراهية بمعنى القهر وعدم الاختيار والجهل والموت والصمم والعمى والبكم .

فيجب على المكلف أن يؤمن باستحالة هذه الأمور عليه ـ تعالى ـ بدل على استحالة هذه الأمور على الله ـ تعالى ـ أنها نقائص تتنافى وجلال الألوهية ، وسمو مقام العظمة والربوبية ، والنقص محال عليه ـ تعالى ـ ، ولأن الله ـ تعالى ـ قد وجب اتصافه بالصفات المضادة لهذه الأمور ، فيستحيل عليه ـ تعالى ـ هذه الأمور .

4/0

النبـوات

حاجة البشر الى الرسالة :

فضل الله الإنسان على كثير من خلقه ، فسخر له الجماد والنبات والحيوان وجعلها طوع إرادته يستخدمها فى تحصيل منافعه ولذائذه وحباه بنعمة العقل ليميز به الخير من الشر والنافع من الضار ويدبر به أموره ، وأودع فيه من الغرائز والقوى ما يحفزه إلى العمل ، ففيه غريزة حب النفس والحرص على حمايتها والاستئثار بالمنافع ، وفيه قوة الشهوة وقوة الغضب ، ولذائذ الإنسان وآماله لا تقف عند غاية ، ومطالبه غير محدودة ، وهو مع هذا أسير شهواته وعبد أطماعه ، ومنقاد لغرائزه وقواه المادية ، وهى داعية إلى الظلم والنزاع والفساد والخراب .

وقد غرز طبع الإنسان أن يعيش أفراده مجتمعة ، يتعاونون على جلب المنافع ودفع المكاره ، ويتبادلون ثمار أعمالهم ، فللفرد عمل يعود على المجموع فى بقائه ، وللمجموع من العمل مالا غنى للفرد عنه فى نمائه وبقائه .

هل يستقيم أمر الإنسان — الذى بنى نظام حياته على التعاون بين أفراده فى شئون هذه الحياة — لو وكل أمره إلى مجرد عقله ؟ كلا ، فليس فى وسع العقل البشرى أن يضع قواعد العدل التى بها يتم نظام العيش فى هذه الحياة ، ولا أن يحدد العلائق والصلات بين الأفراد والجماعات فى المعاملات بحدود الإنصاف والمساواة ، فإن العقول قاصرة وإدراكها متفاوت ، فقد يستحسن جماعة فعلا ويستقبحه آخرون ، بل الشخص الواحد قد يستحسن شيئاً فى وقت ويستقبحه فى وقت آخر فمجرد البيان العقلى لا يدفع نزاعاً ولا يحقق أمنا ،

لم يخلق الإنسان لهذه الحياة القصيرة الفانية ، بل لحياة أبدية باقية أعد الله فيها داراً للنعيم المقيم ، وأخرى للعذاب الأليم ، وجعل عمل الإنسان فى الحياة الدنيا وسيلة إلى حظه من الحياة الأخرى ، والعقل البشرى الذى عجز عن تنظيم شئون هذه الحياة المشاهدة لا يمكنه أن يدرك أحوال الآخرة المغيبة كالبعث والحساب والجنة ونعيمها والنار وعذابها ، ولا يستطيع أن يدرك أنواع العبادات وكيفياتها وشروطها وأوقاتها على الوجه الذى بينته الشريعة ، ولا أن يحدد لكل عمل جزاءه ، ولا يستقل بمعرفة أن عمل كذا مأمور به ومثاب عليه ، وأن عمل كذا منهى عنه معاقب عليه ، وليس فى مقدوره أن يعرف خالقه معرفة تطمئن معها النفس ، وليس فى وسعه أن يعرف جميع ما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقه تعالى .

ولهذا وغيره كان الناس فى حاجة إلى قيادة حكيمة مأمونة الخطأ يخضع لها العام والخاص ، محتاجين إلى من يرشد عقولهم إلى معرفة خالقهم ويبين لهم جلاله وسلطانه القاهر على عباده ليؤمنوا برسله ويذعنوا لأمره ونهيه ، محتاجين إلى رسالة من قبل الله تضع قواعد العدل التى بها يتم نظام العيش فى هذه الحياة ، وتحدد العلائق والصلات بين الأفراد والجماعات بحدود العدل والإنصاف ، محتاجين إلى من يخبرهم من قبل الله عن الحياة الأخرى وما فيها من ثواب يرغب فى الخير ، وعقاب يرهب من الشر لتنظيم علاقتهم على العدل ، محتاجين إلى من يبين لهم عن الله ما كلفهم به من العقائد والعبادات والآداب والمعاملات ، تطهيراً لنفوسهم من دنس الشرك وعبادة الأوثان وتهذيباً لأخلاقهم ونشراً للعدل والسلم بين كافة الناس :

وقد تفضل الله على عباده فبعث إليهم رسلا منهم يرشدون العقول إلى معرفة الله وما يجب أن يعرف عن صفاته ويجمعون كلمة الخلق على إله واحد

لا فرقة معه، وينهضون نفوسهم إلى التعلق به فى جميع أحوالهم ، ويذكرونهم بعظمته تعالى بفرض ضروب من العبادات فيما اختلف من الأوقات تذكرة لمن ينسى ، وتزكية مستمرة لمن يخشى . ويشرعون العدالة التى يخضع لها المالك والمملوك ، فيضعون لهم بأمر الله حدودا عامة يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كاحترام الدماء البشرية إلا بحق مع بيان الحق الذى تهدر لأجله ، وحظر تناول شىء مما كسبه الغير إلا بحق مع بيان الحق الذى يبيح تناوله ، واحترام الأعراض مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع ، ويبينون لهم الملكات الفاضلة كالأمانة والصدق والوفاء بالعهود والرحمة بالضعفاء والإقدام على نصيحة الأقوياء والاعتراف لكل مخلوق بحقه ، وأن يعين قويهم ضعيفهم ويهدى راشدهم ضالهم ، ويمد غنيهم فقيرهم ، ويحملونهم على تحول أهوائهم عن طلب اللذائذ الفانية إلى طلب الرغائب السامية ، آخذين فى ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والإنذار والتبشير حسبما أمرهم العليم الحكيم .

رسل الله وبيان ما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حقهم :

تفضل الله على عباده فأرسل إليهم رسلا كثيرين للهداية والإرشاد للتهذيب والإصلاح ، والرسول شرعاً : إنسان حر من بنى آدم أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبى : إنسان حر من بنى آدم أوحى الله إليه ، سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر به فالرسول أخص من النبى ، لاشتراط التبليغ فيه دون النبى ، فكل رسول نبى ولا عكس .

ويجب الإيمان برسل الله وأنبيائه ، لأن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان من أخل به يكفر لقوله — تعالى — : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله » وقال — عليه السلام — (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) فيجب

الإيمان إجمالا بأن الله بعث رسلا وأنبياء كثيرين مع تفويض علم عددهم إلى الله، ويجب الإيمان تفصيلا بمن ذكروا فى القرآن تفصيلا وهم خمسة وعشرون رسولا على الصحيح : سيدنا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح وآدم وإدريس وهود وشعيب وصالح وذوالكفل وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحيى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط عليهم السلام ، فمن أنكر بعضهم يكفر ، وأولو العزم خمسة ، سيدنا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح . والعزم الصبر وتحمل المشاق وهؤلاء تحملوا أكثر من غيرهم من بقية الرسل .

ويجب الإيمان أيضا بأن الله صدق رسله بالمعجزات ، وعصمهم من المعاصى والدناءات ، وأنه أنزل على بعضهم كتباً فيها هدى ونور ، والذى ثبت تعيينه من هذه الكتب وجب الإيمان به بعينه كالزبور والتوراة والإنجيل والقرآن والذى لم يثبت تعيينه وجب الإيمان به إجمالا .

بيان ما يجب للرسل اجمالا وتفصيلا ودليله :

يجب للرسل إجمالا كل كمال بشرى كالعدل والوفاء بالعهد والشجاعة والمروءة والكرم وعلو النسب وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة . ويجب لهم تفصيلا الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

فالصدق : مطابقة خبرهم للواقع ، فيجب للرسل الصدق فى دعوى الرسالة وفيما يبلغونه عن الله وفى جميع أقوالهم ، والدليل على وجوب الصدق للرسل : أن الله صدقهم بالمعجزات ، وكأنه — تعالى — يقول : صدق عبدى فيما يبلغ عنى ، ولو جاز عليهم كذب ما صدقهم الله، لأن تصديق من يجوز عليه الكذب كذب ، والكذب محال على الله ، فاستحال عليهم الكذب ، ووجب لهم الصدق . قال — تعالى : —(وصادق الله ورسوله)، (وما ينطق عن الهوى)، (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) .

والأمانة: حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه، فلا يتركون مأموراً به ولا يفعلون منهياً عنه، والدليل على وجوب الأمانه للرسل: أن الله أمرنا باتباعهم، ولو جازت عليهم خيانة بفعل منهي عنه أو بترك مأمور به ما أمرنا الله باتباعهم، لأن الله لا يأمر باتباع الخائنين فاستحالت عليهم الخيانة ووجبت لهم الأمانة قال — تعالى — : (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) ، (إني لكم رسول أمين) ، (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) .

والتبليغ : إيصال الرسل جميع ما أمرهم الله بتبليغه إلى من أرسلوا إليهم، فيجب الإيمان بأنهم بلغوا ما أمروا بتبليغه، ودليل وجوب التبليغ للرسل: أن كتمان شيء مما أمروا بتبليغه خيانة ومضيع لفائدة الرسالة، والخيانة مستحيلة عليهم، فاستحال عليهم الكتمان ووجب لهم التبليغ، قال — تعالى — : (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) .

والفطانة: ذكاء العقل وحدته وسرعة الإدراك وحضور البديهة، وقوة الحجة والدليل على وجوب الفطانة للرسل أنهم أرسلوا للإرشاد بالأدلة وإقامة الحجج لإثبات ما جاءوا به وإبطال شبه المنكرين ولا يكون ذلك إلا بالفطانة، فلو لم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن إقامة الحجج، وكان إرسالهم عبثا والعبث محال عليه — تعالى —، فاستحالت عليهم البلادة ووجبت لهم الفطانة، قال تعالى — : (وجادلهم بالتي هي أحسن) ، (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) ، (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) وأيضا فالله قد اختارهم لتبليغ شرائعه إلى عباده، والله — تعالى — لا يختار للتبليغ عنه من يجوز عليه كذب أو خيانة أو كتمان أو بلادة .

المستحيل على الرسل اجمالا وتفصيلا ودليله:

يستحيل على الرسل إجمالا كل نقص بشرى يخل برسالتهم أو يؤدى إلى نفرة الناس منهم كقسوة القلب ودناءة الأصل والجبن والظلم والغدر والفجور فى الحكم وخلف الوعد ونقض العهد والكبرياء والجنون والخذام والبرص وسائر المنفرات. ويستحيل عليهم تفصيلا الكذب والخيانة والكتمان والبلادة.

والدليل على استحالة هذه الأمور على الرسل أنها نقائص تخل برسالتهم وتضيع فائدتها وتؤدى إلى نفرة الناس عنهم، وكل ما يخل بالرسالة يستحيل على الرسل، ولأن الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة قد ثبت وجوبها لهم بالدليل فتستحيل أضدادها عليهم.

الجائز فى حق الرسل ودليل الجواز:

تجوز على الرسل الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص فى حقهم أو إلى نفرة الناس منهم، كالأكل والمشى فى الأسواق والزراعة والتجارة والصناعات الشريفة والمرض غير المنفر وامتداد أيدى الظلمة إليهم بالأذى وقد يقتل الأنبياء؛ قال — تعالى — : (ويقتلون النبيين بغير حق) والدليل على جواز هذه الأعراض ونحوها على الرسل مشاهدة وقوعها منهم وبهم.

بيان المعجزة وفائدة ظهورها على يد الرسل:

أيد الله رسله بمعجزات تدل على أنهم رسل الله حقاً، وأنهم صادقون فى دعواهم إذ لولا ظهور المعجزة على أيديهم ماوجب قبول أقوالهم والاقتداء بهم، وما ظهر الصادق فى دعوى الرسالة من الكاذب فيها.

والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة وفق مراده تصديقاً له فى دعواه مع عجز جميع المخلوقات عن الإتيان بمثله، وخرج بقولنا : « خارق للعادة » السحر والشعوذة وغرائب المخترعات فليست خارقة للعادة بل معتادة وتعرف بالتعليم، ولها قواعد يعرفها بعض الناس ويجهلها كثير منهم إلا أنها غريبة بالنسبة لمن يجهل قواعدها. وخرج بقولنا : (يظهره الله على يد مدعي النبوة) الإرهاص والكرامة والمعونة والاستدراج فليست بمعجزات وإن كانت خارقة للعادة لعدم ظهورها على يد مدعي النبوة إذ الإرهاص خارق يظهر قبيل بعثة نبي تأسيساً للنبوة وتمهيداً لها ، كإظلال الغمامة لنبينا قبل الرسالة ، والكرامة خارق يظهر — يد ظاهر الصلاح غير مدع للنبوة إكراماً له ، والمعونة خارق يظهر له على يد مستور الحال غير مدعي النبوة تخليصا له من شدة مثلا . والاستدراك خارق يظهر على يد مدعي الألوهية على وفق مطلوبه خديعة. وخرج بقولنا : (على وفق مراده تصديقاً له) الإهانة فإنها خارق يظهره الله على يد مدعي النبوة كذباً مخالفاً لمطلوبه ومراده تكذيباً له ، كما حصل لمسيلمة الكذاب فإنه تفل فى عين أعور لتبرأ فعميت العين السليمة .

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل :

المعجزة من أقوى الأدلة على صدق الرسل، لأن الرسول يستند إليها فى دعواه أنه مبلغ عن الله ، فإظهار الله لها عند ذلك يعد تصديقاً منه — تعالى — للمدعي فى دعواه ، ولو كان كاذبا ما صدقه الله ؛ لأن تصديق الكاذب كذب وهو محال على الله .

امكان المعجزة ووقوعها والدليل عليها :

أجمع جمهور المسلمين على أن العقول السليمة لا تجد مانعاً من تصديق الله رسله بخارق العادات ، وكون المعجزة مخالفة للسير الطبيعي المألوف

فى إيجاد الله الكائنات لا ينافى إمكانها، فإن مخالفة السير المألوف فى الإيجاد مما لم يقم دليل على استحالته، بل ذلك مما يشاهد وقوعه، كما فى حال المريض يمتنع عن الأكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات مع وجود العلة التى تزيد الضعف وتساعد الجوع على الإتلاف ؛ ويدل على وقوعها أنه نقل إلينا تواتراً أن الله أيد رسله بالمعجزات . وفى الكتاب والسنة كثير من ذلك .

ومن معجزاته انشقاق القمر . أجمع جمهور المسلمين على أن الله أيد محمداً بانشقاق القمر وسندهم الكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله — تعالى — : (اقتربت الساعة وانشق القمر) وأما السنة فقد روى حدوث انشقاق القمر جماعة من كبار الصحابة منهم أنس وابن مسعود وابن عباس وعلى وحذيفة ابن اليمان وجبير بن مطعم : وهاك حديث أنس . روى البخارى ومسلم من طريق أنس أن أهل مكة سألوا النبى أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما . ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة حتى شرب القوم والدواب ومنها رد عين قتادة بن النعمان ، فقد أصيبت عينه فى غزوة أحد حتى وقعت على خده فردها فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً ، ومنها حنين الجذع الذى كان النبى يخطب مستنداً إليه حين انتقل عنه إلى المنبر .

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعمومها وختمها للرسالات والنبوات :

كان من رحمة الله بجميع الأمم أن بعث إليهم سيدنا محمداً — عليه الصلاة والسلام — لهدايتهم وإرشادهم إلى مافيه سعادتهم فى الدارين ، بعثه لتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق ، ورفع منار العدل والسلم بين كافة الناس ، بعثه ليقتنع من النفوس فاسد العقائد ورذيل الأخلاق وذميم العادات ، ويغرس فيها صحيح العقائد ومكارم الأخلاق وصالح العادات أرسله بدين صالح لكل زمان ومكان

وجعله خاتماً للنبيين والمرسلين ، وجعل شريعته ناسخة لما قبلها من الشرائع ورسالته عامة للإنس والجن إلى يوم القيامة .

فيجب الإيمان بأن محمداً رسول الله وخاتم النبيين والمرسلين ، ومرسل للإنس والجن أجمعين إلى يوم القيامة .

والدليل العقلي على رسالة محمد أنه ادعى الرسالة وأظهر الله على يديه كثيراً من المعجزات التي أعظمها القرآن الكريم تصديقاً لدعواه ، وكل من أدى الرسالة وأيده الله بالمعجزات يكون رسول الله حقاً .

أما دعوى محمد الرسالة فمتواترة تواتراً ألحقها بالمشاهدة فلا سبيل إلى إنكارها. وأما ظهور المعجزة على يديه فقد تواتر أيضاً أنه أتى بخوارق العادات وتحدى بها القوم فعجزوا عن معارضتها والإتيان بمثلها ، وقال — تعالى — : (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) ، (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ، (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ، (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)؛

ودليل رسالته من القرآن (وأرسلناك للناس رسولا) ، (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)الآية .

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)ومن السنة (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

والدليل على عموم رسالته لجميع الإنس والجن من القرآن : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) . (وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا

يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) . ومن السنة (بعثت إلى الناس كافة) .

والدليل على أنه خاتم المرسلين والنبيين من القرآن (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ومن السنة (أنا العاقب فلا نبى بعدى) .

ومما يدل على أن محمداً رسول الله ، وأنه خاتم النبيين والمرسلين وأن رسالته عامة ما رواه الترمذى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : (فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة. وختم بى النبيون) .

420

السمعيات

السمعيات وطريق ثبوتها :

السمعيات هى الأمور التى لا تؤخذ إلا بالسماع من الصادق، ولا يستقل العقل بإدراكها ، وطريق ثبوتها الكتاب والسنة .

سؤال القبر (١) ودليله وحكم الايمان به :

سؤال الملكين للميت عن ربه ودينه ونبيه أمر ممكن عقلا ، وقد ورد به الكتاب والسنة وأجمع عليه الجمهور ، فيجب الإيمان به وإنكاره بدعة. أما الكتاب فمنه : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين) فقد قال ابن عباس فى تفسيرها ، الشهادة يسألون عنها فى قبورهم بعد موتهم ، وقال عكرمة فى تفسيرها ، يسألون عن الإيمان بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وأمر التوحيد ، فيجيب بما يوافق ما مات عليه من إيمان أو كفر أو شك ومنه (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا) فإن الموتة الثانية هى التى فى القبر بعد السؤال على أحد القولين فى تفسير الآية . وأما السنة فمنها ما روى عن سيدنا عثمان قال : كان النبى — صلى الله عليه وسلم — إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « استغفروا لأخيكم فإنه الآن يسأل » ومنها ما روى أنه بعد انصراف الناس من دفن الميت يأتيه ملكان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير يقعدانه فيعيد الله الروح فيه فيحيا حياة متوسطة بين

---

(١) المراد من سؤال القبر سؤال العبد بعد موته وإن لم يقبر بأن أكلته السباع أو الأسماك أو حرقته النار وذرته الرياح ، ولما كان الغالب فى الموتى أن يقبروا ، عبر بسؤال القبر نظرا للغالب .

الموت والحياة المعروفة ويرد إليه من الحواس والعقل ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجواب حين يسأل ، وعندئذ يقول الملكان له: من ربك ؟ وما دينك ؟ وما تقول فى الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول المؤمن : ربى الله ودينى الإسلام ، والرجل المبعوث فينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً فى الجنة فيراهما جميعاً . أما الكافر أو المنافق فيقول :لا أدرى، كنت أقول ما يقوله الناس فيه، فيقولان له : لا دريت ولا تليت. ثم يصيبه من العذاب ما قدر له، والأنبياء والشهداء والصديقون لا يسألون، ويؤخذ من الحديث المتقدم أن السؤال للبدن والروح .

نعيم القبر وعذابه ودليلهما وحكم الايمان بهما :

نعيم القبر وعذابه ورد بهما الكتاب والسنة وأجمع عليهما الجمهور فيجب الإيمان بهما ، وإنكارهما بدعة وضلالة ، أما الكتاب فمنه فى حق الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله) الآية . ومنه فى قوم نوح : (أغرقوا فأدخلوا ناراً) والفاء للتعقيب . ومنه فى آل فرعون (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) فإن الظاهر من إدخالهم فى أشد العذاب هو إدخالهم النار ، وظاهر أن إدخالهم النار غير عرضهم عليها بدليل العطف ، وإذا كان إدخالهم النار فى يوم القيامة – بدليل (ويوم تقوم الساعة) كان عرضهم على النار فى غير يوم القيامة – وإذا لم يكن بعد القيامة اتفاقاً كان قبل يوم القيامة بالضرورة ، ولا جائز أن يكون عرضهم على النار فى حال حياتهم الدنيوية ، فتعين أن يكون العرض بعد موتهم إلى قيام الساعة، فثبت أن فى القبر عذاباً، وأما السنة فمنها : (القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة

من حفر النار) ومنها ما روى أنه – عليه السلام – مر بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير . ثم قال : بلى ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة . وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله .

وذهب بعض المعتزلة إلى إنكار سؤال القبر ونعيمه وعذابه . وشبههم أن السؤال والجواب واللذة والألم لا تتصور بدون الحياة ، ولا حياة مع فساد البنية ، والمشاهدة تساعد على إنكار هذه السمعيات . فإننا نرى الميت يبقى مدة من غير تحرك ولا تكلم ولا نرى أثر تلذذ أو تألم ، وربما دفن فى لحد ضيق لا يتصور فيه جلوس ، وأبلغ منه من أحرقته النار وذرته الرياح ، والجواب إجمالا أن ما ذكره المنكرون لا يدل على استحالة هذه السمعيات ، وإنما يدل على استبعادها ، والاستبعاد لا ينافى إمكانها ؛ والجواب تفصيلا أن قولهم : لا حياة مع فساد البنية ممنوع ، لأنه لا يشترط فى تحقيق الحياة البنية ولو سلم اشتراطها فلا مانع من أن يحفظ الله من الأجزاء جزءاً تقوم به الحياة والإدراك ولا يلزم فى الحياة البرزخية أن تتعلق الروح بجميع أجزاء البدن ، لأنها حياة أقل من الدنيوية ، وعندئذ يسأل الميت ويجيب وينعم أو يعذاب ، وقولهم : قد يدفن الميت فى لحد ضيق لا يتصور فيه جلوس ، لا يفيدهم ؛ فإنه لا مانع من أن يوسع الله اللحد ، وقولهم : نرى الميت يبقى مدة من غير تحرك وتكلم لا يدل لهم ، فإنه ليس ببعيد أن لا يشاهد الناظر ما يجرى على الميت لحكمة يستبعدها والواحد منا يجلس بجوار نبينا وهو يشاهد جبريل ويسمع كلامه ولا شعور لمن حول المصطفى من الصحابة بذلك .

النشر ودليله وحكم الايمان به :

النشر والبعث معناهما واحد[1] وهو إحياء الله الموتى وإخراجهم من

قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية ، وهو أمر ممكن عقلا ، وقد ورد به الكتاب والسنة وأجمعت عليه الشرائع كلها فيجب الإيمان به ومنكره كافر لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة ١

الدليل على إمكان النشر عقلا أن أجزاء الميت قابلة للإعادة والتأليف والحياة . والله عالم بأجزاء كل بدن ، وقادر على إعادتها وتأليفها وإحيائها وإذا كانت الأجزاء قابلة لما ذكر وكان الله عالما بها وقادرا على إعادتها وتأليفها وإحيائها — كان النشر ممكنا عقلا .

أما الآيات الدالة على وقوع النشر فكثيرة منها: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير) ، (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ، (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) ، (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) ، (قال من يحيي العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وأما السنة فمنها ما روى أن أبى بن خلف خاصم النبى — ﷺ — وأتاه بعظم قد رُمَّ وبلى قبضة ففتته وقال: **يامحمد أترى الله يحيي هذا بعد مارم ؟ قال — عليه السلام — : نعم ويبعثك ويدخلك النار .**

الحشر ودليله وحكم الايمان به :

الحشر سوق العباد بعد بعثهم إلى موقف الحساب للقضاء بينهم (٢) — وقد

---

(١) وقيل : النشر والبعث متغايران . لأن البعث إحياء الله الموتى ، والنشر إخراجهم من القبر بعد بعثهم ، فالمراد بالنشر الإحياء والإخراج معا .

(١) هذا هو الحشر الأول من الحشرين اللذين يكونان فى الآخرة ، والثانى سوق الناس

وردت به النصوص الشرعية فيجب الإيمان به ومنكره كافر ، لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة . وقال – تعالى – : (يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير) ، (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وأحوال الناس فى الحشر مختلفة : فمنهم الراكب وهم المتقون ، ومنهم الماشى على رجليه وهم قليلو العمل ، ومنهم الماشى على وجهه وهم الكفار ، ومنهم من هو على صورة القرد وهم الزناة ومنهم الأعمى وهو الجائر فى الحكم ، ومنهم الأصم الأبكم وهو المعجب بعمله ومنهم من يمضغ لسانه ويسيل العرق المنتن من فيه وهم الوعاظ الذين تخالف أعمالهم أقوالهم ، ومنهم من هو أشد نتنا من الجيفة وهم المقبلون على الشهوات المانعون للزكاة . وأول من تنشق عنه الأرض ويبعث سيدنا (محمد) كما أنه أول من يرد المحشر وأول من يدخل الجنة جعلنا الله فى زمرته .

الصراط ودليله وحكم الايمان به :

الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم يرده جميع الخلائق المؤمنين وغيرهم وهو من السمعيات التى ورد بها الكتاب والسنة فيجب الإيمان به. قال تعالى : (فاستبقوا الصراط) وقال – عليه السلام – : « يضرب الصراط على ظهر جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجوزه » .

من موقف الحساب إلى الجنة وإلى النار بعد محاسبتهم ، وأما حشر الدنيا فنوعان : الأول إخراج النبي – عليه السلام – اليهود من المدينة إلى الشام المشار إليه بقوله تعالى – (وهو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) والثانى سوق النار التى تظهر يوم القيامة من عدن جميع الأحياء إلى المحشر فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا.

وقد ورد أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، وبعض أهل السنة أبقاه على ظاهره ، وقال : لا مانع من مرور العباد عليه وهو بهذه الحالة ؛ لأن قدرة الله صالحة لتمكينهم من هذا ، وبعضهم قال : إن وصفه بذلك لم يقصد منه ظاهره ، بل هو كناية عن شدة المشقة التي تلحق بعض المارين ، وورد أيضاً أن جبريل أوله وميكائيل فى وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه ، وعن شبابهم فيما أبلوه ، وعن عملهم ماذا عملوا به وعن مالهم من أين اكتسبوه وأين أنفقوه وفى حافتيه كلاليب معلقة تأخذ من أمرت بأخذه .

والناس متفاوتون فى المرور على الصراط سرعة وبطئا أو نجاة من النار ووقوعا فيها حسب تفاوت أعمالهم ، منهم من يجوز الصراط كلمح البصر ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف . ومنهم من يجوز الصراط كالريح العاصف ومنهم من يجوز كالطير ، ومنهم من يجوز كالجواد السابق ومنهم من يجوز سعيا ومنهم من يجوز مشيا ومنهم من يجوز حبوا ومن الناس من لا يجوز الصراط بل يسقط فى جهنم إما على التأبيد وهم الكفار ، أو إلى مدة محددة وهم بعض عصاة المؤمنين أراد الله تعذيبهم فى جهنم مدة .

وأنكر بعض المعتزلة الصراط وقالوا : من يثبت الصراط يصفه بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وعلى تقدير كونه كذلك فلا يمكن العبور عليه وإن أمكن ففيه مشقة على الأنبياء والصالحين مع أنه لا يلحقهم تعب يوم القيامة . فيجب حمل الصراط فى النصوص الشرعية على طريق الجنة أو طريق النار . وأجاب أهل السنة بأن الله يمكن الناجين من العبور عليه ويسهله عليهم بحيث لا تلحقهم مشقة .

والذي يجب اعتقاده أن فى الآخرة صراطا ، لأن هذا معلوم من الدين بالضرورة . وما عدا ذلك من أن الصراط جسر على جهنم أو ليس جسرا بل هو كناية عن طريق الجنة أو طريق النار — فليس عقيدة يكفر الشخص بإنكارها ، إلا أن الظاهر من الأحاديث ومن إجماع الجمهور على أن الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم فمن أنكر الصراط بأى معنى فهو كافر لإنكاره معلوما من الدين ، ومن آمن بأن فى الآخرة صراطا وحمله فى النصوص على طريق الجنة والنار فهو مؤمن مبتدع ، لمخالفته ظواهر الأحاديث وإجماع الجمهور ، ومن آمن بأن فى الآخرة صراطا وأنه جسر على جهنم فهو مؤمن سليم العقيدة .

الميزان والوزن ودليلهما وحكم الايمان بهما :

الميزان والوزن يوم القيامة ورد بهما الكتاب والسنة فيجب الإيمان بهما قال — تعالى — : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » . « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » .

ومذهب جمهور أهل السنة أن الميزان آلة حسية لها لسان وكفتان يدل لهذا ما رواه الترمذى عن عمرو بن العاص أن رسول الله — ﷺ — قال : « إن الله يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الأشهاد يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : ألك عذر ؟ فيقول : لا يارب فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة ، وأنه لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول : أحضر وزنك فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ قال :

فإنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شئ .

والمشهور عند أهل السنة أنه ميزان واحد لكل الأعمال ولجميع الأمم والجمع فى (ونضع الموازين القسط) للتعظيم . وقيل : لكل شخص موازين عدة يوزن بكل واحد منها صنف من أصناف أعماله أخذاً من (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه) الآية .

واختلف فى الموزون: أهو صحف الأعمال ؟ فالكثير يرى أن الموزون صحف الأعمال ويؤيده الحديث المتقدم ، وما ورد عن النبى أن الذى يوزن صحف الأعمال ؛ والقليل يرى أن الذى يوزن نفس الأعمال فتصور الحسنات بصورة نورانية وتوضع فى الكفة اليمنى ، وتصور السيئات بصورة ظلمانية وتوضع فى الكفة اليسرى .

والوزن للمؤمن والكافر ، وأما قوله — تعالى — فى حق الكافرين: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فمعناه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً نافعاً ، والوزن لا يكون للأنبياء والملائكة ومن يدخل الجنة بغير حساب .

وأنكر جمهور المعتزلة الميزان والوزن الحسيين ، وحملوا الميزان والوزن فى الآيات على رعاية العدل . وشبههم أن الأعمال أعراض قد انقضت فلا يمكن إعادتها ، وعلى فرض إعادتها فلا يمكن وزنها ، إذ لا توصف الاعراض بالخفة والثقل لأنهما من خواص الجوهر ، وأيضا فالوزن إنما يكون للعلم بمقادير الأشياء والله عالم بالأشياء ومقاديرها بلا وزن فوزنها عبث .

والجواب : الموزون صحف الأعمال . فقد سئل النبى كيف توزن الأعمال؟ فقال : (إن كتب الأعمال هى التى توزن) . وقولهم : لا فائدة فى وزنها ممنوع ، لأن من حكم الوزن أن يظهر للعبد العدل فى العقاب والفضل فى العفو ،

إستزدت ربك قال : استزدته فزادنى ثلاث حثيات بيده الكريمة . والثلاث حثيات ثلاث دفعات من غير عد كناية عن الكثرة ، واليد الكريمة كناية عن الرحمة الواسعة » .

الثواب والعقاب ودليلهما وحكم الايمان بهما :

الثواب والعقاب — فى الآخرة على ما قدمه المرء فى الدنيا من الطاعات والمعاصى — قد وردت بها النصوص الشرعية كثيرا ، وأجمعت عليهما الشرائع كلها ، فقد أمر الله المكلفين بالطاعات ووعدهم عليها ثوابا ، ونهاهم عن المعاصي وأوعدهم عليها عقابا : أعد للمطيعين الجنة ونعيمها ، وأعد للعصاة النار وعذابها ، قال — تعالى — : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (كل امرئ بما كسب رهين) فيجب الإيمان بأن فى الآخرة ثوابا للمطيعين ، وعقابا للعاصين ، ومنكر ذلك كافر لأنه معلوم من الدين بالضرورة .

أما الثواب ففضل من الله وكرم ، وليس بواجب عليه — تعالى — أن يثيب المطيعين ، لأنه — تعالى — مالك جميع الكائنات وفاعل بالاختيار ، فلا يجب عليه شيء أصلا ، لأن الطاعات مهما كثرت لا تفى بشكر نعمة من الله على عباده ، ولأن الطاعة فائدتها عائدة على العباد لا على الله ، لأنه — تعالى — لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية ولا حق لأحد فيه إن أثاب فبفضله ، وإن عاقب فبعدله ، فلا يستحق المطيع على طاعته من الله ثوابا إلا أنه — تعالى — تفضل على المطيعين بالثواب ووعدهم به وأخبر بذلك فى كتبه وعلى ألسنة رسله ، فلابد أن يفى به . قال — تعالى — : (وعد الله

لا يخلف الله وعده) وقال – عليه السلام – : (ومن وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له) .

وأما العقاب فعدل من الله لأن العصاة قد خالفوا باختيارهم أمر الله ونهيه ، فاستحقوا بذلك العقاب (وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) .

خلود الجنة والنار ودليله وحكم الايمان به :

الجنة دار الثواب التى أعدها الله للمطيعين والنار دار العقاب التى أعدها الله للعاصين ، وهما من السمعيات التى أطبقت عليها الشرائع كلها ، فيجب الإيمان بوجودهما الآن وفى الآخرة ومنكر وجودهما الآن وفى الآخرة كافر لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة . وقد أنكرهما بعض الفلاسفة لأنهم ينكرون الآخرة وأحوالها ، ومن أنكر وجودهما الآن ، وآمن بوجودهما فى الآخرة فهو فاسق لمخالفته ظواهر النصوص وإجماع الصحابة وجمهور المسلمين وأنكر ذلك بعض المعتزلة .

وخلود الجنة ونعيمها وأهلها ، والنار وعذابها وأهلها قد أجمع عليه المسلمون وورد به الكتاب والسنة وأطبقت عليه الشرائع ، فيجب الإيمان به ومنكره كافر لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة .

قال – تعالى – : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) ، (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) وقال : (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين

فيها) ، (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال عليه السلام : « إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد بين الجنة والنار : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت » .

وذهبت الجهمية إلى أن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما فى الآخرة وشبهتهم أن الجنة والنار لو لم تفنيا فى الآخرة للزم مشاركتهما لله — تعالى — فى البقاء ، وذلك باطل ، ورد عليهم المسلمون بأنه لا يلزم من خلودهما مشاركة الله فى البقاء لأن بقاء الله واجب لذاته وبقاءهما ممكن لذاته ومستمد من الله ، فلا مشاركة .

الملائكة ودليل وجودهم وحكم الايمان بهم :

الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال حسنة فقط ولا تحكم عليهم الصورة ، مسكن غالبهم السماء ، ومنهم من يسكن الأرض (يسبحون الليل والنهار لا يفترون . لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا ينامون ، ولا يتناكحون ولا يتوالدون ، ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ولا بخنوثة . ومن وصفهم بذكورة فسق ، ومن وصفهم بأنوثة كفر لمعارضة قول الله : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا — الآية) وأولى بالكفر من وصفهم بخنوثة لمزيد النقص .

وقد ثبت وجودهم بالكتاب والسنة والإجماع ، فيجب الإيمان بهم ، ومنكرهم كافر لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة : قال — تعالى — : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : (الإيمان أن يؤمن بالله وملائكته

وكتبه ورسله) فيجب الإيمان إجمالا بأن لله ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله ويجب الإيمان تفصيلا بمن ثبت تعيينه بالشخص أو بالنوع فالذى ثبت تعيينه بالشخص سيدنا جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ومنكر ونكير عليهم السلام :

والذى ثبت تعيينه بالنوع حملة العرش وهم فى الدنيا أربعة وفى الآخرة ثمانية (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)، والحفظة وهم الموكلون بحفظ العباد من المضار (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) ولا يفارقون العبد ولو كان فى بيت فيه جرس أو كلب أو صورة، كما لا يفارقونه عند الغائط والجماع والغسل . وأما حديث : (لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس) ونحوه فالمراد بهم ملائكة الرحمة لا ملائكة الحفظ . والكتبة الحافظون : هم الذين يحفظون ما يصدر عن العبد ويكتبونه قولا كان أو فعلا أو اعتقاداً خيراً أو شراً حتى قوله : (أكلت . شربت . ذهبت) كما جاء ذلك عن ابن عباس فى تفسير قوله — تعالى — : (وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) ولا يفارقون العبد ولو كان فى بيت فيه جرس أو كلب أو صورة وقد يفارقونه فى حالات ثلاث : عند الجماع وعند الاغتسال وعند الغائط ، والصحيح أنهما ملكان أحدهما لكتب الحسنات ، والثانى لكتب السيئات ، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا فعل حسنة بادر بكتبها ملك الحسنات ، وإذا فعل سيئة قال كاتب السيئات لكاتب الحسنات أأكتب ؟ فيقول له : لا ، لعله يستغفر أو يتوب فإذا مضى ست ساعات فلكية بدون استغفار قال ملك الحسنات لكاتب السيئات : أكتب أراحنا الله منه . قال — تعالى — : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) . ومعنى رقيب حافظ ، ومعنى عتيد حاضر ، وهما وصفان لكل ملك من ملائكة الكتابة وليس رقيب اسما للملك ، وعتيد اسما لملك آخر ، كما يتوهم .

الجن ودليل وجودهم وحكم الايمان بهم :

الجن أجسام لطيفة نارية قادرة على التشكيل بأشكال حسنة وقبيحة وتحكم عليهم الصورة : لهم قدرة عظيمة على الأفعال العجيبة والأعمال الشاقة ، وهم مكلفون من حين الخلقة ، وقد أرسل إليهم نبينا محمد ﷺ منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتوالدون. ومنهم من لا يأكل ولا يشرب وقد ثبت وجودهم بالكتاب والسنة والإجماع فيجب الإيمان بوجودهم ومنكر وجودهم كافر لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة قال -تعالى- : (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) ؛ (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) ، (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) . (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) . (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) .

الآيات التي ترشد إلى معرفة الله تعالى :

قال تعالى : (فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) و (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) و (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) ، (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) و (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) .

ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ﷺ) : « ويل لمن لاكها بين لحييه ولم يتفكر فيها » فتوعد عليه السلام من يترك التفكير الموصل والدليل الموصل إلى معرفة الله وكل العقائد .

تمرين

عرف الوحدانية واستدل على وجوبها لله تعالى بالدليل النقلي والعقلي .

حقيقة الإيمان وبيان المذاهب فيها :

الإيمان لغة : مطلق التصديق ، وشرعًا : فيه مذاهب ، والمشهور منها مذهبان ، أحدهما: مذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية ، وهو أن الإيمان تصديق نبينا محمد (ﷺ) بالقلب فيما علم مجيئه من الدين بالضرورة أى التصديق بكل ما اشتهر بين المسلمين أنه من دين نبينا محمد (ﷺ) وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة بحيث يعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال ، كوجود الله تعالى ووحدانيته ، وقدرته ، وإرادته ، وعلمه ، وملائكته ، وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، وكتبه المقدسة ، وكاليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب وجنة ونار وثواب وعقاب ، وكوجوب الصلاة والصوم ، وحرمة القتل والخمر .

ويكفى التصديق الإجمالى فيما يلاحظ إجمالا كغالب الملائكة والأنبياء والكتب المقدسة ويشترط التصديق التفصيلى فيما يلاحظ تفصيلا كسيدنا محمد وإبراهيم وموسى وعيسى وجبريل وميكائيل وإسرافيل والقرآن والتوراة والإنجيل .

والمراد بتصديق النبى (ﷺ) : الإذعان والقبول والتسليم لما جاء به ، وترك العناد والتكبر ، ولا يكفى فى الإيمان مجرد اعتقاد صدق النبى (ﷺ) ، وأنه رسول الله حقا ، فإن كثيرًا ممن كانوا فى زمنه عليه السلام كانوا يعتقدون صدقه ، وأن ما جاء به حق ، ومع ذلك لم يكونوا مؤمنين لأنهم لم يذعنوا له ، ولم يقبلوا ما جاء به ، ولم يتركوا العناد والتكبر ، قال تعالى :

(يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

وقال تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) .

وعلى هذا المذهب فالأعمال الصالحة ، والنطق بالشهادتين غير داخلين فى حقيقة الإيمان ، لأنه مجرد التصديق بالقلب ، والأعمال الصالحة شرط كمال للإيمان ، لا يفقد الإيمان بفقدها ، والنطق بالشهادتين شرط لإجراء الأحكام الدنيوية بالنسبة لكافر يريد أن يدخل فى الإيمان ، لأن الإيمان خفى فلابد له من علامة تدل عليه ، وهى النطق بالشهادتين فى حق القادر على النطق ، أو ما يقوم مقام النطق بهما فى حق العاجز عن النطق .

فمن صدق بقلبه من الكفار ونطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله فيدخل الجنة ، ومؤمن عندنا فنعامله معاملة المسلمين ، ومن صدق بقلبه ولم ينطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله ، وليس بمؤمن عندنا ، فلا نعامله معاملة المسلمين ، أما من بلغ من أولاد المسلمين ، فالنطق بالشهادتين ليس شرطا لإجراء الأحكام الدنيوية عليه ، وهو مؤمن عندنا ولو لم ينطق بهما مدة حياته ، لأن الأصل فيه الإيمان . إلا إذا ظهر عليه ما ينافى الإيمان فنحكم عليه بالكفر ، كأن يسجد لصنم ، أو يصف المولى سبحانه وتعالى بما لا يليق بذاته المقدسة ، أو يسب أنبياءه ، أو ملائكته عليهم الصلاة والسلام ، أو كتبه المقدسة ، وكأن يستخف بالمصحف والكعبة ، ويستهزىء على الشريعة ، وكأن يستحل محرما مجمعا على تحريمه كشرب الخمر ، والزنا والقتل ، وكأن ينكر معلوما من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والصوم والحج والزكاة ، لأن وجود هذه الأشياء منه يدل على أن قلبه غير عامر بالإيمان .

والنطق بالشهادتين واجب وجوب الفروع مرة فى العمر على كل مكلف ، كحمد الله تعالى ، والصلاة على النبى محمد (ﷺ) فتاركه مؤمن آثم .

ثانى المذهبين فى حقيقة الإيمان مانقل عن الإمام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه واشتهر عن أصحابه وبعض الأشاعرة ، وهو أن الإيمان : تصديق النبى محمد (ﷺ) بالقلب والنطق بالشهادتين . فهو مركب من جزئين ، ولا يتحقق إلا بهما معا إلا فى حق العاجز عن النطق والمكره ، فإيمانهما يتحقق بتصديق القلب فقط ، ولا يتوقف على النطق بالشهادتين ، فالتصديق بالقلب جزء من حقيقة الإيمان لا يحتمل السقوط اصلا ، والنطق بالشهادتين جزء من الإيمان يحتمل السقوط عند العجز أو الإكراه : قال تعالى :

(لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) و (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ) .

حقيقة الإسلام ، وبيان المذاهب فيها :

الإسلام لغة : مطلق الانقياد ، وشرعا : فيه مذهبان ، أحدهما مذهب جمهور الأشاعر ، وهو ان الإسلام : الامتثال الظاهرى لأوامر الشرع ونواهيه وقبولها وعدم ردها ، سواء عمل الممتثل بمقتضى تلك الأوامر والنواهى ام لم يعمل ، فالعمل بمقتضى الأوامر والنواهى ليس من حقيقة الإسلام بل هو كمال للإسلام . فلا يفقد الإسلام بفقده .

وعلى هذا المذهب : فالإسلام والإيمان متغايران لأن الإسلام الامتثال الظاهرى للأوامر والنواهى ، والإيمان التصديق الباطنى بما جاء به نبينا محمد (ﷺ) إلا أنهما متلازمان فى التحقق بحسب الشرع ، فلا يوجد إسلام معتبر شرعا بدون إيمان والعكس ، ولا يوجد مسلم ناج ليس بمؤمن والعكس ، وقد يوجد إسلام بدون إيمان كما فى المنافقين إلا أن هذا الإسلام غير معتبر شرعا ، ولا ينجى صاحبه .

ثانى المذهبين فى حقيقة الإسلام ، مذهب جمهور الماتريدية وبعض محققى الأشاعرة . وهو أن الإسلام شرعا : الإذعان الباطنى ، والتصديق بما جاء به نبينا محمد (ﷺ) . مما علم من الدين بالضرورة .

وعلى هذا المذهب : فالإسلام والإيمان متحدان فى المعنى ومتغايران فى اللفظ ، بمنزلة البر والقمح ، والأسد والغضنفر ، والنطق بالشهادتين دليل على ما فى القلب من الإيمان والإسلام .

(تم بحمد الله تعالى)

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٤
تعريف علم التوحيد	″
موضوع علم التوحيد	″
ثمرة علم التوحيد وفائدته	″
أقسام الحكم العقلي وبيانها	٦
الواجب والمستحيل والجائز العقلي وأقسامها	″
الإلهيات	٨
بيان ما يجب لله تعالى إجمالاً ودليله	″
الصفات الواجبة لله تعالى تفصيلاً وأقسامها	٩
الوجود ودليل ثبوته لله تعالى	″
الدليل على وجوب الوجود لله	١٠
القدم ودليل وجوبه لله تعالى	١١
البقاء ودليل وجوبه لله تعالى	″
المخالفة للحوادث ودليل وجوبها لله	١٢
القيام بالنفس ودليل وجوبه لله تعالى	١٣
الوحدانية ودليل وجوبها لله تعالى	١٥
صفات المعاني الواجبة لله	١٧
تعريف القدرة ودليل وجوبها	″
الدليل على وجوب القدرة لله	″
تعريف الإرادة ودليل وجوبها	″
تعريف العلم ودليل وجوبه لله	١٨
تعريف الحياة ودليل وجوبها لله	″
تعريف السمع ودليل وجوبه لله	١٩

440

الموضوع	الصفحة
تعريف البصر ودليل وجوبه لله	٢٠
تعريف الكلام النفسي ودليل وجوبه لله	″
أضداد صفات المعاني وأدلة استحالتها	″
بيان معنى تعلق الصفة...	٢٣
تقسيم الصفات باعتبار التعلق وعدمه	″
بيان متعلق الصفات المتعلقة ومتعلقاتها	٢٤
بيان متعلق القدرة وتعلقاتها	″
بيان متعلق القدرة بالممكن	″
بيان متعلق الإرادة وتعلقاتها	″
تعلقات الإرادة	″
بيان متعلق العلم والكلام وتعلقاتهما	″
بيان متعلق السمع والبصر وتعلقاتهما	٢٥
الجائز في حق الله -تعالى- ودليل الجواز	٢٦
المستحيل على الله -تعالى- إجمالا وتفصيلا ودليل الإستحالة	٢٧
النبوات	٢٨
حالة البشر إلى الرسالة	″
رسل الله وبيان ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقهم	٣٠
بيان ما يجب للرسل إجمالا وتفصيلا ودليله	٣١
المستحيل على الرسل إجمالا وتفصيلا ودليله	٣٣
الجائز في حق الرسل ودليل الجواز	″
بيان المعجزة وفائدة ظهورها على يد الرسل	″
وجه دلالة المعجزة على صدق الرسل	٣٤
إمكان المعجزة ووقوعها والدليل عليها	″
رسالة سيدنا محمد وعمومها وختمها للرسالات والنبوات	٣٥

الموضوع	الصفحة
السمعيات	٣٨
السمعيات و طريق ثبوتها	″
سؤال القبر و دليله وحكم الإيمان به	″
نعيم القبر و عذابه و دليلهما وحكم الإيمان بهما	٣٩
النشر و دليله وحكم الإيمان به	٤٠
الحشر و دليله وحكم الإيمان به	٤١
الصراط و دليله وحكم الإيمان به	٤٢
الميزان و الوزن و دليلهما وحكم به الإيمان بهما...	٤٤
الحساب و دليله وحكم الإيمان به	٤٦
الثواب و العقاب و دليلهما و حكم الإيمان بهما	٤٧
خلود الجنة و النار و دليله وحكم الإيمان به	٤٨
الملائكة و دليل وجودهم وحكم الإيمان بهم	٤٩
الجن و دليل وجودهم وحكم الإيمان بهم	٥١
الآيات التي ترشد إلى معرفة الله تعالى	٥٢
حقيقة الإيمان وبيان المذاهب فيها	٥٣
حقيقة الإسلام وبيان المذاهب فيها	٥٥
الفهرس	٥٧

442

(الترقيم الدولى ١-٢٧٦٣-٠٦-٩٧٧)

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رئيس مجلس الادارة
وهزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٠/٨٣٣٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٠٠١٤ — ١٩٩٠ — ٥٠٠٧.١

السواد الاعظم فى الكلام مؤلف لطيف لابى
القاسم اسحق بن محمد القاضى الحنفى
الشهير بابن الحكيم السمر
قندى المتوفى سنة
اثنين وعشرين
واربعمائة

مذكور كتاب هزار غرادلى محمد امين افندى
واسطه سيله ابراهيم افندى مطبعه سنده
طبع اولنوب حكاكرده (١٥)
نمرولى دكانده فروخت
اولنمقده در

معارف نظارت جليله سنك رخصتيله طبع اولنمشدر





كتاب السواد الاعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين (وبعد) فان سألت عن مذهب النبي صلى الله عليه وسلم فمذهبه الطريق المستقيم كما قال النبي عليه السلام ان قوم موسى افترقوا من بعده احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وتخلص فرقة واحدة وقوم عيسى افترقوا من بعده اثنتين وسبعين فرقة فهلك احدى وسبعون وتخلص فرقة واحدة وان امتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فتهلك اثنتان وسبعون فرقة وتخلص فرقة واحدة (قيل) يارسول الله ومن تلك الفرقة قال اصحاب السنة والجماعة وهو السواد الاعظم (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وعلامة السواد الاعظم ان يكون الانسان متصفا باثنتين وستين خصلة (اولاها) انه لا يشك في ايمانه ولا يقول انا مؤمن ان شاء الله تعالى (والثانية) ان لا يخالف جماعة المسلمين (والثالثة) ان يصلي خلف كل بر وفاجر ويرى ذلك حقا (والرابعة) ان لا يكفر احدا من اهل القبلة بالذنب مالم يستحله (والخامسة) ان يصلي على جنازة كل صغير وكبير من اهل القبلة ويراه حقا (والسادسة) ان يرى تقدير الخير والشر من الله تعالى (والسابعة) ان لا يخرج على احد من المسلمين بالسيف من غير حق (والثامنة) ان يرى

المسح على الخفين في الحضر و السفر حقا (والتاسعة) ان يصلى خلف كل امير صلاة العيدين والجمعة ويراه حقا (والعاشرة) ان يرى ان الايمان عطاء الله تعالى عز وجل (والحادية عشرة) ان يرى ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى (والثانية عشرة) ان يرى عذاب القبر حقا (والثالثة عشرة) ان يرى ان كلام الله غير مخلوق (والرابعة عشرة) ان يرى سؤال منكر ونكير حقا (والخامسة عشرة) ان يرى دعاء الاحياء وصدقاتهم منفعة للاموات حقا (والسادسة عشرة) ان يرى شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم حقا (والسابعة عشرة) ان يعلم ان معراج النبي صلى الله عليه وسلم حق (والثامنة عشرة) ان يقر بان قراءة الكتب يوم القيامة حق (والتاسعة عشرة) ان يعتقد ان الحساب حق (والعشرون) ان يعتقد ان الميزان حق (والحادية والعشرون) ان يعتقد ان الصراط حق (والثانية والعشرون) ان يعلم ان الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ابدا (والثالثة والعشرون) ان يعلم ان الله عز وجل يحاسب عبيده يوم القيامة بغير واسطة بينه وبين العباد (والرابعة والعشرون) ان يشهد للعشرة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة (والخامسة والعشرون) ان يعلم انه لم يكن من بعد النبي صلى الله عليه وسلم احد من اصحابه ولا من امته افضل من ابي بكر الصديق رضي الله عنه ويرى خلافته حقا (والسادسة والعشرون) ان يرى ان افضل الناس بعد ابي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعده عثمان بن عفان وبعده علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ويرى خلافتهم حقا (والسابعة والعشرون) ان لا يقع في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يغتابهم (والثامنة والعشرون) ان يعتقد ان الله يغضب ويرضى لاحد من الورى (والتاسعة والعشرون) ان يعتقد ان رؤية الله تعالى بلا كيف حق (والثلاثون) ان يعتقد ان مراتب الانبياء اعلى وافضل من مراتب الاولياء (والحادية والثلاثون) ان يعتقد ان كرامات الاولياء حق لا تنكر (والثانية والثلاثون) ان يعتقد ان الله تعالى يصير السعيد شقيا بعدله ويصير الشقي سعيدا بفضله (والثالثة والثلاثون) ان يعلم ان عقول الكفار لا تتساوى مع عقول الانبياء والمؤمنين (والرابعة والثلاثون) ان يعتقد ان الله تعالى لم يزل ولا يزال خالقا ولا يتغير عليه الحال (والخامسة والثلاثون) ان يعتقد ان الله تعالى عالم وقادر وله علم وقدرة (والسادسة والثلاثون) ان يعلم ان عذاب الله تعالى للمذنبين من المؤمنين بمقدار الذنوب في جهنم حق

(والسابعة والثلاثون) ان يعلم ان الله تعالى فعل ماشاء ويفعل مايشاء فهم الخلق اولم يفهم خيرا كان اوشرا (والثامنة والثلاثون) ان يعلم ان ما كتب فى المصحف هو قرآن وهو كلام الله تعالى وغير مخلوق بالحقيقة لا بالمجاز (والتاسعة والثلاثون) ان يرى ان الايمان بالحقيقة لا بالمجاز (الاربعون) ان يعلم ان من كان له خصم فى الدنيا ومات مؤمنا ولم يرضه يعطيه الله تعالى يوم القيامة من حسناته (الحادية والاربعون) ان يعلم ان الطاعة مع التوفيق مستويان والمعصية مع الخذلان مستويان (الثانية والاربعون) ان يعلم ان الايمان على الجارحتين اى القلب واللسان (الثالثة والاربعون) ان يعلم ان من عرف الله تعالى بالقلب ولم يقر باللسان فهو كافر ومن اقر باللسان ولم يعرف بالقلب فهو منافق (الرابعة والاربعون) ان لا يثبت لله تعالى مكانا ولا زمانا ولا محيأ ولا ذهابا (الخامسة والاربعون) ان لا يشبه الله بشئ ويقول ليس كمثله شئ (السادسة والاربعون) ان يعلم ان الكسب يفترض فى بعض الاوقات (السابعة والاربعون) ان يعلم ان الايمان بأن من العمل (الثامنة والاربعون) ان يعلم ان ايمان المحسن والمسئ سواء (التاسعة والاربعون) ان يرى ان البعث بعد الموت حق (الخمسون) ان يرى القيامة حقا (الحادية والخمسون) ان يقر بان الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة حق (الثانية والخمسون) ان يرى حدث الامام حدثا للقوم (الثالثة والخمسون) ان يعلم ان الوضوء من الماء القليل الراكد لا يجوز (والرابعة والخمسون) ان يرى ان غسل الرجلين بعد نزع الخفين حق (والخامسة والخمسون) ان يرى اعادة الوضوء حقا (والسادسة والخمسون) ان يرى ان الايمان لا يزيد ولا ينقص (والسابعة والخمسون) ان يعلم ان ابليس لعنه الله لما كان يعبد الله كان مؤمنا عند الله وعند الملائكة (والثامنة والخمسون) ان يعلم ان ابابكر وعمر وقتا ما كانا يعبد ان الصنم كانا كافرين عند الله وعند ملائكته (والتاسعة والخمسون) ان يعلم ان الامر لا يسقط عن المحب من اجل المحبة (والستون) ان يرى ان القنوط من رحمة الله تعالى كفر (والحادية والستون) ان يرى خوف الخاتمة من الله تعالى حقا

المسئلة الاولى

مما ذكرنا انه ينبغى للمؤمن ان لا يشك فى ايمانه ولا يقول انا مؤمن ان شاء الله بل يقول انا مؤمن حقا لان الله تعالى قال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا يعنى لم يشكوا فى ايمانهم (واعلم) ان الله تعالى ذكر الخلق على ثلاثة اصناف

ذكر المؤمن والمنافق والكافر ولم يذكر الرابع فانظر ايها المخالف من اى صنف انت فقال فى حق المؤمنين اولئك هم المؤمنون حقا وقال فى حق الكافرين اولئك هم الكافرون حقا وقال فى حق المنافقين ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقال مذبذبين بين ذلك لاالى هؤلاء ولا الى هؤلاء (فان) قال قائل المؤمن الحق الذى يعمل جميع الخيرات والطاعات (فقل له) المؤمن مالم يعمل جميع الخيرات والطاعات لانسميه مؤمنا وكذلك يلزمك ان تقول الكافر مالم يرتكب جميع الشر والمعاصى لانسميه كافرا فان قال لااسميه كافرا فقد كفر لان الله تعالى سمى الذين آمنوا ببعض ماانزل الله وكفروا ببعض ماانزل الله كافرين بقوله تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا (فمن استثنى) فى ايمانه فقال انا مؤمن ان شاء الله فانظر لاى حالة يستثنى للحالة الماضية بان يقول كنت مؤمنا امس ان شاء الله تعالى اويستثنى للحالة التى هو فيها بان يقول انا مؤمن الساعة ان شاء الله تعالى او يستثنى للحالة المستقبلة وهو ان يقول انا اكون مؤمنا غدا ان شاء الله تعالى فهذا الاستثناء جائز ولكن يكون بدعة منه لان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يكن مؤمنا حقا فهو كافر حقا (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن الضحاك انه قال جاء رجل إلى عبدالله بن عباس فقال ياابن عباس اقول انا مؤمن حقا اواقول انا مؤمن ان شاء الله تعالى فقال عبدالله ابن عباس ثكلتك امك اتؤمن بالله وبماجاء من عندالله فقال نعم فقال قل انا مؤمن حقا ثم قرأ قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا يعنى لم يشكوا فى الله ولارسوله ولافى شئ مما جاء به من الله وقل للمخالف شاء الله صرت مؤمنا اويشاء الله حتى تكون مؤمنا اولم يشاء الله وانت صرت مؤمنا (فان قال) شاء الله صرت مؤمنا فلا فائدة فى الاستثناء وان قال يشاء الله ان اكون مؤمنا فلاينبغى هذا الاستثناء وان قال لم يشاء الله انا صرت مؤمنا بمشيئتى واختيارى فهذا كفر وحقيقة الايمان وصدقه بان تقر بلسانك وتصدق بقلبك وتؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر والبعث بعدالموت والقدر خيره وشره من الله تعالى والجنة حق والنار حق والميزان حق وكل ماجاء به جبريل عليه السلام حق تقر بجميع ذلك ولاتقول ان شاء الله لان هذا هو الايمان (فانظر) ايها المخالف اذا قلت انا مؤمن ان شاء الله تعالى ماذا قلت

لان احدا لو قال بالفارسية خدا هست ان شاء الله فرشتكان وجنيان هست ان شاء الله تعالى رستخيز بودان شاء الله تعالى فيصير كافرا بلا خلاف فلما لم يجز ان يقول بالفارسية فكذلك لا يجوز ان يقول بالعربية الا ترى الى وجوه الاحكام لو ان رجلا قال لامرأته انت طالق ان شاء الله تعالى او قال لعبده انت حر ان شاء الله او قال لله على كذا وكذا او قال بعت او اشتريت ان شاء الله لا يجب عليه شيء فالاحكام تبطل بالاستثناء وكذلك يبطل الايمان بالاستثناء وفي هذا القدر كفاية للعاقل

المسئلة الثانية

وما قلنا ووصفنا انه ينبغي للمؤمن ان لا يخالف جماعة المسلمين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجتمع امتي على الضلالة فمن فارق جماعة المسلمين ولا يراه حقا فانه ضال مبتدع لان حفظ الجماعة من احكام سنن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ سنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (يقول الله تعالى يا عبادي الذي يقول لكم محمد صلى الله عليه وسلم لا يقول بمراده ولا بهواه ولا ينطق بشيء ولا يأمر شيأ الا بوحي من الله تعالى وبامره (حدثنا الثقات باسنادهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل لله تعالى في الجماعة فاصاب قبل الله منه وان اخطأ غفر الله له ومن عمل لله في الوحدة فاصاب لم يقبل الله منه وان اخطأ فليتبوأ مقعده من النار (واعلم) ان النبي صلى الله عليه وسلم حفظ الصلاة في الجماعة ورأها حقا واجبا عليه وامر الخلق بحفظ الجماعة فمن لم ير حفظ الجماعة حقا فهو مبتدع

المسئلة الثالثة

وما ذكرنا انه ينبغي للمؤمن ان يرى الصلاة خلف كل بر وفاجر حقا ولا يكون مثل الروافض لانهم لا يصلون خلف كل بر وفاجر ولا يرونها حقا (واعلم) ان الصلاة جائزة خلف كل احد برا كان او فاجرا زانيا كان او شارب الخمر بحيث لا يكون مبتدعا لان الصلاة خلف المبتدع والكافر غير جائزة ومن لم ير الصلاة خلف كل بر وفاجر فهو مبتدع (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن محمود الشامي انه قال لاصحابه في مرضه الذي مات فيه اربعة لم احدثكموهن عن النبي صلى الله عليه وسلم فانا محدثكم اليوم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكفروا اهل قبلتكم وان عملوا الكبيرة والصلاة على كل ميت والصلاة خلف كل امام والجهاد مع كل امير الى آخر الحديث

المسئلة الرابعة

وماذكرنا انه ينبغي للمؤمن ان لايكفر احدا من اهل القبلة بالذنب مالم يستحله (اعلم) ان المؤمن لوزنى بمائة الف مسلمة اوقتل مأة الف مسلم اوشرب مأة الف دن من الخمر فانه لايخرج من الايمان مالم يستحله كما ان الكافر لو عمل جميع الخيرات والطاعات لايخرج من الكفر حتى يؤمن بالله فكذلك المؤمن لو فعل جميع المعاصى لايخرج من الايمان حتى يكفر بالله وهذا من وجه العقل والنظر الاترى ان الله تعالى امر المؤمنين بالتوبة لمن كان مشتغلا منهم بالفسق والفجور والمعصية سماهم الله تعالى مؤمنين فقال تعالى ياايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ولوكانوا هؤلاء كفروا بالذنوب لماسماهم مؤمنين وكان يقول ياايها الذين كفروا توبوا الى الله وقال تعالى ايضا وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وما قال ايها الكافرون وكذلك لما دخل آدم صلوات الله عليه الجنة فنهاه الله عن قرب الشجرة فاكل منها فقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وماقال وكفر آدم بربه وكذلك شرب هاروت وماروت الخمر فقصدا الزناء ثم اختارا عذاب الدنيا على عذاب الاخرة ولم يكفرا (واعلم) ان المؤمن لم يكفر بالذنوب (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن اربعين نفسا من التابعين كلهم ممن شهد بدرا واجمعوا كلهم على ان الرسول عليه السلام قال سبعة من الهدى وفيهن الجماعة ومن خرج منهن خرج من الجماعة لاتشهدوا على اهل القبلة بكفر ولابشرك ولابنفاق وذرواسرآئرهم الى الله تعالى وصلوا على من مات من اهل القبلة واشهدوا الصلوات الخمس والجمع وصلوا خلف كل بروفاجر وجاهدوا عدوكم مع كل امير ولاتخرجوا على ائمتكم بالسيف وان جاروا فادعوالهم بالصلاح والعافية وجانبوا الاهوآء كلها فان اولها وآخرها باطل وهذا القدر كفاية للعاقل

المسئلة الخامسة

وما ذكرنا انه ينبغي للمؤمن ان يصلي على جنازة كل صغير وكبير برا كان اوفاجرا لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة ابنه ابراهيم وليس فيها خلاف بين المسلمين ومن لم ير الصلاة على جنازة كل صغير وكبير حقا من اهل القبلة فهو مبتدع لماذكرنا في المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوا على من مات من اهل القبلة

المسئلة السادسة

وماذكرنا من انه ينبغي للمؤمن ان يعلم ان تقدير الخير والشر من الله تعالى حقا لان جبريل عليه السلام لما سأل النبي عن الايمان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال في آخر الحديث ان القدر خيره وشره من الله تعالى (اعلم) انه لايكون شئ بغير قضاء الله تعالى والعبد غير مزيل لقضاء الله تعالى وان القضاء ليس بحجة لفعل العباد والاعتماد والانكار للقضاء كفر والرد لقضاء الله تعالى والانكار له كفر والشئ بين هذين هو الايمان لان القدري انكر قضاء الله تعالى فكفر والجبري اعتمد على القضاء وترك فعل العبودية فقد كفر بالله ومن سلك بين هذين فقد استمسك بالعروة الوثقى واستقام على طريق الهدى والقدري يدعي ان الخير والشر كله منه وليس لله تعالى فيه صنع والجبري يدعي ان الخير والشر كله من الله تعالى وليس له فيه صنع وهذان الفريقان مجوس هذه الامة (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن الحق الذي يقول فعل الخير والشر مني وتقدير الخير والشر من الله تعالى والخير هو من افعال العباد وتقدير افعال العباد من الله تعالى (حدثنا) الثقات باسنادهم عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال الله تعالى انا خالقت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يديه الخير وويل لمن قدرت على يديه الشر (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن شئ اجمل طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم لان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (حدثنا) الثقات باسنادهم عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بكر الصديق رضي الله عنه يا ابابكر لو اراد الله تعالى ان لايعصى في الارض احد لما خلق ابليس لعنه الله والثواب والعقاب انما يجب بافعال العباد لابتقدير الله تعالى لقوله تعالى وماتجزون الا ماكنتم تعملون وهذا القول مدعى الجبرية والقدرية لان الجبري يدعي ان الخير والشر من الله تعالى ويرى ان نفسه معذور عند الذنوب ويرى ان الكفار في كفرهم معذورون والقدري يرى ان الخير والشر من نفسه ولا يرى لله تعالى فيه مشيئة وهذان الفريقان كفرا بالله تعالى لان الجبري اضاف العبودية الى الله تعالى والقدري اضاف الربوبية الى نفسه (واعلم) ان الطاعة بقضاء الله تعالى وقدره وبتوفيقه ومشيئته ورضاه وامره والمعصية بقضاء الله تعالى وتقديره وخذلانه وليس بامره ولا رضاه (واعلم) ان جميع احكام الله تعالى على ثلاثة اوجه حكم شاءه الله واحبه وامر به وهو اداء الفرائض وحكم شاءه الله واحبه ولم يأمر به

80

وهو النوافل وحكم شاء الله ولم يحبه ولم يأمر به وهو المعاصي (واعلم) ان قضاء الله تعالى على اربعة اوجه قضاء الطاعة وقضاء المعصية وقضاء النعمة وقضاء الشدة والمذهب المستقيم في ذلك اذا قضى الله تعالى للعبد بالطاعة يستقبله بالجهد والاخلاص حتى يكرمه الله تعالى بالتوفيق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واذا قضى الله تعالى بالمعصية يستقبله بالاستغفار والتوبة والندامة حتى يرزقه الله تعالى التوبة والمغفرة لقوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين واذا قضى الله تعالى بالنعمة للعبد فعليه بالشكر والسخاء حتى يكرمه الله تعالى بالزيادة لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذا قضى الله تعالى بالشدة يستقبلها بالصبر والرضى حتى يعطيه الله كرامة الاخرة لقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال الله تعالى والله يحب الصابرين وينبغي لك اذا وقعت في المعصية ان ترى قضاء الوقوع من الله عدلا ولا ترضى من نفسك الوقوع فيه وتتوب وتستغفر منه لان القدري لا يرى قضاء الوقوع من الله عدلا ولا يرى الجبري الملامة من نفسه والمعتزلي لا يرى المغفرة بغير التوبة فاذا رأيت قضاء الوقوع من الله تعالى عدلا فقد تبرأت من مذهب القدرية واذا تبت واستغفرت الله تعالى فقد تبرأت من مذهب المعتزلة واذا رأيت قضاء الوقوع من الله تعالى عدلا فقد عملت بهذه الاية قل كل من عند الله واذا رأيت الملامة لنفسك فقد عملت بهذه الاية ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين واذا تبت واستغفرت الله تعالى فقد عملت بهذه الاية واستغفروا ربكم انه كان غفارا (واعلم) ان من لم يؤمن بالقضاء ولم ير تقدير الخير والشر من الله تعالى فهو مبتدع وهذه الحجة كفاية للعاقل

المسئلة السابعة

وماذكرنا انه ينبغي للمؤمن ان لا يخرج على احد من المسلمين بالسيف بغير حق لان النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل والمقتول في النار اذا قصد كل واحد الى صاحبه واعلم ان من قتل مؤمنا خطأ وجبت عليه الدية والكفارة ومن قتل مؤمنا متعمدا لا يكفر وان خرج من الدنيا تائبا يغفر له الله وان خرج من الدنيا بغير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء غفر له بفضله وان شاء عذبه بعدله على قدر ذنوبه ثم يخرجه الله سبحانه وتعالى من النار ويدخله الجنة ومن قال ان هذا القاتل يبقى في النار ابدا فهو مبتدع لان المؤمن لا يكفر بقتل المؤمن ولا يبقى في النار الا الكفار

المسئلة الثامنة

وماذكرنا فى مسح الخفين فانه يجوز على المسافر ثلاثة ايام ولياليها من وقت الحدث الى وقت الحدث وعلى المقيم يوما وليلة ويراه حقا فيه قاطع الطريق والغزاة والمسافر والفاسق وغيرهم من المسلمين سواء يمسحون على الخفين ولايجوز المسح على الرجل العريان لانه مذهب الروافض لعنهم الله وفى هذا القدر كفاية

المسئلة التاسعة

وماذكرنا انه يصلى خلف كل امير صلاة العيدين والجمعة ويراه حقا لان طاعة السلطان فريضة وان كان مثقوب الاذنين ولايجوز الخروج عليه بالسيف ولا بالعصيان له فان عدل كان الاجر له وان ظلم كان الوزر عليه ولابد من طاعة السلطان بكل حال لان من عصى السلطان ولم يعطه فهو خارجى لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم يعنى السلاطين

المسئلة العاشرة

اما ماذكرنا ان يرى ان الايمان عطاء الله تعالى ولايجوز لاحد ان يقول لا اومن حتى يعطينى الله تعالى الايمان فان هذا مذهب الجبرية ولايجوز ايضا لاحد ان يقول كله منى وليس فيه عطاء الله تعالى فان هذا مذهب القدرية (اعلم) ان الايمان عطاء الله تعالى بفضله ورحمته لقوله تعالى يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وقوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وقوله تعالى من يهد الله فهو المهتدى وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وقوله تعالى انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وقوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل وقوله تعالى بل الله يمن على من يشاء وقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقوله والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وعلى هذا آيات كثيرة فمن قال ان الايمان مخلوق اوغير مخلوق فينبغى له ان ينظر لاى شئ يقول ان الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان فما كان من فعل العبد فهو مخلوق وما كان من صفات الله تعالى فهو غير مخلوق فاذا قال العبد لااله الا الله فقوله تحريك لسانه يقول لااله الا الله فعل العبد وصفته مخلوق والله تعالى بجميع

صفاته غير مخلوق وفرق بين قول العبد الذي هو فعله وحركته وبين مقوله الذي هو صفته تعالى وهو مثل القرأن وقراءته قرآءة القرأن فعل العبد وهو مخلوق وذلك الذي يقرأ هو كلام الله تعالى غير مخلوق فالقرأن الذي هو متلو مقرؤ غير مخلوق وكذلك ايضا الاقرار من العبد وهو فعل العبد فهو مخلوق وتوفيق اقرار العبد من الله تعالى فهو غير مخلوق ومعرفته من العبد والتعريف من الله تعالى فما كان من العبد فهو مخلوق وما كان من الله فهو غير مخلوق والصواب في هذه المسئلة ان يقول ان العبد مع جميع افعاله مخلوق والله تعالى بجميع صفاته غير مخلوق وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الحادية عشرة

وماذكرنا من انه ينبغي له ان يعلم ان افعال العباد مخلوقة فالله تعالى بجميع افعاله وصفاته غير مخلوق لان افعال العباد لم تكن قديمة بل الله خلقها ويعلم ان الصلاة والزكاة والصيام والحج وجميع مايفعله العبد فهو مخلوق لقوله تعالى والله خلقكم وماتعملون وقوله تعالى الله خالق كل شي وقوله والله على كل شيء قدير ومن لم يقل افعال العباد مخلوقة فهو مبتدع وهذه الحجة كفاية للعاقل

المسئلة الثانية عشرة

ينبغي له ان يعلم ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق لان القرأن كلام الله تعالى بالحقيقة لا بالمجاز ومن قال القرأن مخلوق كمن قال صفة الله مخلوقة وهذا كفر لان القرأن كلام الله وصفته وقوله وليس بمخلوق ولكنه صفة الخالق وروي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال ان القرأن مخلوق فهو كافر بالله العظيم (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن ابن عباس انه قال تذاكرنا القرأن عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال سيأتي من امتي في آخر الزمان اناس يقولون القرأن مخلوق ثم قال لا ولكنه كلام الله تعالى غض طري فمن قال غير هذا من امتي كفر بالله وبالقرأن (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن جعفر ابن محمد الصادق عن ابيه عن اشياخه قال اجتمع اقوام من اهل صنعاء وعدن وقالوا يارسول الله ان القرآن خلق من خلق الله قال لا تقولوا هكذا فانه كفر (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن ابي يوسف انه قال ناظرت اباحنيفة ستة اشهر في القرآن ثم اتفقنا ان من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم (حدثنا) الثقات باسنادهم عن مقاتل السمرقندي قال سمعت اباحنيفة رضي الله عنه انه قال القرأن

غير مخلوق

كلام الله تعالى غير مخلوق وروى عن سفيان الثورى انه قال من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيأتى على امتى زمان يقولون القرآن مخلوق فمن عاش منكم فادركهم فلا يمارهم ولا يجالسهم فانهم كفار بالله العظيم وانهم لا يدخلون الجنة ولا يشمون رائحة الجنة وقال ثابت البنانى كنا اذا سمعنا هذا الحديث جثونا على الركبتين اجلالا لهذا الحديث ومن وقف ولم يقل انه كلام الله تعالى فهو شر ممن قال القرآن مخلوق والواقف الذى يقول لا ادرى القرآن مخلوق ام غير مخلوق ومثله كمثل النصارى الذين افترقوا على ثلاث فرق فقالت فرقة منهم انا رأينا من عيسى احياء الموتى واحياء الموتى فعل الاله فنقول انه اله وقالت الفرقة الثانية منهم نحن رأينا منه العبودية فنقول انه عبد وقالت الفرقة الثالثة نحن راينا منه الالوهية والعبودية فلا نقول انه عبد ولا اله والواقف يقول مثل هذا واعلموا ان جميع ما انزل الله تعالى من لدن آدم عليه السلام على انبيائه الى وقت محمد عليه السلام من الكتب مائة كتاب واربعة كتب كلها كلام الله غير مخلوق وروى فى بعض الاخبار عن كعب الاحبار انه قال انزل الله تعالى اربعين صحيفة على شيث بن آدم وثلاثين صحيفة على ادريس وعشرين صحيفة على ابراهيم وعشر صحف على موسى قبل التوراة ثم انزل التوراة على موسى والزبور على داود والانجيل على عيسى والفرقان على محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فهذه الكتب كلها كلام الله تعالى وصفته وهو غير مخلوق فمن قال كلمة منها مخلوق فهو كافر بالله يسمى جهميا ومعتزليا ولا شك فى كفره فانه مبتدع وهذه الحجة كفاية للعاقل

المسئلة الثالثة عشرة

وينبغى ان يرى عذاب القبر حقا لان من انكر عذاب القبر فانه ضال مبتدع معتزلى جدا وقال النبى عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار الى آخر الحديث وقال عليه السلام من قرأ سورة الملك فى كل ليلة دفع الله عنه عذاب القبر وقال الله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا الاية اراد بقوله معيشة ضنكا عذاب القبر وقد جاء فى هذا اخبار كثيرة ولكن اقتصرنا وهذا القدر كفاية للعاقل

المسئلة الرابعة عشرة

ينبغى له ان يعلم ان سؤال منكر ونكير حق لان من انكر سؤال منكر ونكير صار قدريا

(وقال)

84

وقال عليه السلام اذا دفن الميت فى قبره اتاه ملكان اسودان ازرقان فيسألان عن ثلاثة اشياء فيقولان من ربك ومن نبيك ومادينك الى آخر الحديث وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله صلى الله عليك هل اكون انا فى ذلك الوقت على عقلى الاول اذ سألنى الملكان فقال بلى ياعمر فقال اذن اجيبهما بتوفيق الله تعالى وايضا حديث النبى صلى الله عليه وسلم مع ولده فى وقت دفنه

المسئلة الخامسة عشرة

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان الاموات تنتفع بدعاء الاحياء وصدقاتهم لان من انكر هذا يكون معتزليا ومبتدعا وقد جاء فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج مع اصحابه الى مقبرة مكة فوقف على رأس قبر فبكى بكاء شديد اوبكى اصحابه ثم قال ياليتنى كنت اعلم ماحاله فاتاه جبريل بهذه الاية انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى نهانى عن الاستغفار لوالدى والدعاء لهما فمن مات والداه على الاسلام فليدع لهما ويستغفر لهما وجاء فى خبر ان عيسى ابن مريم عليه السلام مر على قبر فسمع منه عذابا للميت فرجع عن ذلك المكان ثم اتاه بعد ايام فسمع رحمة الله من ذلك القبر للميت فنادى صاحب القبر وسأله عن حاله فقال صاحب القبر ان لى ابنا فدعا لى وذكرنى بالصدقة وفى رواية آخرى ان لى صديقا فكبر الله تكبيرا بنية اصدقائه فكان لى من ذلك الاجر نصيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم اذا عملتم عملا صالحا لا تذكرون ابويكم حتى يكون لهما بذلك الاجر نصيب من غير ان ينقص من اجوركم شئ وروى عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اهدوا لموتاكم قالوا يارسول الله اى الهدية فقال الهدية الدعاء والصدقة وقال الحسن بن على من ترك الدعاء لوالديه ينقص من رزقه وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ابر الناس بوالديه من برهما فى قبرهما بحج اوبصدقة اوبعتق رقبة اوبنذر لله تعالى الا ترى فى وجوه الاحكام ان من مات وترك حجا مفروضا ودينا لازما عليه فيحج عنه ويقضى دينه وفى هذا احاديث كثيرة وهذا كفاية للعاقل

المسئلة السادسة عشرة

وماذكرنا انه ينبغى له ان يرى شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم حق لاهل الكبائر من

امته اعلم ان شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لاتكون الا لاهل الكبائر من امته لقوله عليه السلام شفاعتي لاهل الكبائر من امتي يوم القيامة ومن لم يران الشفاعة حق وينكرها فهو مبتدع والدليل على ان الشفاعة حق قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى يعني الشفاعة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على عرضت علي صلاته يوم القيامة فلعلي اشفع له وروت عائشة رضي الله عنها انها قالت دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تلك الليلة لي من سائر ازواجه فاتيت فراشه فلم اجده فجعلت اطلبه فوجدته قائما يصلي فلما ركع سمعته يقول في ركوعه يارب امتي امتي فلما رفع رأسه وسجد سمعته يقول في سجوده يارب امتي امتي فلما فرغ من صلاته قال يارب امتي امتي فقال ياعائشة اتعجبين من هذا فاني اقول في الدنيا مادمت حيا يارب امتي امتي وفي القبر اقول هكذا امتي امتي حتى ينفخ في الصور فاذا نفخ في الصور فاقول امتي امتي وحيث يقول الانبياء نفسي فانا اقول يارب امتي امتي فيقول الله تعالى يامحمد انت امتك فمن شهد بوحدانيتي وصدقك بالرسالة شفعتك فيه الى آخر الحديث وقال كعب الاخبار ما آمنت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد ابي بكر رضي الله عنه وامنت في عهد عمر رضي الله عنه قال اني وجدت في التوراة مكتوبا وكان ابي قد كتم ذلك المكتوب مني ولم اجده الى عهد عمر رضي الله عنه وكان فيه يقول ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة على ثلاث فرق منهم من يدخل الجنة بغير حساب والفريق الثاني يحاسبهم الله حسابا يسيرا ويدخلون الجنة والفريق الثالث يدخلون النار ثم يشفع النبي صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر من امته فيشفعه الله تعالى ويدخلون الجنة بشفاعته فاسلمت وقلت لابد ان اكون مع فرقة من الفرق

المسئلة السابعة عشرة

ونقر بمعراج النبي صلى الله عليه وسلم وبعروجه الى السموات وببلوغه الى العرش ومن انكر المعراج ورد الايات فقد كفر بالله ومن صدق بالايات وببلوغه الى بيت المقدس وانكر المعراج وتوقف ويقول لاادري عرج اولم يعرج فهو مبتدع والدليل على ان المعراج حق قوله تعالى ماضل صاحبكم وماغوى الى قوله مازاغ البصر وماطغى حدثنا الثقات باسنادهم عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسري بي الى السماء رأيت ابراهيم الخليل عليه السلام فخاطبني وخاطبته فلما اردت الانصراف قال لي يامحمد اقرأ امتك

منى السلام وقل لهم ان الجنة طيبة فاسرعوا بالخيرات والعبادات واطلبوا رضى الله تعالى الى آخر الحديث

المسئلة الثامنة عشرة

وماقلنا انه ينبغى له ان يقر بقرائة الكتاب يوم القيامة ويراه حقا ومن انكر هذا ورد الآيات فهو كافر بالله تعالى لان قرائة الكتاب حق لقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا الاية وقوله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه فاؤلئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا وهذا كفاية للعاقل

المسئلة التاسعة عشرة

وماذكرنا انه ينبغى له ان يقر بالحساب يوم القيمة ويراه حقا ومن انكر الحساب ورد الايات فهو كافر بالله والدليل على ان الحساب حق قوله تعالى مالك يوم الدين يعنى الحساب وقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقوله تعالى ولم ادر ماحسابيه وقال النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر الاموال حلالها حساب وحرامها عذاب وهذا كفاية للعاقل

المسئلة العشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان يقر بالصراط انه حق لقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقتضيا ثم ننجى الذين اتقوا الاية وقوله تعالى ان ربك لبا المرصاد يعنى الملائكة يرصدون العباد على جسر جهنم وقال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى على النار جسرا وهو الصراط وجعل عليه سبع قناطر ادق من الشعر واحد من السيف واظلم من الليل كل قنطرة مسيرة ثلاثة الاف سنة الف سنة صعود والف سنة هبوط والف سنة استواء ويحبس العبد فى كل قنطرة ويسأل عما امر الله تعالى فيسأل فى القنطرة الاولى من الايمان وفى الثانية عن الصلاة وفى الثالثة عن الزكاة وفى الرابعة عن الصوم وفى الخامسة عن الحج وفى السادسة عن الاغتسال من الجنابة وفى السابعة عن حق الوالدين وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الحادية والعشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان الجنة والنار مخلوقتان ويراهما حقا فمن قال ان الله

تعالى يخلقهما بعد وينكر قوله تعالى فهو كافر بالله ومن قال انهما مخلوقتان ولكن تفنيان ويفنى مافيهما واهلهما فهو جهمي واعلم ان الجنة والنار مخلوقتان لاشك فيهما الا ترى الى قوله تعالى لادم اسكن انت وزوجك الجنة امرهما بالسكون فيهما ونهاهما عن اكل الشجرة وقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فلما لم تكن الجنة مخلوقة بعد فاين كانت هذه الشجرة حتى اكلا منها وان كانت الجنة لم تخلق كان امر الله تعالى اياهما بالسكون فيها والنهى عن اكل الشجرة محالا وقوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه فلما لم تكن الجنة مخلوقة بعد فمن اين اخرجهما وقال عليه الصلوة والسلام عرض على فى ليلة المعراج النار والجنة والحور العين (واعلم) ان نعيم الجنة لا يفنى ولا موت فيها وفى هذا اخبار كثيرة وهذا كفاية للعاقل فافهم ترشد

المسئلة الثانية والعشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان الله تعالى يحاسب عبده يوم القيامة مابينه وبين عباده بغير واسطة فالله تعالى يسأل العبد والعبد يجيب عما يسئل قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم الاية وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الثالثة والعشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان يشهد لعشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فمن طعن فيهم او فى احد منهم فانه ضال مبتدع فسماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا وابوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح فى الجنة رضوان الله عليهم اجمعين وهذا القدر كفاية للعاقل

المسئلة الرابعة والعشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم انه لم يكن من بعد النبى عليه السلام احد من الصحابة ولا من امته افضل من ابى بكر الصديق رضى الله عنه ويراه حقا بعد النبى عليه السلام خليفة على الخلق حقا واعلم ان فضل ابى بكر قد صح وثبت بالكتاب والخبر اما الكتاب فقوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن

39 88

ان الله معنا وقوله تعالى لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل يعنى ابابكر واما الخبر فقوله صلى الله عليه وسلم ماعرضت الاسلام على احد الا وله كبوة غير ابى بكر الصديق الكبوة التردد فانه لم يتلعثم اى لايتأخر وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الخامسة والعشرون

وماذكرنا انه ينبغى له ان يعلم انه لم يكن من امة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ابى بكر الصديق رضى الله عنه افضل من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويراه خليفة حقا بعد ابى بكر رضى الله تعالى عنه واعلم ان فضل عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد صح وبين بالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى ياايها النبى حسبك ومن اتبعك من المؤمنين وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال النبى عليه السلام لم تكن امة قبل امتى الا وكان فيها محدث ومحدث امتى هو عمر وقال عليه السلام ان لى وزيرين فى الارض واما الوزيران اللذان فى السماء فهما جبريل وميكائيل واما الوزيران اللذان فى الارض فيهما ابوبكر وعمر رضى الله عنهما وهذا كفاية للعاقل

المسئلة السادسة والعشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم انه ليس احد فى هذه الامة بعد ابى بكر وعمر رضى الله عنهما افضل من عثمان بن عفان رضى الله عنه ويراه بعد هما خليفة حقا وفضله ظاهر فى قوله عليه السلام ان افضل هذه الامة بعدى ابوبكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين ثم قال لاتنطقوا فيهم ولا تقولن الاخيرا كيلا تشقوا وهذا كفاية للعاقل

المسئلة السابعة والعشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم انه لم يكن فى هذه الامة ولا فى الصحابة بعد ابى بكر وعمر وعثمان افضل من على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين ويراه خليفة حقا وفضله مبين فى قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه يعنى ابابكر اشداء على الكفار يعنى عمر رحماء بينهم يعنى عثمان تراهم ركعا سجدا يعنى على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين فانظر لاتقولن فيهم الاخير الكيلا تلعن وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الثامنة والعشرون

وماقلنا انه ينبغى له ان لاينطق فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقعن

فيهم فمن وقع فيهم فانه ضال مبتدع لقوله عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهديتم وقال عليه السلام من ابغض اصحابي فهو منافق فاحفظ لسانك عنهم حتى لا تقع فيهم وهذا كفاية للعاقل

المسئلة التاسعة والعشرون

وماقلنا انه ينبغي له ان يعلم ان الله تعالى يغضب ويرضى ولا يقول ان غضب الله النار ورضاه الجنة فمن قال هذا فهو مبتدع (واعلم) ان الله تعالى غضبا ورضى وليس غضب الله ورضاه كغضبنا ورضانا فمن قال هذا فهو مبتدع وغضبنا ورضانا اذا دخل فينا غيرنا عن حالنا وغضب الله ورضاه لا يغيره عن حاله لان انفسنا ومايجيء منا من خير وشر فهو مخلوق والله تعالى بجميع صفاته غير مخلوق وغضبه ورضاه صفته فليستا بمخلوقتين وكل شيء يكون مخلوقا لا يكون صفة الخالق والنار تستوجب بغضب الله والجنة تستوجب برضى الله والدليل عليه قوله تعالى ورضوان من الله اكبر الاية واما في غضبه فقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الاية وقوله تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم الاية وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الثلاثون

وما ذكرنا انه ينبغي له ان يعلم ان اهل الجنة يرون الله تعالى بلا مثال ولا كيف اعلم ان المؤمنين يرون ربهم في الجنة بلا شبهة ولا شك كما يرى الرجل القمر ليلة البدر فهل يشك احد في النظر الى البدر انه ليس بقمر وكذلك المؤمنون يرون الله تعالى رؤية حقا ولا يشكون انه ربهم بلا مثال ولا كيف فمن انكر رؤية الله تعالى وقال لا يرونه بعين الرأس ولكن يرونه بعين القلب فهو ضال مبتدع لان الله تعالى قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد فسر اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الزيادة برؤية الله تعالى وقال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال رسول الله تعالى عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ولا تضامون اي لا تشكون في رؤية الله تعالى (اخبرنا) الثقات باسنادهم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكرمكم على الله في الجنة من نظر وجهه غدوة وعشيا ثم تلا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الحادية والثلاثون

وماقلنا انه ينبغي له ان يعلم ان مراتب الانبياء عند الله تعالى اعلى من مراتب الاولياء

فمن قال ان الاولياء مراتبهم اعلى من مراتب الانبياء صار مبتدعا يسمى كراميا لان الاولياء لا يبلغون الى مراتب الانبياء الا بعد طاعة الله تعالى ورسوله لان طاعة الانبياء هى طاعة الله تعالى لقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار الاية وقال النبى عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر الى آخر الحديث وهذا كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة الثانية والثلثون

وما قلنا انه ينبغى له ان يقر بكرامة الاولياء لان من انكر كرامات الاولياء فهو مبتدع ومن انكر كرامة الاولياء وهو يظن ان فى ذلك هدم معجزات الانبياء فذا لا يخرج عن احد احوال ثلاثة اما ان ينكر الايات التى فى كتاب الله تعالى اولا فان انكر الايات فقد كفر وان لم ينكر الايات وآمن بها ولكن يقول كانوا هم انبياء فقد كفر ايضا وان لم ينكر الايات وآمن بها ولم يقل انبياء فقد صح عنده ان هذه الكرامة كانت لغير الانبياء ويجوز ذلك لان الله تعالى قال قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان هذا آصف بن برخيا وكان من الاولياء ولم يكن نبيا وكان من قوم سليمان بن داود فلما جاز ان يكون من قوم سليمان كرامة الاولياء اليس يجوز فى امة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة الاولياء ومحمد خير من سليمان وامته خير من امته فان قال المخالف تلك الكرامة كانت من قبل سليمان فنقول هذه الكرامة من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة اخرج الله تعالى من الشجرة اليابسة ثمرة لاجل مريم اكرمها بذلك ومريم لم تكن نبية وقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله وكذلك فى قصة اهل الكهف اكرمهم الله تعالى ولم يكونوا انبياء فلما جاز ان يكون فى الاولين لم لا يجوز ان يكون فى امة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة الاولياء وقد قال الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فان قال المخالف ان فلانا يذهب فى ليلة واحدة الى بيت الله ويرجع هذا لا يكون ابدا قلنا ان الله اكرم النبى صلى الله عليه وسلم بكرامة لم يكرم بها احدا قط حين اسرى به وعرج به للسموات السبع وبلغ ماشاء الله بمسيرة اربعة آلاف سنة ورجع فهل كرامة اعظم من هذه وايضا يقال للمخالف المؤمن خير ام الكافر فانا وجدنا من كان يسير من الكفار

فى ساعة واحدة من المشرق الى المغرب وهو ابليس لعنه الله فاذا كان الكافر هكذا لم تنكر كرامة الاولياء وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الثالثة والثلاثون

وماذكرنا انه ينبغى له ان يعلم ان الله تعالى ماشاء فعل وماشاء يفعل له الحكم وليس لاحد عليه الحكم بل هو يفعل مايشاء ويحكم مايريد لايسئل عما يفعل وهم يسألون اعلم وتيقن ان السعيد قد يشقى وان الشقى قد يسعد ولو لم يكن كذلك ما كان ينفع المطيع طاعة وما كان يضر العاصى معصية ولكان الكفار معذورين عند ربهم بكفرهم والدليل على صحة ماقلنا قوله تعالى يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وقوله تعالى والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب وقوله تعالى اذا ارادشيئا ان يقول له كن فيكون وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل يكون مابينه وبين الجنة الاشبر فيجرى على يديه شر فيختم له بالشقاوة وان الرجل يكون بينه وبين النار شبر فيجرى على يديه خير وعمل صالح فيختم له بالسعادة (وروى) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يدعو ويقول اللهم يارب ان كنت كتبت اسمى فى ديوان الاشقياء فاصرفه الى ديوان السعداء بفضلك يارب (وروى) عن عبدالله بن مسعود مثل هذا واعلم ان الله لايضيع اجر المحسنين وقال الله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ومن قال قد جف القلم بماهو كائن وفعل الله ماشاء فهو مبتدع والذى يقول السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه فهذا من جهة الرزق والاجل والحياة لان رزق بعض العباد ضيق ورزق بعض العباد واسع وحياة بعض العباد اقصر وحياة بعض العباد اطول (وقال) عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة يعنى الملة الاان ابويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فمن مات من اولاد الكفار واليهود والنصارى والمجوس اوالمؤمنين فمصيرهم الى الجنة لان النبى عليه السلام قال رفع عن امتى الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبى حتى يحتلم فلو ان احدا سعد فى بطن امه فاذا بلغ مبلغ الرجال وعمل عمل السعداء اسعده الله بفضله ولو لم يكن كذلك لما نفع احدا طاعته ولا ضر احدا معصيته وهذا مذهب الجبرية وفى هذا كفاية للعاقل

المسئلة الرابعة والثلاثون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم انه لايكون عقل الانبياء والمؤمنين وعمل الكفار مستويين

ولايكون للكفار عقل مثل عقل الانبياء ومن قال ان العقول مستوية وعقل المؤمن وعقل الكافر سواء فهو مبتدع (اعلم) ان العقل على خمسة اوجه عقل غريزى وعقل تكلفى وعقل عطائى وعقل من جهة النبوة وعقل من جهة الشرف فاما العقل الغريزى فجميع الخلق فيه سواء فالكفار جميعا تعرف ان لهم ربا وخالقا واما العقل التكلفى فمن اكثر الجهد واكثر الجلوس مع العلماء والحكماء فانه يصير عاقلا ويوجد له من ذلك العقل على قدر التكلف واما العقل العطائى فليس للكفار فيه نصيب والمؤمنون مع الانبياء فيه سواء واما العقل الذى هو من جهة النبوة فليس للمؤمن منه نصيب وهذا العقل خاصة للانبياء عليهم السلام واما العقل من جهة الشرف فليس لسائر الخلق فيه نصيب وهو لمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة والله تعالى اعطاه خلقا لم يعطه لاحد من الملائكة والادميين وغيرهم لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (قال) وهب بن منبه قرأت احدا وتسعين كتابا فوجدت فى كلها لو جمعت عقول جميع الخلائق من الاولين والاخرين ووضعت عند عقل محمد صلى الله عليه وسلم لكانت عقولهم عند عقله مثل رملة عند رمال البرارى وان الله تعالى جعل العقل الف جزء واعطى من ذلك تسعمأة وتسعة وتسعين جزأ لمحمد صلى الله عليه وسلم واعطى الواحد لمن شاء من عباده وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الخامسة والثلاثون

وماقلنا انه ينبغى للمؤمن ان يعلم ان الله تعالى لم يزل خالقا قبل ان يخلق الخلق ولايتغير عليه الحال ومن قال ان الله تعالى لم يكن خالقا قبل ان يخلق الخلق بل صار خالقا بعد كان قوله هذا مثل من قال ان الله لم يكن الها ثم صار الها وهذا القول كفر لان الله قال الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار والله اعلم

المسئلة السادسة والثلاثون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان الله تعالى عالم وقادر بذاته وله علم وقدرة اعلم ان العالم بالحقيقة من كان له علم ومن لم يكن له علم يدعى العالم بالمجاز اوباللقب اوبالكذب والعالم القادر بالحقيقة هو الله تعالى ولايجوز ان يقال انه عالم بالمجاز اوباللقب اوبالكذب لان هذا القول كفر واعلم انه قادر وعالم بالحقيقة وله علم وقدرة لقوله تعالى ولايحيطون بشئ من علمه الا بماشاء وقوله تعالى وماتحمل من انثى

ولا تضع الا بعلمه ومن قال غير هذا فهو مبتدع وهذا كفاية للعاقل

المسئلة السابعة والثلاثون

وما قلنا انه ينبغي له ان يعلم ان الخلق في الدنيا على خمسة اوجه وهم مشرك ومنافق ومطيع بغير ذنب ومذنب مصر على التوبة ومؤمن مذنب غير مصر على التوبة اعلم ان من خرج من الدنيا مشركا منافقا يدخل النار ويخلد فيها ومن خرج من الدنيا بغير ذنب اوخرج مع التوبة يدخل الجنة ويخلد فيها ومن عمل الكبائر وخرج من الدنيا بغير توبة فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء غفر له بفضله وان شاء عذبه بعدله بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله وماقلناه صحيح في الكتاب والخبر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ياجبريل لمن هذا الباب الواحد فقال للمذنبين من امتك فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ودخل منزله ولم يخرج سبعة ايام الا للصلاة ولم يكلم احدا حتى وعده الله الشفاعة وقال ان للنار سبعة ابواب باب منها لامتك من اصحاب الكبائر الذين خرجوا من الدنيا بغير توبة فيعذبهم الله على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة بفضله وبركة الايمان بفضلك وبشفاعتك وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الثامنة والثلاثون

وما قلنا انه ينبغي له ان يعلم ان الله تعالى فعل ماشاء ويفعل مايشاء فهم الخلق اولم يفهم خيرا كان اوشرا فما فعل الله تعالى فهو منه حكم وعدل ولا يكون ذلك منه جورا ومن وصف الله تعالى بالجور فقد كفر بالله والله تعالى قادر على جميع خلقه وعالم بالاشياء لقوله تعالى ان الله بكل شئ عليم وقوله ان الله على كل شئ قدير والامور كلها بيد الله تعالى لقوله تعالى فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ونحن ربما نكره شيأ وهو خير لنا وربما نحب شيأ وهو شر لنا لقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون وهذا كفاية للعاقل

المسئلة التاسعة والثلاثون

وما ذكرنا انه ينبغي له ان يعلم ان الذي كتب في المصاحف هو قرآن بالحقيقة

ونحن نقرأ القرآن بالحقيقة وفينا القرآن ومايكتب الصبيان فى الالواح هو قرآن
(واعلم) ان القران كلام الله غير مخلوق ومن انكر وقال ان مافى المصاحف
ليس بقرآن بالحقيقة فقل له ان جبريل عليه السلام سمع هذا القرآن بالحقيقة
اوبالمجاز فان كان سمعه بالحقيقة وانزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالمجاز فقد
كتم بالحقيقة وانه انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالحقيقة فلم ينكر انه كلام
الله تعالى فان قال المخالف بعض من القرآن انزل بالحقيقة وبعضه انزل بالمجاز
فقد صار القرآن قرآنين وهذا محال ومن انكر التنزيل فهو كافر بالله تعالى فان
قال ليس فى الدنيا قرآن ولا فى المصاحف والكراريس فقل له اين قول الله تعالى
تبارك الذى نزل الفرقان على عبده وقوله انا نحن نزلنا الذكر وقوله طه
ماانزلنا عليك القرآن لتشقى وقوله حم تنزيل الكتاب وقوله لوانزلنا هذا القرآن
على جبل وقوله وانه لتنزيل رب العالمين ومن انكر وقال ليس مافى المصاحف
قرآنا فقد انكر الايات كلها لان اسم الكتاب لايقع الاعلى شئ يكون فيه مكتوبا
وقد قال الله تعالى الم ذلك الكتاب لاريب فيه يعنى لاشك فيه فالله تعالى امر
بقراءة القران فقال فاقرؤا ماتيسر من القران والله تعالى امر بالاستماع لقوله
تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا الاية وما تقرأ انت ونحن نسمع
منك كلام الله تعالى بالحقيقة والدليل قوله تعالى يسمعون كلام الله ثم يحرفون من بعد
ماعقلوه الاية وقوله حتى يسمع كلام الله فالله تعالى من على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
ولقد اتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم فاذا لم يكن مافى المصاحف فاتحة الكتاب
ولامافى الكراريس فبأى شئ من عليه فالله تعالى نهى عن مس المصاحف الا بحال
الطهارة لقوله تعالى لايمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقوله انه لقرآن
كريم الاية فلو لم يكن مافى المصاحف قرآنا مانهى عن مسها (واعلم) ان الله
تعالى قال هذا القرآن بلا هجاء وحرف وبلا تعليم بعد تعليم وبلا نغمة بعد
نغمة وبلا صوت بعد صوت وبلا وقت بعد وقت فالله تعالى قال هذا القرآن
بلا هجاء ولاحرف ولاصوت كما قلنا وسمع جبريل عليه السلام من الله تعالى مثل
ذلك وقرأ جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بحرف وصوت ونحن نقرأ
بصوت وحرف ونكتب بحرف وليس فرق بين الذى قال الله تعالى وبين الذى
سمع جبريل من الله تعالى وبين الذى قرا جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
وبين الذى قرأ محمد على خلق الله تعالى ومانقرأ بيننا لان كله كلام الله غير مخلوق

95

ومانقرأ ونكتب فى المصاحف فهو قرائن لانزيد فيه حرفا ولانتقص منه حرفا والكاغد والمداد والقلم مخلوق والمكتوب كلام الله تعالى غير مخلوق بالحقيقة ومن قال القرائن مخلوق فهو كافر بالله فان قال المخالف هل قال الله تعالى الكلام فقل نعم فان قال متى فقل بلا متى فان قال كيف فقل بلا كيف فان قال اين فقل بلا اين فان قال كم فقل بلا كم فان قال حفظا او رفعا فقل لا حفظا ولا رفعا فان قال بصوت او بغير صوت فقل بلا صوت ولا حرف فان قال المخالف المكتوبات والحروف مخلوقة لانى اكتب ان شئت طولت وان شئت قصرت فقل له ان شئت تطويل الحروف او تقصيرها فهل يرتفع عنها اسم الحرفية واذا كان الناس يقولون فلان طويل القراءة فلان قصير القراءة هل يجوز ان يقولوا القرائن طويل اوقصير والذى يطول القراءة ويخفف ويقصر فكله كلام الله تعالى ليس فيه فرق وكذلك من طول كتابته بالحروف اوقصر ومن قال فى القرائن شئ غير ماوصفنا فهو مبتدع وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الاربعون

وما ذكرنا انه ينبغى له ان يعلم ان الايمان هو بالحقيقة لا بالمجاز لان الرجل لا يكون خارجا عن احد الاحوال الثلاثة اما ان يكون مؤمنا اوكافرا اومنافقا فمن لم يكن له الايمان بالحقيقة كان له الكفر بالحقيقة فمن زنى اوقتل مسلما بغير حق اوشرب الخمر اوعمل باللواطة اواخذ مال المسلم اولم يصل اومااشبه ذلك كان ايمانه صحيحا وهو مؤمن حقيقة ومن قال ايمانه بالمجاز لا بالحقيقة فهو مبتدع وهذا القائل لا يخرج من الحالين اما ان يكفر المؤمن بالذنوب اويعد الطاعة من الايمان فان كان يعد الطاعة من الايمان فهو مبتدع وان كان يكفر المؤمن بالذنوب ويقول الايمان بالمجاز فقل له لو كان الكافر صلى وصام ولم يزن ولم يسفك الدم وترك جميع المعاصى ولكنه لم يؤمن فيجب ان يقول كفره مجاز فكما ان الكافر لا يخرج باعمال الخير من الكفر بالحقيقة فكذلك المؤمن لا يخرج من الايمان الحقيقى بالذنوب والمعاصى لان الله تعالى سمى اهل المعاصى باسم الايمان فقال توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون الاية فان قال سماهم الله تعالى بالمجاز فقد كفر لان المجاز لا يكون الا من لا يعلم انه مؤمن اوغير مؤمن والله تعالى عالم بان هذا المذنب بالحقيقة فمن هذا قال توبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون وماقال ياايها الكافرون توبوا والعبد لا يخلو من احد الاحوال الثلاثة اما ان يكون مؤمنا بالحقيقة اوكافرا بالحقيقة اومنافقا

71 96

بالحقيقة فان كان المؤمن قدارتكب المعاصى ثم تاب غفرالله له وان كان مات بغير توبة فهو فى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بعدله وان شاء غفرله بفضله والمنافق اشر من الكافر فمن قال فى ايمان غير ماقلنا فهو مبتدع وهذا كفاية للعاقل والله تعالى اعلم

المسئلة الحادية والاربعون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان من كان له خصم وخرج من الدنيا ولم يرضه ولم يتب فانه يعطى الله تعالى من حسناته خصمه فى الاخرة بقدر خصومته وهذا لايكون من الله جور بل يكون عدلا ومن رأى اخذ مال المسلم اوغيره ولم يرضه فى الدنيا ويقول لايعطى الله تعالى من حسناتى الى خصمائى فى الاخرة فهو مبتدع وربما يدعى ويقول ان آدم عليه السلام مات ولم ينقسم ماله بين اولاده فمن اخذ شيأ فهو له وهذا مذهب يشبه مذهب المجوس بقربانهم امهاتهم وبناتهم واخواتهم والذى شرحناه فى هذا الباب كفاية للعاقل

المسئلة الثانية والاربعون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان التوفيق مع الفعل مستويان وينبغى ان لايقول ان التوفيق قبل الفعل فان هذا مذهب القدرية ومن قال ان التوفيق بعد الفعل فان هذا مذهب الجبرية والقدري والجبرى مجوس هذه الامة (واعلم) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال العبد قد اعطى قوة العمل وكلف بذلك حتى يلزم عليه الحجة ولم يعط قوة التوفيق لان التوفيق من الله تعالى والقدرى يقول ان الخير والشر كله منى وليس لله فيه صنع والجبرى يقول ان الخير والشر من الله تعالى وليس للعبد فيه صنع فالقدرى اضاف الربوبية الى نفسه والجبرى اضاف العبودية الى الله تعالى وكلاهما مبتدع والصواب فى ذلك ان يعلم ان من كان غرضه وجهده ومراده طاعة الله تعالى ورضاه يجد التوفيق من الله تعالى بجد العمل ومن كان غرضه وجهده ومراده معصية الله تعالى اصاب خذلان الله بجد العمل والدليل قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قال كما قال الجبرى لكان الكفار معذورين عند ربهم وان قال كما قال القدرى كله منا وليس لله فيه صنع فقد وصف الله تعالى بالعجز وهذا محال فكفروا (واعلم) ان الاستطاعة عند اهل العدل مع الفعل مستويان لايتقدم ولايتأخر وقوله تعالى انتم الفقراء الى الله وقد قال

الله تعالى قل لاأملك لنفسى نفعا ولاضرا الآية وفى هذا القدر كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة الثالثة والاربعون

وماقلنا انه ينبغى للمؤمن ان يعلم ان الايمان على الجارحتين على القلب واللسان الامن كان له عذربان كان الكن ولا ينفع بغير قلب فى حال والايمان هو معرفة الله تعالى بوحدانيته بالقلب والاقرار باللسان بوحدانيته لانه واحد ليس كمثله بشئ وهو السميع البصير فهذا هوراس الايمان فمن اقر باللسان ولم يقر بالقلب فهو منافق ومن عرف الله تعالى بالقلب ولم يقر باللسان فهو كافر بالله (واعلم) ان الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الرابعة والاربعون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان من عرف الله تعالى بالقلب ولم يعرفه باللسان فهو كافر ومن اقر باللسان ولم يعرفه بالقلب فهو منافق ومن قال ان الايمان على القلب دون اللسان فهو جهمى ومن قال ان الايمان على اللسان دون القلب فهو كرامى ومن قال ان الايمان قول باللسان بغير معرفة بالقلب فهو من المرجئة ومن قال ان الايمان هو معرفة بالقلب بغير اقرار باللسان وتصديق بالقلب فهو كاهل الكتاب يعرفونه ولايقرون به ولايصدقونه ومن قال ان الايمان هواقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح فهومبتدع ومن قال ان الايمان هومعرفة بالقلب بغيراقرار باللسان وتصديق بالقلب فهو جهمى وهؤلاء كلهم ضالون والصواب فى ذلك ان يعلم ان الايمان هواقرار باللسان وتصديق بالقلب وهذا كفاية للعاقل والله اعلم بالصواب

المسئلة الخامسة والاربعون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان لايشبه الله بشئ لان الله تعالى قال ليس كمثله شئ فى الارض ولافى السماء وهو السميع البصير (واعلم) ان الاشياء كلها مخلوقة ولابد للمخلوق من خالق ولايشبه الخالق بالمخلوق كما ان العامل لايشبه بالعمل فاذا كان الانسان لايشبه نفسه بعلمه فالخالق اولى ان لايشبه بالمخلوق ومن قال ان لله يدا اولسانا اوجسما وماأشبه ذلك فقد كفر فان قال قائل صف لى ربك فاقرأ قوله تعالى بسم الله الرحمن

(الرحيم)

الرحيم * قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد * ونحن له مسلمون وفي هذا القدر ما هو كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة السادسة والاربعون

وما ذكرنا انه ينبغي له ان لا يثبت له تعالى مكانا ولا محيثا ولا ذهابا ولا صفة كصفة المخلوقين فلان تمام الايمان ان يعرف الله تعالى ولا يشتغل بكيفيته لان الله تعالى قال لموسى بن عمران عليه السلام يا موسى اعلم ولا تعلم اثنين اعلم بأني الله ولا تشتغل بكيفيتي واعلم اني رازق ولا تعلم من اين ارزق العباد والصواب في ذلك ان يعلم انه تعالى ليس على مكان ولا هو محتاج الى مكان والعرش قائم بقدرته ولا يصفه بالمجيء والذهاب لان المجيء والذهاب لكل منهما ثلاثة معان اما ان يكون لا يرى فيدنو حتى يرى واما ان يكون لا يقدر فيدنو حتى يقدر واما ان يكون لا يسمع فيدنو حتى يسمع فمن شبه الله تعالى بهذه الاشياء فقد كفر واما الايات المتشابهات والاخبار المتشابهات فينبغي له ان يؤمن بها ولا يفسر لان تفسيرها يدخل في مذهب التعطيل فيصير مبتدعا واذا رأيت آية المتشابه فدع ذلك الى الله تعالى ولا تفسره حتى تحجو لانه ليس فرضا عليك ان تعرف تفسيره بل الفرض عليك ان تؤمن به وفي هذا القدر كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة السابعة والاربعون

وما قلنا انه ينبغي له ان يعلم ان الكسب يفترض في بعض الاوقات لان الله تعالى اوحى الى مريم وقال وهزي اليك بجذع النخلة وجعل النهار معاشا (واعلم) ان ترك الكسب رخصة وانكار الكسب بدعة فمن انكره فهو كرامي ومن رأى الرزق من الكسب فقد كفر ويسمى مشركا وينبغي ان يكون الكسب تحت اليقين والتوكل على اليقين فمتى لم يكن الكسب تحت اليقين كان كفرا لانه تعالى قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم واعلم ان الكسب لا يزيد في الرزق ولا ينقص رزق من ترك الكسب وان الله تعالى لا ينقص من رزق المسيء لاساءته ولا يزيد في رزق المحسن لاحسانه لان الله تعالى قال وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم قال تعالى فورب السماء والارض الاية (حدثنا) الثقات باسنادهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يجعل الكسب فريضة على نفسه بمنزلة الصلاة والصوم فهو مبتدع قيل لابن عباس اي الكسب افضل

قال نقل الحجارة من رؤس الجبال واخبرنا الثقات باسنادهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الكسب من الحلال فريضة وحدثنا الثقات باسنادهم عن ابن مسعود انه قال انى لابغض الرجل فارغا لاهو فى عمل الدنيا ولاهو فى عمل الآخرة وحدثنا الثقات باسنادهم عن عمر رضى الله عنه انه قال فى خطبته من عمل منكم جهدناه ومن لم يعمل اتهمناه قيل من العبد الجهد ومن الله تعالى التوفيق وهذا كفاية لاعاقل والله اعلم

المسئلة الثامنة والاربعون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان الايمان سوى العمل والعمل سوى الايمان وليس كل طاعة ايمانا كما ان الكفر معصية وليس كل معصية كفرا فان لكل نبى شرعة ومنهاجا يعنى كان لكل نبى شريعة وامر سوى ما كان للآخر لان ايمان احدهم سوى ايمان الاخر فلما كان ايمان الانبياء واحدا وشرائعهم مختلفة علم ان الايمان يباين العمل لانه لايجوز ان يكون لاحدهم ايمان كثير وللاخر قليل واما الدلائل فظاهرة الاترى ان الايمان على الدوام والعمل ليس على الدوام لان الرجل اذا صلى قبل وقت الصلاة فان الصلاة لاتجوز وكذلك اذا صام قبل شهر رمضان فانه لايجوز صومه عن رمضان ولو كان كافرا وعمل جميع الخيرات والطاعات قبل ان يؤمن لايصير مؤمنا لان الايمان قبل العمل والايمان على الدوام والعمل بالاوقات ومن جهة اخرى لو ان الكافر آمن على رأس المزبلة يجوز ايمانه ولو صلى على المزبلة فانه لايجوز فلو كان العمل من الايمان لما جاز بعضه على النجاسة وبعضه لايجوز وايضا لو ان امرأة حائضا اورجلا جنبا آمن يجوز ايمانه وان صلى على مثل هذه الحالة لاتجوز صلاته الاترى ان المؤمنين يكونون فى الجنة مؤمنين بغير عمل فقد ظهر ان الايمان يباين العمل وهذا كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة التاسعة والاربعون

وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان ايمان المحسن والمسئ سواء وايمان جبريل وميكائيل وسائر الملائكة وايمان جميع الانبياء والرسل وايماننا سواء فمن قال ان ايمان المسئ اقل من ايمان المحسن فقد كذب وهو مبتدع لان الله تعالى قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط اراد به المؤمنين فمن قال ان الملائكة قالت هذا القول اكثر مما قال الله تعالى اواقل فهو

(مبتدع)

مبتدع فان قلت المؤمن يقول اقل مما قالت الملائكة او اكثر فهو محال وان كنت تقول مثل ماقالت الملائكة فما الفرق بينك وبين الملائكة (واعلم) ان الملائكة فضلوا علينا بالاعمال والافعال لابالايمان فان الايمان واحد وايضا قل للمخالف هل آمن جبريل باحد انت تؤمن به او آمن باحد انت لاتؤمن به فان آمن باحد انت لم تؤمن به فهذا لايكون ايمانا بل يكون كفرا وان آمن باحد انت تؤمن به فايمانك وايمانه سواء ومن قال ان ايماننا خير من ايمان جبريل عليه السلام لان الله تعالى خلق جبريل واعطاه العقل ولم يعطه الشهوة وخلقنا واعطانا العقل والشهوة وامرنا بالصلاة والصوم والحج والزكاة والاغتسال من الجنابة فاذا ادينا هذا كله كان ايماننا خيرا من ايمان جبريل فهو مبتدع والله تعالى يقول فان آمنوا بمثل ماامنتم به فقد اهتدوا وايضا قل للمخالف ماقولك في رجل قال لااله الا الله محمد رسول الله وملك قال مثل هذا فهل يكونان كلاهما مؤمنين صادقين اولا اويكون احدهما صادقا والاخر كاذبا فان قال احدهما صادق والاخر كاذب فهو مبتدع وان قال هما مؤمنان صادقان فلا يكون بين ايمان الملك والرجل فرق فمن آمن بالله وبما امر الله به وبما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا وان كان زانيا اوشارب الخمر اوقاتل المؤمن فايمانه وايمان الملائكة والنبيين سواء ومن قال غير هذا فهو مبتدع وفي هذا كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة الخمسون

وما قلنا انه ينبغي له ان يقر بالبعث بعد الموت وان من انكر البعث فهو كافر يسمى دهريا وان البعث حق لقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ومن انكر هذا فهو كافر فينبغي للمؤمن ان يقر بالقيامة والساعة لان من انكر القيامة فقد كفر بالله واعلم ان القيامة حق والاستعداد لها واجب لقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض وقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون وقوله تعالى يوم الفصل وقوله يوم ينفخ في الصور وقوله يوم يفر المرء من اخيه وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمن انكر هذا فهو كافر بالله وهذا كفاية للعاقل والله اعلم

وماقلنا انه ينبغي للمؤمن ان يقر ان الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة فمن قال ان الوتر ركعة ولا يرى انه ثلاث ركعات حقا فهو مبتدع وان رأى انه ثلاث ولكن يصلي ركعة واحدة فلا تجوز الصلاة خلفه في قول ابي حنيفة رضي الله عنه ومن قال الوتر ركعة واحدة والله تعالى واحد فقد كفر لان الله تعالى واحد بغير حساب ولا عدد وهذا القياس كفر الا ترى ان الله تعالى سماك مؤمنا وسمى نفسه مؤمنا فتقول انا والله تعالى سواء وهذا القول كفر وقل للمخالف انت تسمي الله وترا وتسمي هذه الصلاة وترا وهذا الوتر فعلك وصفتك انت وجميع افعالك مخلوقة والوتر الذي هو اسم الله تعالى هو صفته وهو غير مخلوق فكيف تشبه شيئا مخلوقا بشئ هو صفة الله تعالى وهذا لقول كفر قال الله تعالى ليس كمثله شئ الاية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاكم صلاة وهي خير لكم من الدنيا ومافيها قالوا يارسول الله اي صلاة هي فقال هي الوتر وقتها الله تعالى من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر وقال في خبر آخر قال ان الله زادكم في صلاتكم ثلاث ركعات وهو الوتر وقتها بين صلاة العشاء وطلوع الفجر وروى عن ابي بكر الصديق انه قال اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث ركعات ولم يسلم الا في اخرهن ثم قال ثلاث مرات سبحان الملك القدوس سبوح قدوس وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث ركعات بتسليمة واحدة وكان يقرأ في الركعة الاولى بسبح اسم ربك الاعلى مع الفاتحة وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله وعن ابن عباس انه قال كنت نائما عند خالتي ميمونة زوج النبي عليه السلام فلما مضى هوى من الليل قام النبي عليه السلام واوتر بثلاث ركعات ولم يسلم الا في الركعة الثالثة واما الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يوتر بركعة ثم اوتر بثلاث ركعات ثم اوتر بخمس ركعات ثم اوتر بسبع ركعات ثم اوتر بتسع ركعات ثم اوتر باحدى عشرة ركعة ثم اوتر بثلاث عشرة ركعة فكان ذلك قبل نزول الوتر فلما جاء جبريل عليه السلام واخبره بالوتر ما صلى النبي عليه السلام بعد ذلك الا ثلاث ركعات بتسليمة واحدة فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا وفي هذا الباب احاديث كثيرة وسند ذكر بعضا من سادات هذه الامة وهم العشرة الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وشهد)

102

وشهد لهم بالجنة ابوبكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابوعبيدة بن الجراح وغيرهم مثل عبدالله بن عباس وابن مسعود والحسن والحسين ومعاذ بن اليمانى وانس بن مالك وسلمان الفارسى وبلال حبشى وابى ايوب الانصارى وابى امامة الباهلى وعائشة وحفصة وميمونة وفاطمة الزهراء والبراء بن عازب وعبادة بن الصامت وابى موسى الاشعرى وعمار بن ياسر وعبدالله بن ابى اوفى وعكرمة وخالد وقتادة وكثير من مثلهم ولكن اقتصرنا فهؤلاء كلهم قالوا نحن المؤمنون حقا والايمان لايزيد ولاينقص وحدث الامام حدث القوم ونرى المسح على الخفين والاقامة مثنى مثنى ولا يقرأ خلف الامام والوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة فعلى هذا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن الحسن البصرى انه قال رأيت ثلاثمائة نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبعون بدريا حدثنى كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احفظوا السنتكم عمن قال لااله الاالله ولاتكفروا المؤمنين بالذنب وحدثنى كلهم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان تقدير الخير والشر من الله تعالى وامرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الاالله فاذا قالوا لااله الاالله محمد رسول الله فقد عصموا منى دماءهم واموالهم والايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب والعمل بالشرائع وصلوا على من مات من اهل القبلة ولاتشكوا فى ايمانكم وصلوا خلف كل بر وفاجر ولاتخرجوا على احد من اهل القبلة بالسيف (وقال من التابعين والصالحين مثل محمد بن كعب القرظى وعطاء بن ابى رباح وجعفر بن محمد الصادق وعمر بن عبدالعزيز وميمون بن مهران وطاؤس اليمانى والربيع بن خيثم ووهب بن منبه ومالك بن دينار وكعب الاخبار وثابت البنانى ومحمد بن المنكدر ومحمد بن سيرين وعلقمة وابراهيم النخعى وابى حنيفة وابى يوسف ومحمد بن الحسن وزياد بن وكيع وعبدالله بن المبارك وكذلك نحو سبعمائة من التابعين والصالحين قالوا نحن المؤمنون حقا ولا يقرأ خلف الامام ويصلى الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة والاقامة مثنى وحدث الامام حدث القوم والايمان لايزيد ولاينقص ونصلى خلف كل بر وفاجر ولانكفر احدا من اهل القبلة بالذنب ونرى المسح على الخفين ولانتوضأ بالماء القليل الراكد وعلى هذا وجدنا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ومن صح به الدين وقال بعض العلماء والصالحين مثل محمد بن مقاتل الرازى وعصام بن يوسف وابو الليث وابى حفص

البخاري وخلف بن ايوب وجارود بن معاذ وعلي بن اسحق وابي عمرو الضرير وابي سليمان الجرجاني وابي بكر الجرجاني وابي القاسم الصفار وابي احمد العياض ومن مثلهم نحو اربعمائة نفر من ائمة الدين بخراسان والعراق وما وراء النهر كلهم كانوا على ماذكرنا وقالوا كلهم نحن وجدنا سادات هذه الامة وزهادها وعبادها على مثل هذا مثل سالم المرى وذوى النون المصرى وفضيل بن عياض وابي بكر الوراق واحمد بن حضرويه وابي بكر الوسطى وابي يزيد البسطامي وابراهيم بن احمد وشقيق بن ابراهيم البلخي وخاتم الاصم وحامد اللفاف ومعاذ الثقفي وابراهيم السمرقندي وعمران ابن ابي بكر وابي زكريا وعتبة الغلام وابي تراب النخشبي وابي القاسم الحكيم السمرقندي ومن مثلهم من زهاد قالوا نحن المؤمنون حقا ونوتر بثلاث ركعات بتسليمة واحدة ولا نشك في ايماننا والايمان لا يزيد ولا ينقص والاقامة مثنى مثنى ولا نرفع ايدينا الا في التكبيرة الاولى ولا نقرأ خلف الامام ولا نكفر احدا من اهل القبلة بالذنب ونصلي خلف كل بر وفاجر ولا نتكلم في اهل القبلة الا بخير ونخاف من الله تعالى ونرجو افضله وجدنا على هذا اثنتين من اهل خراسان والعراق واهل ماوراء النهر كلهم قوله مقبول في هذا كله فلما كان هؤلاء السادات وائمة الهدى على ذلك فلا يخالفهم الا مبتدع وفي هذا خمس مائة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اقتصرنا كي لا يثقل على المعلم وبالله الحول والقوة وهذا كفاية للعاقل والله اعلم بالصواب

المسئلة الثانية والخمسون

وماقلنا انه ينبغي له ان يرى ان حدث الامام حدث للقوم فمن لم ير حدث الامام حدثا للقوم لا تجوز الصلاة خلفه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فان قال انا اصلي صلاتي والامام يصلي صلاته فقل باي شئ يصير القوم مقتدين به وان كان كل واحد منهم يصلي صلاة نفسه ولا يكون حدث الامام حدثا للقوم فبأي شئ يكون فضل الجماعة فاذا كان كذلك فيبتنى على قولك انه اذا كان الامام يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او امرأة تجوز صلاتك خلفه وهذا يكفي لمن شرح الله صدره للاسلام وفيه كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة الثالثة والخمسون

وماقلناه ان الوضوء لا يجوز بالماء القليل الراكد وعلامته اذا حرك جانبه يتحرك

الجانب الاخر فلا يجوز الوضوء منه وان كان الماء جاريا يجوز الوضوء منه وان قل اذا لم ير به اثر النجاسة ومن قال يجوز الوضوء من الماء الراكد لا تجوز الصلاة خلفه لانه لا يتوضأ ابدا وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الرابعة والخمسون

ينبغي له ان يرى المسح على الخفين للمقيم يوما وليله وللمسافر ثلاثة ايام ولياليهما من وقت الحدث ومن لم ير المسح على الخفين فهو من الروافض وهذا كفاية للعاقل

المسئلة الخامسة والخمسون

ينبغي ان يعلم ان الايمان لا يزيد ولا ينقص لان من يرى الزيادة والنقصان في الايمان فهو مبتدع والزيادة والنقصان انما تكون في الافعال لا في الايمان والزيادة والنقصان لا يدخلان الا في شيء مخلوق فان كان عندك ان الايمان يزيد وينقص فقد اقررت انه مخلوق والذي احتجوا به قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم قال المفسرون الذين قد صح منهم التفسير مثل ابن عباس وعلي وجعفر بن محمد الصادق والحسن البصري الايمان ههنا اليقين وقال بعضهم التصديق وقال بعضهم البقاء ولم يقل احد من العلماء والصالحين ان الايمان يزيد وينقص وليس كل شيء من القرآن ينبغي لك ان تفسره على وجهه الظاهر ولكن ينبغي لك ان تنظر الى معناه لان في القرآن آيا كثيرة في الظاهر لها معنى والباطن غير ذلك فاتقوا الله ولا تفسروا كلام الله برأيكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فسر القران برأيه فقد كفر والتفسير الصحيح ما جاء عن الصحابة والعلماء قال الله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك معناه ثبتنا على اسلام ولو فسرت على الظاهر فانظر الى قوله واسأل القرية يعني واسأل اهل القرية وقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول يعني الى كتاب وكلام الله وقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك يعني الم تخبر وكثير مثل هذا في القران ولكن اقتصرنا على ذلك فيجب عليك ان لا تفسر كلام الله برأيك ولا تحسب كل مذور جوزا كيلا تكفر وتدخل النار فان قال المخالف روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فاذا كان في الايمان مثقال ذرة علمنا ان الايمان يزيد وينقص فقل له هل يكون الايمان اقل من قول لا اله الا الله فان قال لا فقل لا اله الا الله اكثر ام مثقال ذرة وقد جاء في الخبر عن النبي صلى عليه وسلم انه قال لو ان السموات السبع والارضين السبع وضعت في كفة الميزان وقول لا اله الا الله في كفة اخرى لكان قول لا اله الا الله

يرجح لكن النبي صلى الله عليه وسلم اراد ههنا عملا غير الايمان الا انه جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يخرج من النار بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله محمد رسول الله قل ما قولك يا مخالف ايغفر لهم بايمان كامل او بايمان ناقص وهو لم يعمل عملا صالحا فان كان الايمان قولا وعملا لم يخرج من النار لانه ليس فيه عمل وروى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قاله انا مؤمن ان شاء الله فقد خرج من امر الله ومن قال ان الايمان يزيد وينقص فليس له في الاسلام نصيب ومن قال ان الايمان مخلوق فقد كفر وروى عن ابي هريرة انه قال جاء اناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن زيادة الايمان ونقصان الايمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادته ونقصانه كفر والايمان لا يزيد ولا ينقص وروى عن عمر بن عبد العزيز انه قال على المنبر لو كان الايمان على تلك الصفة التي وصفوها اهل الاهواء لكان يقبل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على امته في آناء الليل والنهار خمسين صلاة وصوم ستة اشهر من كل سنة مثل ما كان على بني اسرائيل ولكن سأل الله تعالى التخفيف على امته حتى خفف الله خمسين صلاة الى خمس صلوات وخفف صوم ستة اشهر الى صوم شهر واحد فمن قال ان الايمان قول وعمل او يزيد وينقص فينبغي ان يقول ايمان موسى اكثر من ايمان محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كفر (واعلم) ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ومن قال يزيد وينقص فهو مبتدع وهذا كفاية للعاقل والله اعلم بالصواب

المسئلة السادسة والخمسون

وما قلنا انه ينبغي له ان يعلم انه اذا سال الدم والقيح وما اشبه ذلك من جرح فقد انتقض الوضوء ويرى اعادة الوضوء حقا فاعلم ان كل شئ في باطن الانسان اذا تبين في ظاهره او سال من الباطن الى الظاهر فقد انتقض به الوضوء وكل ظاهر اذا دخل في الباطن يفسد صومه الا ان يكون ناسيا فمن احتجم او سال من بدنه دم او قيح وما اشبه ذلك متعمدا او غير متعمد ولم يعد وضوءه فهو مبتدع لا يجوز الصلاة خلفه لانه يصلي بغير وضوء وهذا القدر كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة السابعة والخمسون

وما قلنا انه ينبغي له ان يعلم ان ابليس لعنة الله لما كان يعبد الله سبحانه كان مؤمنا عند الله وعند الملائكة وفي اللوح وابو بكر وعمر رضي الله عنهما لما كانا يعبدان الصنم كانا كافرين عند الله وعند الملائكة وفي اللوح ومن قال غيره هذا فهو مبتدع جبري روى عن ابن

عباس رضى الله عنهما انه قال الحذر لايغنى عن القدر شيئا ولكن الدعاء يدفع القدر واعلم ان ابليس لعنه الله كان مؤمنا مدة ماكان يعبد الله تعالى عند الله تعالى وعند الملائكة لان من آمن بالله كان مؤمنا حقا ومن كفر وعبد الصنم كان كافرا حقا ومن كان عند نفسه مؤمنا حقا كذلك يكون عند الله مؤمنا حقا ومن كان عند نفسه كافرا حقا كذلك يكون عند الله تعالى كافرا حقا الا ترى ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالقتال مع المشركين حتى يقولوا لااله الاالله محمد رسول الله فما تقول انت يامخالف هل امر الله تعالى نبيه بالقتال مع المؤمنين اومع الكافرين فيكون بقولك الله تعالى امر بالقتال مع المؤمنين وهذا محال ولوكان الكفار مؤمنين عند عبادة الاوثان كان لاينبغى القتال وما كان ينبغى لهم الاسلام وكانوا مؤمنين بعضا وكافرين بعضا ولين الله تعالى وقال يامحمد لاتقاتل المؤمنين ولكن قاتل المشركين وان كان المؤمنون من كان مؤمنا حقا فى الازل ولم يتغير عن حاله ولايغيره كائن ولايكون سوى ذلك فاذا كان كذلك فما الفائدة فى امر الله تعالى بالقتال حتى يقولوا لااله الاالله وما الفائدة فى عرض الاسلام فان كان الكافر كافرا فى اللوح المحفوظ ولايسلم ابدا بقولك فالمحاربة معه محال لانه كتب فى اللوح كافرا وهذا مذهب من يرى الكفار واهل الكبائر معذورين بفعلهم وهذا كفر وقل للمخالف ان آدم عليه السلام هل كان عاصيا قبل الاكل من الشجرة اوكان مطيعا اوخلقه الله مطيعا اوعاصيا فان قال خلقه الله مطيعا فلايعصى بقولك وان قال خلقه الله عاصيا فلايطيع بقولك ولايكون لهذه الاية معنى وفائدة وهى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقل له لما امر الله تعالى الملائكة بالسجود لادم هل كان ابليس حينئذ كافرا اومؤمنا فان كان كافرا لم يأمره الله تعالى بالسجود لادم بقولك لان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لاالكافر وابليس لعنه الله كان معذورا بترك السجود بقولك وقد قال الله تعالى مامنعك ان لاتسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين (واعلم) ان الله تعالى امره بالسجود فان كان كافرا لم يأمره بالسجود اذ ليس للكافر مع الملك عمل فتعين ان ابليس كان مؤمنا وكان يعبد الله تعالى فلما لم يسجد وكفر بالله محى اسمه من ديوان المؤمنين وكتب كافرا وادم عليه السلام كان كتب فى اللوح مطيعا قبل ان يأكل من الشجرة فلما اكل من الشجرة وعصى محى اسمه من المطيعين وكتب عاصيا فلما رحمه الله وتاب عليه وقبل توبته كتب الله اسمه فى جملة المطيعين وكذلك هاروت وماروت وكذلك قابيل

بن آدم كان مؤمنا فى اللوح فلما قتل اخاه ولم يرض بحكم الله محى اسمه من المؤمنين وكتب كافرا وسحرة فرعون مادامو يسحرون كانت اسماؤهم فى اللوح من السحرة والكفرة فلما آمنوا وسجدوا كتبوا من المؤمنين وابو بكر وعمر مادامًا يعبد ان الصنم كان اسمهما فى اللوح من الكافرين فلما اسلما كتب اسمهما فى اللوح من المؤمنين وكذلك بلعم بن باعورا وقارون وثعلبة والله تعالى قادر فى جميع الاحوال فعل ماشاء ويفعل مايشاء يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ويشقى السعيد ويسعد الشقى ويصير الكافر مؤمنا ويصير المؤمن كافرا وقال النبى صلى الله عليه وسلم يولد الانسان كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وفى هذا اخبار كثيرة ولكن اقتصرنا وفى هذا كفاية للعاقل والله تعالى اعلم

المسئلة الثامنة والخمسون

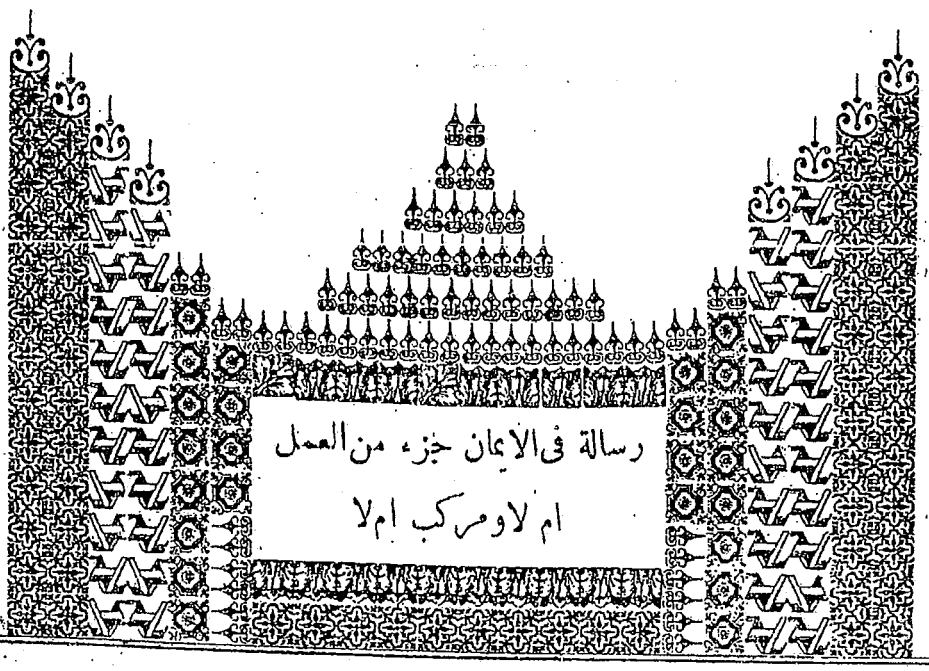
وماقلنا انه ينبغى له ان يعلم ان امر الله تعالى فى الدنيا لايسقط عن المحب بمحبته فمن ادعى محبة الله تعالى نصدقه فى اربع خصال الاولى ان لايقصر فى حق مولاه والثانية ان لايقصر فى نهى مولاه والثالثة ان يرضى بجميع حكم مولاه والرابعة ان يترحم على جميع خلق مولاه ومن قال ان احباء الله تعالى اذا وجدوا محبة الله لايضرهم شئ لان المحبة لاتتضرر بترك الصلاة وركوب المعاصى وهذا باطل (واعلم) ان الله تعالى قال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله واتباعنا ان نعمل بفرائض الله تعالى وسنن رسوله فمن ترك سنة رسوله فهو فاسق والفاسق لايصلح لمحبة الله تعالى ومن لم ير ذلك فهو مبتدع ولايكون المبتدع حبيب الله فاذا كان بترك سنة رسوله هكذا فكيف بترك فرائض الله سبحانه وتعالى فينبغى له ان يعمل عمل المحبوب حتى يصدق قوله فعله وقد قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ولوسقط عن احد من عباد الله تعالى لكان يسقط عن خليله ابراهيم عليه السلام لان الله تعالى اتخذه خليلا فكان اذا صلى سمع وحيب قلبه من هيبة الله تعالى ميلا من ميل ولوسقط عن احد من احباء الله تعالى امر الله تعالى لكان سقط عن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان الله تعالى احبه واختاره من خلقه فكان اذا صلى يسمع لجوفه ازيز كازيز المرجل وقد آمنه الله تعالى من خوفه وقال تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ومع هذا عبد الله تعالى وصلى حتى تورمت قدماه فلما لم يسقط امر الله تعالى عن سيد ولد آدم محمد وعن خليله ابراهيم عليهما السلام فكيف يسقط عن غيرهما وهذا كفاية للعاقل والله اعلم

المسئلة التاسعة والخمسون

وما ذكرنا انه ينبغي له ان يخاف الله تعالى لاجل خاتمته ويرى الخوف من الله تعالى لانه لايدرى ايموت بالاسلام اوبالكفر كمن قبله من العباد الذين خرجوا من الدنيا بغير الاسلام وخوف الخاتمة فريضة على جميع المسلمين والدليل عليه قوله تعالى فلايأمن مكرالله الا القوم الخاسرون وقوله تعالى ان الله شديد العقاب وقوله تعالى ولتنظر نفس ماقدمت لغد وقال عليه السلام قال الله لااجمع على عبدى خوفين ولاامنين من خافنى فى الدنيا امنته فى الاخرة ومن مننى فى الدنيا اخفته فى الاخرة وقال امام المسلمين ابوحنيفة رضى الله عنه اكثر مايسلب الايمان من العبد عند النزع فمن لايخاف الخاتمة ومن لم يتق الله لاجل الخاتمة فهو مرجى خبرى وهذا كفاية للعاقل والله تعالى اعلم

المسئلة الستون

وما ذكرنا من انه ينبغي له ان لايقنط من رحمة الله تعالى وان كان قد اتى بكبيرة اوكبائر كثيرة لان من قنط من رحمة الله تعالى يكون كافرا يسمى حروريا (واعلم) لوان احدا من المؤمنين اتى بجميع ذنوب اهل الارض لاينبغي له القنوط من رحمة الله تعالى لانه كفر والدليل عليه قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولو ان مؤمنا قتل الف مؤمن اوزنى بالف مؤمنة ولم يصل ولم يصم ولم يزك ولم يحج ولم يغتسل من الجنابة وفعل اكثر من ذلك مادام انه لايكفر فهو مؤمن حقا وان تاب تاب الله عليه وان خرج من الدنيا بغير توبة فهو فى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بعد له وان شاء غفرله بفضله ويدخل الجنة برحمته ومن قال ان هذا المؤمن يكفر بالله بهذه الذنوب فهو كافر يسمى حروريا ومن قال ان هذا المؤمن اذا اتى بهذه الذنوب وخرج من الدنيا بغير توبة يخلد فى النار ابدا فهو كافر يسمى معتزليا ومن قال ان هذا المؤمن لاتضره هذه الذنوب بعد ما آمن بالله تعالى فهو كافر يسمى مرجئا واعلم ان الله تعالى قال ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقال تعالى قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والذين اذافعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال تعالى ومن يعمل سوء او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وهذا كفاية للعاقل والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب



رسالة فى الايمان جزء من العمل ام لا ومركب ام لا

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان الايمان ثنائى عند ابى حنيفة تصديق بالجنان واقرار باللسان والتصديق هو الركن الاعظم والاقرار كالدليل عليه واما العمل فليس بجزء لامن مطلق الايمان ولامن الايمان الكامل فلايقبل الايمان الزيادة والنقصان اصلا ويكون تارك العمل مؤمنا ولكن يكون فاسقا وثلاثى عند الشافعى تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان والعمل جزء من حقيقة الايمان عند المعتزلة والخوارج حتى يكون مرتكب الكبيرة خارجا عن الايمان ويدخل فى الكفر عند الخوارج ولايدخل فى الكفر عند المعتزلة فيثبتون منزلة بين الايمان والكفر وعند الشافعى الاعمال جزء من الايمان الكامل لامن حقيقة الايمان فباخلال العمل يكون ايمانه ناقصا لاكاملا فيكون الايمان عنده قابلا للزيادة والنقصان بزيادة العمل ونقصانه فان قيل قبول الزيادة والنقصان مقطوع به نقلا وعقلا اما نقلا فلقوله تعالى (واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا) ولقوله ع م (لووزن ايمان ابى بكر رضى الله عنه بايمان جميع الخلائق لترجح بهم واما عقلا فللزوم التساوى بين ايمان محمد ع م وبين واحد من آحاد امته وبداهة العقل يحكم بخلافه قلنا الايمان هو التصديق والناس مستوية الاقدام فيه والزيادة والنقصان انما هى من ثمرات الايمان وشعبه كما عددناها لافى حقيقة الايمان الذى هو التصديق القلبى قيل

من شهد وعمل واعتقد فهو مخلص ومن شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق ومن اخل بالشهادتين فهو كافر ثم الايمان والاسلام واحد عندنا بدليل قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى (فاخرجنا من كان فيها اى فى قرية لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) فان المراد من المؤمنين والمسلمين فى هذه الاية لوط عم واتباعه وعند الشافعى رحمه الله بينهما عموم وخصوص مطلق وكل مؤمن مسلم بخلاف عكسه محتجا بقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) وبقوله عم فى الحديث المذكور بان الايمان والاسلام كذا قلنا فى الجواب عن الاية الكريمة مرادنا من الاسلام فى قولنا الايمان والاسلام واحد الاسلام المعتبر فى الشرع وهو لا يوجد بدون الايمان والاسلام فى الاية بمعنى انقياد الظاهر من غير انقياد الباطن بمنزلة المتلفظ بكلمة الشهادة من غير تصديق فى باب الايمان والجواب عن الحديث ان المراد من الاسلام ثمرات الاسلام وعلاماته لا حقيقة الاسلام مشكات الانوار فى بحث الايمان والاسلام

قد تم طبع هذا الكتاب مع بذل جهدنا فى تصحيحه موافقا
لاصله فى مطبعة ابراهيم نفعنا الله به ولمن طالعه
من المؤمنين اجمعين والحمد لك
يارب العالمين

ح ش غ

الجام العوام عن علم الكلام

تأليف

العلامة الامام حجة الاسلام

أبى حامد محمّد بن محمّد الغزالى

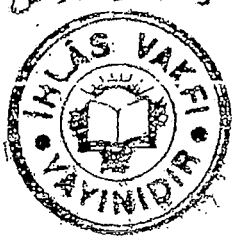
قدس الله سره و جعل الفردوس

مقره

توفى سنة ٥٠٥ هـ ١١١١ م

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

وقف الاخلاص



الجام العوام عن علم الكلام
للامام الغزالى قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تجلى لكافة عباده بصفاته واسمائه وتاهت عقول الطالبين فى بيداء كبريائه وقصر اجنحة الافكار دون سحى عزته وتعالى بجلاله عن ان تدرك الافهام كنه حقيقته واستولى على قلوب اوليائه وخاصته واستغرق ارواحهم حتى احترقوا بنار محبته وبهتوا فى اشراق انوار عظمته وخرست السنتهم عن الثناء على جمال حضرته الا بما اسمعهم من اسمائه وصفاته وانبأهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خير خليقته وعلى اصحابه وعترته (امابعد) فقد سألتنى ارشدك الله

52

(عن)

عن الاخبار الموهمة للتشبيه عند الرعاع والجهال
من الحشوية الضلال حيث اعتقدوا في الله وصفاته
ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة واليد والقدم
والنزول والانتقال والجلوس على العرش والاستقرار
وما يجري مجراه مما اخذوه من ظواهر الاخبار وصورها
وانهم زعموا ان معتقدهم فيه معتقد السلف واردت
ان اشرح لك اعتقاد السلف وان ابين ما يجب
على عموم الخلق ان يعتقدوه في هذه الاخبار واكشف
فيه الغطاء عن الحق واميز ما يجب البحث عنه عما
يجب الامساك والكف من الخوض فيه فاجبتك
الى طلبتك متقربا الى الله سبحانه وتعالى باظهار الحق
الصريح من غير مداهنة ومراقبة جانب ومحافظة
على تعصب لمذهب ذي مذهب فالحق اولى
بالمراقبة والصدق والانصاف اولى بالمحافظة
عليه واسأل الله التسديد والتوفيق وهو باجابة
داعيه حقيق وها انا ارتب الكتاب على ثلثة ابواب
(باب) في بيان حقيقة مذهب السلف في هذه الاخبار
(وباب) في البرهان على ان الحق فيه مذهب السلف
وان من خالفهم فهو مبتدع

(وباب) فى فصول متفرقة نافعة فى هذا الفن

(الباب الاول) فى شرح اعتقاد السلف فى هذه الاخبار

(اعلم) ان الحق الصريح الذى لامرآه فيه عند اهل البصائر هو مذهب السلف اعنى مذهب الصحابة والتابعين وها انا اورد بيانه وبيان برهانه

(فاقول) حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة امور ﴿ التقديس ﴾ ثم التصديق * ثم الاعتراف بالعجز * ثم السكوت * ثم الكف * ثم الامساك * ثم التسليم لاهل المعرفة (واما التقديس) اعنى به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها (واما التصديق) فهو الايمان بما قاله صلى الله عليه وسلم وان ماذكره حق وهو فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذى قاله واراده (واما الاعتراف بالعجز) فهو ان يقر بان معرفة مراده ليست على قدر طاقته وان ذلك ليس من شانه وحرفته (واما السكوت) فان لا يسئل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم ان سؤاله عنه بدعة وانه فى خوضه فيه مخاطر بدينه وانه يوشك

54

(ان)

ان يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر (واما الامساك)
فان لا يتصرف فى تلك الالفاظ بالتصريف
والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان منه
والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى
ذلك الوجه من الاعراب والتصريف
والصيغة (واما الكف) فان يكف باطنه عن البحث
عنه والتفكر فيه (واما التسليم) لاهله فان لا يعتقد
ان ذلك ان خفى عليه لعجزه فقد خفى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم او على الانبياء او على الصديقين
والاولياء فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف
وجوبها على كل العوام لا ينبغى ان يظن
بالسلف الخلاف فى شئ منها فلنشرحها وظيفة
وظيفة ان شاء الله تعالى (الوظيفة الاولى) التقديس
ومعناه انه اذا سمع اليد والاصبع وقوله صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق طينة آدم بيده * وان قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن * فينبغى ان يعلم ان اليد
تطلق لمعنيين (احدهما) وهو الوضع الاصلى
وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب والمراد باللحم
والعظم والعصب جسم مخصوص وصفات

مخصوصة اعني بالجسم عبارة عن مقدار له طول
وعرض وعمق يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو
الا بان ينحى عن ذلك المكان (وقد يستعار هذا
اللفظ) اعني اليد لمعنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم
اصلا كما يقال البلدة في يد الامير فان ذلك مفهوم
وان كان الامير مقطوع اليد مثلا فعلى العامي وغير العامي
ان يحقق قطعا ويقينا ان الرسول عليه السلام
لم يرد بذلك جسما هو عضو مركب من لحم ودم
وعظم وان ذلك في حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس
فان خطر بباله ان الله جسم مركب من اعضاء
فهو عابد صنم فان كل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق
كفر وعبادة الصنم كان كفرا لانه مخلوق وكان
مخلوقا لانه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع
الائمة السلف منهم والخلف سواء كان ذلك الجسم
كثيفا كالجبال الصم الصلاب اولطيفا كالهواء
والماء وسواء كان مظلما كالارض او مشرقا
كالشمس والقمر والكواكب اومشفا لا لون له كالهواء
اوعظيما كالعرش والكرسي والسماء اوصغيرا كالذرة
والهباء اوجمادا كالحجارة اوحيوانا كالانسان

(فالجسم)

فالجسم صنم فبان بقدر حسنه وجماله او عظمه
او صغره اوصلابته وبقاؤه لايخرج عن كونه
صنما ومن نفى الجسمية عنه وعن يده واصبعه
فقد نفى العضوية واللحم والعصب وقدس الرب
جل جلاله عما يوجب الحدوث ليعتقد بقلبه
انه عبارة عن معنى من المعانى ليس بجسم ولاعرض
فى جسم يليق ذلك المعنى بالله تعالى فان كان لايدرى
ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه فى ذلك
تكليف اصلا لمعرفته تأويله ومعناه ليس بواجب عليه
بل واجب عليه ان لايخوض فيه كما سيأتى مثال آخر اذا سمع
الصورة فى قوله عليه السلام (ان الله خلق آدم على
صورته) (وانى رأيت ربى فى احسن صورة) فينبغى
ان يعلم ان الصورة اسم مشترك قد يطلق ويراد به
الهيئة الحاصلة فى اجسام مؤلفة مولدة مرتبة
ترتيبا مخصوصا مثل الانف والعين والفم والخد التى
هى اجسام وهى لحوم وعظام وقد يطلق ويراد به
ما ليس بجسم ولا هيئة فى جسم ولا هو ترتيب فى اجسام
كقولك عرف صورته وما يجرى مجراه فليتحقق ٥٦
كل مؤمن ان الصورة فى حق الله لم يطلق لارادة المعنى

الاول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من انف
وفم وخد فان جميع ذلك اجسام وهيأت في اجسام
وخالق الاجسام والهيأت كلها منزه عن مشابهتها
وصفاتها واذا علم هذا يقينا فهو مؤمن فان خطر له
انه ان لم يرد هذا المعنى فالمعنى الذي اراده فينبغي
ان يعلم ان ذلك لم يؤمر بل امر بان لا يخوض فيه
فانه ليس على قدر طاقته لكن ينبغي ان يعتقد
انه اريد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس
بجسم ولا عرض في جسم مثال آخر اذا قرع سمعه
النزول في قوله صلى الله عليه وسلم (ينزل الله تعالى
في كل ليلة الى السماء الدنيا) فالواجب عليه ان يعلم
ان النزول اسم مشترك قد يطلق اطلاقا يفتقر فيه
الى ثلثة اجسام جسم عال هو مكان لساكنه و
جسم سافل كذلك و جسم منتقل من السافل الى
العالي و من العالي الى السافل فاذا كان عبارة عن
انتقال جسم من علو الى اسفل فان كان من اسفل
الى علو سمي صعودا وعروجا ورقيا وان كان
من علو الى اسفل سمي نزولا وهبوطا وقد يطلق على
معنى آخر ولا يفتقر فيه الى تقدير انتقال وحركة

58

فى جسم كما قال الله تعالى (وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج [1]) وماراى البعير والبقر نازلا من السماء
بالانتقال بل هى مخلوقة فى الارحام ولا نزالها
معنى لامحالة كما قال الشافعى رضى الله عنه دخلت
مصر فلم يفهموا كلامى فنزلت ثم نزلت ثم نزلت
فلم يرد به انتقال جسده الى اسفل فتحقق المؤمن
قطعا ان النزول فى حق الله تعالى ليس بالمعنى الاول
وهو انتقال شخص وجسد من علو الى اسفل
فان الشخص والجسد الاجسام والرب جل
جلاله ليس بجسم فان خطر له انه ان لم يرد هذا
فما الذى اراد فيقال له انت اذا عجزت عن فهم
نزول البعير من السماء فانت عن فهم نزول الله
تعالى اعجز فليس هذا بعشك فادرج واشتغل
بعبادتك اوحرفتك واسكت واعلم انه اريد به معنى
من المعانى التى يجوز ان يراد بالنزول فى لغة العرب
ويليق ذلك المعنى بجلال الله تعالى وعظمته وان كنت
لاتعلم حقيقته وكيفيته مثال آخر اذا سمع لفظ الفوق
فى قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) وفى قوله

59

(١) سورة الزمر الآية السادسة

تعالى (يخافون ربهم من فوقهم) فليعلم ان الفوق
اسم مشترك يطلق لمعنيين احدهما نسبة جسم
الى جسم بان يكون احدهما اعلى والآخر اسفل
يعني ان الاعلى من جانب رأس الاسفل وقد يطلق
لفوقية الرتبة وبهذا المعنى يقال الخليفة فوق
السلطان والسلطان فوق الوزير وكما يقال العلم فوق
العلم والاول يستدعي جسما ينسب الى جسم (والثاني)
لا يستدعيه فليعتقد المؤمن قطعا ان الاول غير
مراد وانه على الله تعالى محال فانه من لوازم الاجسام
او لوازم اعراض الاجسام واذا عرف نفي هذا المحال
فلا عليه ان لم يعرف انه لما ذا اطلق وما ذا اريد
فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره (الوظيفة الثانية
الايمان والتصديق) وهو ان يعلم قطعا ان هذه
الالفاظ اريد بها معنى يليق بجلال الله وعظمته
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق في وصف الله
تعالى به فليؤمن بذلك وليوقن بان ما قاله صدق
وما اخبر عنه حق لا ريب فيه وليقل آمنا وصدقنا
وان ما وصف الله تعالى به نفسه او وصفه به رسوله
هو كما وصفه وحق بالمعنى الذي اراده وعلى الوجه

60

(الذي)

الذى قاله وان كنت لااقف على حقيقته فان قلت
التصديق انما يكون بعد التصور والايمان انما يكون
بعد التفهم فهذه الالفاظ اذا لم يفهم العبد معانيها
كيف يعتقد صدق قائله فيها فجوابك ان التصديق
بالامور الجملية ليس بمحال وكل عاقل يعلم انه اريد
بهذه الالفاظ معان وان كل اسم فله مسمى
اذا نطق به من اراد مخاطبة قوم قصد ذلك المسمى
فيمكنه ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ما هو عليه
فهذا معقول على سبيل الاجمال بل يمكن ان يفهم
من هذه الالفاظ امور جملية غير مفصلة ويمكن التصديق
كما اذا قال فى البيت حيوان امكن ان يصدق دون ان
يعرف انه انسان او فرس او غيره بل لو قال فيه شئ امكن
تصديقه وان لم يعرف ما ذلك الشئ فكذلك من
سمع الاستواء على العرش فهم على الجملة انه اريد بذلك
نسبة خاصة الى العرش فيمكنه بالتصديق قبل
ان يعرف ان تلك النسبة هى نسبة الاستقرار
عليه او الاقبال على خلقه او اتحاده والاستيلاء عليه
او معنى آخر من معانى النسبة فامكن التصديق به
وان قلت فاى فائدة فى مخاطبة الخلق بما لا يفهمون

فجوابك انه قصد بهذا الخطاب تفهيم من هو اهله
وهم الاولياء والراسخون فى العلم وقد فهموا وليس
من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم بما يفهم
الصبيان والعوام بالاضافة الى العارفين كالصبيان بالاضافة
الى البالغين ولكن على الصبيان ان يسألوا البالغين
عما يفهمونهم وعلى البالغين ان يجيبوا الصبيان بان هذا
ليس من شأنكم وليس من اهله فقوموا فى حديث غيره
فقد قيل للجاهل اذا سألوا اهل الذكر فان كانوا يفهمون
ففهمك فى قولهم والاقبول لهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فلا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ما لكم ولهذا
السؤال هذه معانى الايمان بها واجب والكيفية مجهولة
اى مجهولة لكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك الاستواء
معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب فاذن الايمان
بالمبانى التى ليست مفصلة فى الذهن ممكن ولكن
تفصيله الذى هو نفى للمحال عنه ينبغى ان يكون
مفصلا فان النفى هى الجسمية ولوازمها ونفى
بالجسم ههنا الشخص المقدر الطويل العريض
والعميق الذى يمنع غيره من ان يوجد بحيث هو الذى
يدفع ما يطلب مكانه ان كان قويا ويندفع ويتنحى

عن مكانه بقوة دافعة ان كان ضعيفا وانما شرحنا هذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما لا يفهم المراد به

(الوظيفة الثالثة)

الاعتراف بالعجز ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه المعاني وحقيقتها ولم يعرف تأويلها والمعنى المراد به ان يقر بالعجز فان التصديق واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى المعرفة فقد كذب وهذا معنى قول مالك الكيفية مجهولة يعني تفصيل المراد به غير معلوم بل الراسخون في العلم والعارفون من الاولياء ان جاوزوا في المعرفة حدود العوام وجالوا في ميدان المعرفة وقطعوا من بواديها اميالا كثيرة فابقى لهم مما لم يبلغوه وهو بين ايديهم اكثر بل لا نسبة لما طوى عنهم الى ما كشف لهم لكثرة المطوى وقلة المكشوف بالاضافة اليه والاضافة الى المطوى المستور (قال سيد الانبياء صلوات الله عليه لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك) وبالاضافة الى المكشوف (قال صلوات الله عليه اعرفكم بالله اخوفكم لله وانا اعرفكم بالله) ولاجل كون العجز والقصور ضروريا في آخر الامر بالاضافة الى منتهى الحال (قال سيد

الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك) فاوائل
حقايق هذه المعانى بالاضافة الى عوام الخلق كاواخرها
بالاضافة الى خواص الخلق فكيف لايجب عليهم
الاعتراف بالعجز (الوظيفة الرابعة) السكوت عن السؤال
وذلك واجب على العوام لانه بالسؤال متعرض لما
لايطيقه وخائض فيما ليس اهلا له فان سأل جاهلا
زاده جوابه جهلا وربما ورطه فى الكفر من حيث
لايشعر ولان سأل عارفا عجز العارف عن تفهيمه بل
عجز عن تفهيم ولده مصلحته فى خروجه الى المكتب
بل عجز الصايغ عن تفهيم النجار دقايق صناعته
فان النجار وان كان بصيرا بصناعته فهو عاجز
عن دقايق الصياغة لانه انما يعلم دقايق النجر لاستغراقه
العمر فى تعلمه وممارسته فكذلك يفهم الصياغة
ايضا لصرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل
ذلك لايفهمه فالمشغولون بالدنيا وبالعلوم التى ليست
من قبيل معرفة الله عاجزون عن معرفة الامور
الالهية عجز كافة المعرضين عن الصناعات عن فهمها
بل عجز الصبى الرضيع عن الاغتذاء بالخبز واللحم
القصور فى فطرته لالعدم الخبز واللحم ولالانه قاصر

64

عن تغذية الاقوياء لكن طبع الضعفاء قاصر عن
التغذي به فمن اطعم الصبي الضعيف اللحم والخبز
او مكنه من تناوله فقد اهلكه وكذلك العالم
انما طلب بالسؤال هذه المعاني يجب زجرهم ومنعهم
وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر رضي الله عنه بكل
من سأل عن الايات المتشابهات وكما فعله صلى الله
عليه وسلم في الانكار على قوم رآهم خاضوا في
مسئلة القدر وسألوا عنه فقال عليه السلام (افبهذا
امرتم وقال انما اهلك من كان قبلكم بكثرة السؤال)
ولفظ هذا معناه كما اشتهر في الخبر ولهذا اقول يحرم
على الوعاظ على رؤس المنابر الجواب عن هذه
الاسئلة بالخوض في التأويل والتفصيل بل الواجب
عليهم الاقتصار على ماذكرناه وذكره السلف
وهو المبالغة في التقديس ونفي التشبيه وانه تعالى منزه
عن الجسمية وعوارضها وله المبالغة في هذا بما
اراد حتى يقول كل ماخطر ببالكم وهجس في ضميركم
وتصور في خاطركم فالله تعالى خالقها وهو منزه عنها
وعن مشابهتها وان ليس المراد بالاخبار شيء من
ذلك واما حقيقة المراد فلستم من اهل معرفتها

65

والسؤال عنها فاشتغلوا بالتقوى فيما امركم الله تعالى به فافعلوه وما نهيكم عنه فاجتنبوه وهذا قد نهيتم عنه فلا تسألوا عنه ومهما سمعتم شيأ من ذلك فاسكتوا وقولوا آمنا وصدقنا وما اوتينا من العلم الا قليلا وليس هذا من جملة ما اوتيناه

(الوظيفة الخامسة)

الامساك عن التصرف فى الفاظ واردة ويجب على عموم الخلق الجمود على الفاظ هذه الاخبار والامساك عن التصرف فيها من ستة اوجه التفسير والتأويل والتصريف والتفريع والجمع والتفريق

(الاول) التفسير واعنى به تبديل اللفظ بلغة اخرى يقوم مقامها فى العربية ومعناها بالفارسية او التركية بل لا يجوز النطق الا باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية ما لا يوجد لها بفارسية يطابقها ومنها ما يوجد لها فارسية يطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعانى التى جرت عادة العرب باستعارتها منها ومنها ما يكون مشتركا فى العربية ولا يكون فى العجمية كذلك (اما الاول) مثاله لفظ الاستواء فانه ليس له فى الفارسية لفظ مطابق يؤدى بين الفرس

من المعنى الذى يؤديه لفظ الاستواء بين العرب بحيث
لا يشتمل على مزيد ايهام اذ فارسيته ان يقال راست
باستاد وهذا ان لفظان الاول ينبئ عن انتصاب
واستقامة فيما يتصوران ينحنى ويعوج (والثانى)
ينبئ عن سكون وثبات فيما يتصوران يتحرك
ويضطرب واشعاره بهذه المعانى واشارته اليها
فى العجمية اظهر من اشعار لفظ استواء واشارته اليها
فاذا تفاوتا فى الدلالة والاشعار لم يكن هذا مثل الاول
وانما يجوز تبديل اللفظ بمثله المرادف له الذى لا يخالفه
بوجه من الوجوه الا بما لا يباينه ولا يخالفه ولو بادنى
شئ وادقه واخفاه (مثال الثانى) ان الاصبع يستعار
فى لسان العرب للنعمة يقال لفلان عندى اصبع اى نعمة
ومعناها بالفارسية انگشت وما جرت عادة العجم
بهذه الاستعارة وتوسع العرب فى المجوز والاستعارة
اكثر من توسع العجم بل لا نسبة لتوسع العرب الى جمود
العجم فاذا حسن ارادة المعنى المستعار له فى العرب
وسمج ذلك فى العجم ينفر القلب عن ما سمج ومجه السمع
ولم يمل اليه فاذا تفاوتا لم يكن التفسير تبديلا بالمثل
بل بالخلاف ولا يجوز التبديل الا بالمثل (مثال الثالث)

العين فان من فسره فانما يفسره باظهر معانيه فيقول هو
جشم وهو مشترك في لغة العرب بين العضو الباصر
وبين الماء والذهب والشمس وليس للفظ جشم وهو
مشترك هذا الاشتراك وكذلك لفظ الجنب والوجه
يقرب منه فلاجل هذا رأى المنع من التبديل والاقتصار
على العربية فان قيل هذا التفاوت ان ادعتموه في جميع
الالفاظ فهو غير صحيح اذ لا فرق بين قولك خبز
ونان و بين قولك لحم وگوشت وان اعترف بان
ذلك في البعض فامنع من التبديل عند التفاوت
لا عند التماثل فالجواب انا الحق ان هذا التفاوت
في البعض لا في الكل فلعل لفظ اليد و لفظ دست
يتساويان في اللغتين وفي الاشتراك والاستعارة وسائر الامور
ولكن اذا انقسم الى ما يجوز والى ما لا يجوز وليس
ادراك التمييز بينهما والوقوف على دقايق التفاوت جليا
سهلا بسيرا على كافة الخلق بل يكثر فيه الاشكال ولا يتميز
محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين ان نحتم
الباب احتياطا اذ لا حاجة ولا ضرورة الى التبديل
و بين ان نفتح الباب ونقحم عموم الخلق ورطة الخطر
فليت شعري اي الامرين احزم واحوط والمنظور

فيه ذات الاله وصفاته وما عندى ان عاقلا متدينا
لايقر بان هذا الامر مخطر فان الخطر فى الصفات
الالهية يجب اجتنابه كيف وقد اوجب الشرع
على الموطوءة العدة لبراءة الرحم ولحذر من خلط الانساب
احتياطا لحكم الولاية والوارثة وما يترتب على النسب
فقالوا مع ذلك يجب العدة على العقيم والايسة
والصغيرة وعند العزل لان باطن الارحام انما يطلع
عليه علام الغيوب فانه يعلم ما فى الارحام فلو فتحنا
باب النظر الى التفصيل كنا راكبين متن الخطر فايجاب
العدة حيث لاعلوق اهون من ركوب هذا الخطر
فكما ان ايجاب العدة حكم شرعى فتحريم تبديل
القربة حكم شرعى ثبت بالاجتهاد وترجيح طريق
الاول ونعلم ان الاحتياط فى الخبر عن الله وعن صفاته
وعما اراده بالفاظ القرأن اهم واولى من الاحتياط
فى العدة ومن كل ما احتاط الفقهاء من هذا القبيل
(اما التصريف الثانى) التأويل وهو بيان معناه
بعد ازالة ظاهره وهذا اما ان يقع من العامى نفسه
او من العارف مع العامى او من العارف مع نفسه بينه
وبين ربه فهذه ثلث مواضع (الاول) تأويل العامى

69

على سبيل الاشتغال بنفسه وهو حرام يشبه خوض
البحر المغرق ممن لا يحسن السباحة ولا شك فى تحريم
ذلك وبحر معرفة الله ابعد غورا واكثر مصاطب
ومهالك من بحر الماء لان هلاك هذا البحر لا حيوة
بعده وهلاك بحر الدنيا لا يزيل الا الحيوة الفانية
وذلك يزيل الحيوة الابدية فشتان بين الخطرين
(الموضع الثانى) ان يكون ذلك من العلم مع العامى
وهو ايضا ممنوع ومثاله ان يجر السباح الغواص
فى البحر مع نفسه عاجزا عن السباحة مضطرب القلب
والبدن وذلك حرام لانه عرضه لخطر الهلاك فانه
لا يقوى على حفظه فى لجة البحر وان قدر على حفظه
فى القرب من الساحل ولو امره بالوقوف بقرب الساحل
لا يطيعه وان امره بالسكون عند التطام الامواج
واقبال التماسيح وقد فغرت فاها للالتقام اضطرب
قلبه وبدنه ولم يمكن على حسب مراده لقصور
طاقته وهذا هو المثال الحق للعالم اذا فتح للعامى
باب التأويلات والتصرف فى خلاف الظواهر وفى
معنى العوام الأديب والنحوى والمحدث والمفسر
والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المجردين لتعلم السباحة

70

فى بحار المعرفة القاصرين اعمارهم عليه الصارفين
وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال
والجاه والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى
فى العلوم والاعمال العاملين بجميع حدود الشريعة
وآدابها فى القيام بالطاعات وترك المنكرات المفرغين
قلوبهم بالجملة عن غير الله تعالى لله المستحقرين
للدنيا بل الآخرة والفردوس الاعلى فى جنب محبة الله
تعالى فهؤلاء هم اهل الغوص فى بحر المعرفة وهم
مع ذلك كلهم على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة
الى ان يسعد واحد بالدر المكنون والسر المخزون
(اولئك الذين سبقت لهم من الله الحسنى فهم
الفائزون وربك اعلم بما تكن صدورهم وما يعلنون
(الموضع الثالث) تأويل العارف مع نفسه
فى سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلثة اوجه
فان الذى انقدح فى سره انه المراد به من لفظ الاستواء
والفوق مثلا اما ان يكون مقطوعا به او مشكوكا فيه
او مظنونا ظنا غالبا فان كان قطعيا فليعتقده وان كان
مشكوكا فليجتنبه ولا يحكمن على مراد الله تعالى
ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم من كلامه باحتمال

يعارضه مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك
التوقف وان كان مظنونا فاعلم ان للظن متعلقين
احدهما ان المعنى الذى اقتدح عنده هل هو جائز
فى حق الله تعالى ام هو محال (والثانى ان يعلم قطعا
جوازه لكن تردد فى انه هل هو مراد ام لا (مثال
الاول) تأويل لفظ الفوق بالعلو المعنوى الذى
هو المراد بقولنا السلطان فوق الوزير فانا لا نشك
فى ثبوت معناه لله تعالى لكنا نتردد فى ان لفظ
الفوق (فى قوله يخافون ربهم من فوقهم) هل
اريد به العلو المعنوى ام اريد به معنى آخر يليق بجلال
الله تعالى دون العلو بالمكان الذى هو محال على ما ليس
بجسم ولا هو صفة فى جسم (ومثال الثانى) تأويل
لفظ الاستواء على العرش بانه اراد به النسبة الخاصة
التى للعرش ونسبته ان الله تعالى يتصرف فى جميع العالم
ويدبر الامر من السماء الى الارض بواسطة العرش
فانه لا يحدث فى العالم صورة ما لم يحدثه فى العرش
كما لا يحدث النقاش والكاتب صورة وكلمة على
البياض ما لم يحدثه فى الدماغ بل لا يحدث البناء
صورة الابنية ما لم يحدث صورتها فى الدماغ فبواسطة

72

(الدماغ .)

الدماغ يدبر القلب امر عالمه الذى هو بدنه فربما
نتردد فى ان اثبات هذه النسبة للعرش الى الله تعالى
هل هو جائز اما لوجوبه فى نفسه اولانه اجرى به
سنته وعادته وان لم يكن خلافه محالا كما اجرى
عادته فى حق قلب الانسان بان لايمكنه التدبير الا
بواسطة الدماغ وان كان فى قدرة الله تعالى تمكينه
منه دون الدماغ لوسبقت به ارادته الازلية وحقت به
الكلمة القديمة التى هى علمه فصار خلافه ممتنعا
لالقصور فى ذات القدرة لكن لاستحالة مايخالف
الارادة القديمة والعلم السابق الازلى ولذلك قال
(ولن تجد لسنة الله تبديلا) وانما لايتبدل لوجوبها
وانما وجوبها لصدورها عن ارادة ازلية واجبة
ونتيجة الواجب واجبة ونقيضها محال وان لم يكن
محالا فى ذاته ولكنه محال لغيره وهو افضاؤه الى
ان ينقلب العلم الازلى جهلا ويمتنع نفوذ المشية
الازلية فاذا اثبات هذه النسبة لله تعالى مع العرش
فى تدبير المملكة بواسطته ان كان جائزا عقلا فهل
واقع وجودا هذا مما قد يتردد فيه الناظر وربما يظن
وجود هذا مثال الظن فى نفس المعنى والاول مثال

الظن فى كون المعنى مرادا باللفظ مع كون المعنى
فى نفسه صحيحا جايز اوبينهما فرق لكن كل واحد من
الظنين اذا انقدح فى النفس وحاك فى المصدر فلا يدخل
تحت الاختيار دفعه عن النفس ولا يمكنه ان لا يظن
فان للظن اسبابا ضرورية لا يمكن دفعها (ولا يكلف
الله نفسا الا وسعها) لكن عليه وظيفتان احديهما
ان لا يدع نفسه تطمئن اليه جزما من غير شعور
بامكان الغلط فيه ولا ينبغى ان يحكم مع نفسه بموجب
ظنه حكما جازما (والثانية) انه ان ذكره لم يطلق
القول بان المراد بالاستواء كذا او المراد بالفوق كذا
لانه حكم بما لا يعلم وقد قال الله تعالى (ولا تقف
ما ليس لك به علم) لكن يقول انا اظن انه كذا فيكون
صادقا فى خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون
حكما على صفة الله ولا على مراده بكلامه بل حكما
على نفسه ونبأ عن ضميره فان قيل وهل يجوز ذكر
هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل
عليه ضميره وكذلك لو كان قاطعا فهل له ان يتحدث به
قلنا تحدثه به انما يكون على اربعة اوجه فاما ان يكون
مع نفسه او مع من هو مثله فى الاستبصار او مع من هو

74

مستعد للاستبصار بذكائه وفطنته وتجرده لطلب
معرفة الله تعالى اومع العامي فان كان قاطعا فله
ان يحدث نفسه به و يحدث من هو مثله في الاستبصار
اومن هو متجرد لطلب المعرفة مستعد له خال عن الميل
الى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب وطلب
المباهات بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام فمن
اتصف بهذه الصفات فلا بأس بالتحدث معه لان
الفطن المتعطش الى المعرفة للمعرفة لالغرض آخر يحيك
في صدره اشكال الظواهر وربما يلقيه في تأويلات
فاسدة لشدة شرهه على الفرار عن مقتضى الظواهر
ومنع العلم اهله ظلم كبثه الى غير اهله واما العامي
فلا ينبغي ان يحدث به وفي معنى العامي كل من لا يتصف
بالصفات المذكورة بل مثاله ما ذكرناه من اطعام الرضيع
الاطعمة القوية التي لا يطيق واما المظنون فتحدثه
مع نفسه اضطرارا فان ما ينطوي عليه الذهن من ظن
وشك وقطع لا زال النفس يحدث به ولا قدرة
على الخلاص منه فلا منع منه فلا شك في منع التحدث
به مع العوام بل هو اولى بالمنع من المقطوع اما تحدثه
مع من هو في مثل درجته في المعرفة اومع المستعد له

فيه نظر فيحتمل ان يقال هو جائز ولا يزيد على
ان يقول اظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لانه
قادر على تركه وهو يذكره متصرف بالظن فى صفات الله
تعالى اوفى مراده من كلامه وفيه خطر واما حسنه
يعرف بنص اواجماع اوقياس على منصوص ولم
يرد شئ من ذلك بل ورد قوله تعالى (ولا تقف
مالبس لك به علم) فان قيل يدل على الجواز ثلثة امور
(الاول) الدليل الذى دل على اباحة الصدق
وهو صادق فانه ليس يجيز الاعن ظنه وهو ظان
(الثانى) اقاويل المفسرين فى القرآن بالحدس
والظن اذكل ماقالوه غير مسموع من الرسول عليه
السلام بل هو مستنبط بالاجتهاد ولذلك كثرت الاقاويل
وتعارضت (والثالث) اجماع التابعين على نقل
الاخبار المتشابهة التى نقلها آحاد الصحابة ولم يتواتر
وما اشتمل عليه الصحاح الذى نقله العدل عن العدل
فانهم جوزوا روايته ولا يحصل بقول العدل الا الظن
والجواب عن الاول ان المباح صدق لا يخشى منه
ضرر وبث هذه الظنون لا يخلو عن ضرر فقد يسمعه
من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم فى صفات الله تعالى

(بغير)

بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال
الظواهر فاذا وجد مستر وحامن المعنى ولو كان مظنونا
سكن اليه واعتقده جزما وربما يكون غلطا فيكون
قد اعتقد فى صفات الله تعالى بما هو الباطل او حكم عليه
فى كلامه بما لم يرد به (واما الثانى) وهو اقاويل
المفسرين بالظن فلا نسلم ذلك فيما هو من صفات الله
تعالى كالاستواء والفوق وغيره بل لعل ذلك فى الاحكام
الفقهية او فى حكايات احوال الانبياء والكفار
والمواعظ والامثال وما لا يعظم خطر الخطاء فيه
(واما الثالث) فقد قال قائلون لا يجوز ان يعتمد
فى هذا الباب الا ما ورد فى القرآن او تواتر عن الرسول
صلى الله عليه وسلم تواترا يفيد العلم فاما اخبار الاحاد
فلا يقبل فيه ولا نشتغل بتأويله عند من يميل الى التاويل
ولا بروايته عند من يقتصر على الرواية لان ذلك
حكم بالمظنون واعتماد عليه وما ذكروه ليس ببعيد
لكنه مخالف لظاهر ما درج عليه السلف فانهم
قبلوا هذه الاخبار من العدول ورووها وصححوها
فالجواب من وجهين (احدهما) ان التابعين كانوا
قد عرفوا من ادلة الشرع انه لا يجوز اتهام العدل

بالكذب لاسيما فى صفات الله تعالى فاذا روى الصديق
رضى الله عنه خبرا وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول كذا فرد روايته تكذيب له ونسبة
له الى الوضع اوالى السهو فقباوه وقالوا قال ابو بكر
قال رسول الله عليه السلام وقال انس قال رسول الله
عليه السلام وكذا فى تابعى التابعين فالان اذا ثبت
عندهم بادلة الشرع انه لاسبيل الى اتهام العدل
التقى من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فمن اين
يجب ان لايتهم ظنون الاحاد وان ينزل الظن
منزلة نقل العدل مع ان بعض الظن اثم فاذا قال
الشارع مااخبركم به العدل فصدقوه واقبلوه
واثقلوه واظهروه فلايلزم من هذا ان يقال ماحدثكم
به نفوسكم من ظنونكم فاقبلوه واظهروه واروا
عن ظنونكم وضمائركم ونفوسكم ماقالته فليس هذا
فى معنى المنصوص ولهذا نقول مارواه غير العدل
من هذا الجنس ينبغى ان يعرض عنه ولايروى ويحتاط
فيه اكثر مما يحتاط فى المواعظ والامثال وما يجرى
مجراها (والجواب الثانى) ان تلك الاخبار رويتها
الصحابة لانهم سمعوه يقينا فانقلوا الاما تيقنوه

78

والتابعون قبلوه و رووه وما قالوا قال رسول الله
عليه السلام كذا بل قالوا قال فلان قال رسول الله
عليه السلام كذا وكانوا صادقين وما اهملوا روايته
لاشتمال كل حديث على فوائد سوى اللفظ الموهم
عند العارف معنى حقيقياً يفهمه منه ليس ذلك ظنيا
فى حقه مثاله رواية الصحابى عن رسول الله عليه السلام
(قوله ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول
هل من داعى فاجيب وهل من مستغفر فاغفر له)
الحديث فهذا الحديث سيق لنهاية الترغيب فى قيام
الليل وله تأثير عظيم فى تحريك الدواعى للتهجد الذى
هو افضل العبادات فلو ترك هذا الحديث لبطلت
هذه الفائدة العظيمة ولا سبيل الى اهمالها وليس
فيه الا ايهام لفظ النزول عند الصبى والعامى اجلى
مجرى الصبى وما اهون على البصير ان يغرس
فى قلب العامى التنزيه والتقديس عن صورة النزول
بان يقول له ان كان نزوله الى السماء الدنيا ليسمعنا
نداءه وقوله فما اسمعنا فاى فائدة فى نزوله ولقد كان
يمكنه ان ينادينا كذلك وهو على العرش او على السماء
الاعلى فهذا القدر يعرف العامى ان ظاهر النزول

باطل بل مثاله ان يريد من في المشرق اسماع شخص
في المغرب ومناداته فيتقدم الى المغرب باقدام معدودة
واخذ يناديه وهو يعلم انه لا يسمع فيكون نقله الاقدام
عملا باطلا وفعلا كفعل المجانين فكيف يستقر مثل
هذا في قلب عاقل بل يضطر بهذا القدر كل عامي
الى ان يتيقن نفي صورة النزول وكيف وقد علم
استحالة الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير
الاجسام كاستحالة النزول من غير انتقال فاذا الفائدة
في نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر يسير فاني
يساوي هذا حكاية الظنون المتقدحة في الانفس
فهذه سبل تجاذب طرق الاجتهاد في اباحة ذكر
التأويل المظنون او المنع ولا يبعد ذكر وجه ثالث وهو
ان ينظر الى قرائن حال السائل والمستمع فان علم انه
ينتفع به ذكره وان علم انه يتضرر تركه وان ظن
احد الامرين كان ظنه كالعلم في اباحة الذكر وكم
من انسان لا تحرك داعيته باطنا الى معرفة هذه المعاني
ولا يحيك في نفسه اشكال من ظواهرها فذكر التأويل
معه مشوش وكم من انسان يحيك في نفسه اشكال الظاهر
حتى يكاد ان يسوء اعتقاده في الرسول عليه السلام

وينكر قوله الوهم مثل هذا لو ذكر معه الاحتمال
المظنون بل مجرد الاحتمال الذي ينبؤ عنه اللفظ
انتفع به ولا بأس بذكره معه فانه دواء لدائه وان كان داء
في غيره ولكن لا ينبغي ان يذكر على رؤس المنابر لان
ذلك يحرك الدواعي الساكنة من اكثر المستمعين وقد كانوا
عنه غافلين وعن اشكاله منفكين ولما كان زمان السلف
الاول زمان سكون القلب بالغوافي الكف عن التأويل
خيفة من تحريك الدواعي وتشويش القلوب فمن
خالفهم في ذلك الزمان فهو الذي حرك الفتنة والقى
هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه فباء بالاثم
اما الان وقد فشى ذلك في بعض البلاد فالعذر في اظهار
شئ من ذلك رجاء لاماطة الاوهام الباطلة عن القلوب
اظهر واللوم عن قائله اقل فان قيل فقد فرقتم بين
التأويل المقطوع والمظنون فبماذا يحصل القطع
بصحة التأويل قلنا بامرين (احدهما) ان يكون
المعنى مقطوعا باثبوته لله تعالى كفوقية المرتبة (والثاني)
ان لا يكون اللفظ الا محتملا لامرين وقد يبطل احدهما
وتعين الثاني مثاله قوله تعالى (وهو القاهر فوق
عباده) فانه ان ظهر في وضع اللسان ان الفوق لا يحتمل

81

الا فوقية المكان اوفوقية الرتبة وقد بطل فوقية المكان لمعرفة التقديس لم يبق الا فوقية الرتبة كما يقال السيد فوق العبد والزوج فوق الزوجة والسلطان فوق الوزير فالله فوق عباده بهذا المعنى وهذا كالمقطوع به فى لفظ الفوق وانه لا يستعمل فى لسان العرب الا فى هذين المعنيين اما لفظ الاستواء الى السماء وعلى العرش ربما لا ينحصر مفهومه فى اللغة هذا الانحصار واذا تردد بين ثلثة معانى معنيان جائزان على الله تعالى ومعنى واحد هو الباطل فتنزيله على احد المعنيين اجايزان ان يكون بالظن وبالاحتمال المجرد وهذا تمام النظر فى الكف عن التأويل (التصرف الثالث) الذى يجب الامساك عنه التصريف ومعناه انه اذا ورد قوله تعالى (استوى على العرش) فلا ينبغى ان يقال مستو ويستوى لان المعنى يجوز ان يختلف لان دلالة قوله هو مستو على العرش على الاستقرار اظهر من قوله (رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) الاية بل هو كقوله (خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء) فان هذا يدل على استواء قد انقضى من

(فيقال)

اقبال على خلقه اوعلى تدبير المملكة بواسطته فنى
تغيير التصاريف مايوثق فى تغيير الدلالات والاحتمالات
فليجتنب التصريف كما يجتنب الزيادة فان تحت
التصريف الزيادة والنقصان (التصرف الرابع)
الذى يجب الامساك عنه القياس والتفريع مثل
ان يرد لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد والعضد
والكف مصيرا الى ان هذا من لوازم اليد واذا ورد
الاصبع لم يجز ذكر الانملة كما لايجوز ذكر اللحم
والجسم والعصب وان كان اليد المشهورة لا ينفك
عنه وابعد من هذه الزيادة اثبات الرجل عند ورود اليد
واثبات الفم عند ورود العين اوعند ورود الضحك
واثبات الاذن والعين عند ورود السمع والبصر وكل ذلك
محال وكذب وزيادة وقد يتجاسر بعض الحمق من
المشبهة الحشوية فلذلك ذكرناه (التصرف الخامس)
لايجمع بين متفرق ولقد بعد عن التوفيق من صنف
كتابا فى جمع هذه الاخبار خاصة ورسم فى كل عضو
بابا فقال باب فى اثبات الرأس وباب فى اثبات اليد
الى غير ذلك وسماه كتاب الصفات فان هذه كلمات
متفرقة صدرت من رسول الله عليه السلام فى اوقات

متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة تفهم السامعين معانى صحيحة فاذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الانسان صار جمع تلك المفرقات فى السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة فى تأكيد الظاهر وايهام التشبيه وصار الاشكال فى ان الرسول عليه السلام لم نطق بما يوهم خلاف الحق اعظم فى النفس واوقع بل الكلمة الواحدة يتطرق اليها الاحتمال فاذا اتصل به ثانية وثالثة ورابعة من جنس واحد صار متواليا يضعف الاحتمال بالاضافة الى الجملة ولذلك يحصل من الظن بقول المخبرين وثلثة ما لا يحصل بقول الواحد بل يحصل من العلم القطعى بخبر التواتر ما لا يحصل بالآحاد ويحصل من العلم القطعى باجتماع التواتر ما لا يحصل بالآحاد وكل ذلك نتيجة الاجتماع اذ يتطرق الاحتمال الى قول كل عدل والى كل واحدة من القرائن فاذا انقطع الاحتمال او ضعف فلذلك لا يجوز جمع المفرقات (النصرف السادس) التفريق بين المجتمعات فكما لا يجمع بين متفرقة فلا يفرق بين مجتمعة فان كل كلمة سابقة على كلمة او لاحقة لها مؤثرة فى

5 84

تفهيم معناه مطلقا ومرجحة الاحتمال الضعيف
فيه فاذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها مثاله
قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) لاتسلط
على ان يقول القائل هو فوق لانه اذا ذكر القاهر
قبله ظهر دلالة الفوق على الفوقية التى للقاهر
مع المقهور وهى فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل
عليه بل لا يجوز ان يقول وهو القاهر فوق غيره
بل ينبغى ان يقول فوق عباده لان ذكر العبودية
فى وصفه فى الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة
اذ يحسن ان يقال زيد فوق عمرو قبل ان يتبين
تفاوتهما فى معنى السيادة والعبودية او غلبة القهر
او نفوذ الامر بالسلطنة او بالابوة او بالزوجية
فهذه الامور يغفل عنها العلماء فضلا عن العوام
فكيف يسلط العوام فى مثل ذلك على التصرف
بالجمع والتفريق والتأويل والتفسير وانواع
التغيير ولاجل هذه الدقايق بالغ السلف فى الجمود
والاقتصار على موارد التوقيف كما ورد على الوجه
الذى ورد وباللفظ الذى ورد والحق ما قالوه
والصواب ماراوه فاهم المواضع بالاحتياط ما هو

85 84

تصرفه فى ذات الله وصفاته واحق المواضع بالجام
اللسان وتقييده عن الجريان فيما يعظم فيه الخطر
واى خطر اعظم من الكفر (الوظيفة السادسة)
فى الكف بعد الامساك واعنى بالكف كف الباطن
عن التفكر فى هذه الامور فذلك واجب عليه كما وجب
عليه امساك اللسان عن السئوال والتصرف وهذا
اثقل الوظايف واشدها وهو واجب كما وجب
على العاجز الزمن ان لايخوض غمرة البحر وان كان
يتقاضاه طبعه ان يغوص فى البحر و يخرج درها
وجواهرها ولكن لاينبغى ان يغره نفاسة جواهرها
مع عجزه عن نيلها بل ينبغى ان ينظر الى عجزه وكثرة
معاطبها ومهالكها و يتفكر انه ان فاته نفايس البحر
فاتاته الازيادات وتوسعات فى المعيشة وهو مستغن
عنها فان غرق اوالتقمه تمساح فانه اصل الحيوة
فان قلت ان لم ينصرف قلبه عن التفكر والتشوف
الى البحث فما طريقه قلت طريقه ان يشغل نفسه
بعبادة الله وبالصلوة وقرأة القرأن والذكر فان لم يقدر
فبعلم آخر لايناسب هذا الجنس من لغة اونحو اوخط
اوطب اوفقه فان لم يمكنه فبحرفة اوصناعة

ولو الحراثة والحياكة فان لم يقدر فليلعب ولهو وكل
ذلك خير له من الخوض فى هذا البحر البعيد غوره وعمقه
العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامى بالمعاصى
البدنية ربما كان اسلم له من ان يخوض فى البحث
عن معرفة الله تعالى فان ذلك غايته الفسق وهذا
عاقبته الشرك وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فان قلت العامى اذا لم تسكن
نفسه الى الاعتقادات الدينية الا بدليل فهل يجوز
ان يذكر له الدليل فان جوزت ذلك فقد رخصت له
فى التفكر والنظر واى فرق بينه وبين غيره اجوا ب
انى اجوز له ان يسمع الدليل على معرفة الخالق
ووحدانيته وعلى صدق الرسول وعلى اليوم الاخر
ولكن بشرطين (احدهما) ان لا يزاد سمعه على الادلة
التى فى القرآن (والاخر) ان لا يمارى فيه الامراء
ظاهرا ولا يتفكر فيه الا تفكرا سهلا جليا ولا يمعن
فى التفكر ولا يوغل غاية الايغال فى البحث وادلة هذه
الامور الاربعة ما ذكر فى القرآن اما الدليل على معرفة
الخالق مثل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء
والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج

الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر
فسيقولون الله وقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج
بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء
ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل
باسقات لها طلع نضيد (وكقوله) فلينظر الانسان
الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق
غلبا وفاكهة وابا (وقوله) الم نجعل الارض مهادا
والجبال اوتادا الى قوله وجنات الفافا وامثال ذلك
وهي قريب من خمسمائة آية جمعناها في كتاب
جواهر القرآن بها ينبغي ان يعرف الخلق جلال الله
الخالق وعظمته لا بقول المتكلمين ان الاعراض حادثة
وان الجواهر لا تخلو عن الاعراض الحادثة فهي
حادثة ثم الحادث يفتقر الى محدث فان تلك التقسيمات
والمقدمات واثباتها بادلتها الرسمية يشوش قلوب
العوام والدلالات الظاهرة القريبة من الافهام على ما
في القرآن يقنعهم وتسكن نفوسهم وتغرس في قلوبهم

89 88

الاعتقادات الجازمة واما الدليل على الوحدانية
فيقنع فيه بما فى القران من قوله لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا فان اجتماع المدبرين سبب افساد التدبير
(و بمثل) قوله لو كان معه الهة كما يقولون اذا
لابتغوا الى ذى العرش سبيلا وقوله تعالى ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض (واما صدق) الرسول
فيستدل عليه بقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا و بقوله فأتوا بسورة
من مثله وقوله قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وامثاله
(واما اليوم الاخر) فيستدل عليه بقوله قل من يحيى
العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة
و بقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة
من منى يمنى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى و بقوله يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب الى قوله فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت وربت ان الذى احياها لمحى الموتى وامثال
ذلك كثير فى القرآن فلا ينبغى ان يزاد عليه فان قيل

فهذه الادلة التي اعتمدها المتكلمون وقرروا وجه
دلالتها بالهم بمنعهم عن تقرير هذه الادلة ولا يمنعون
عنها وكل ذلك مدرك بنظر العقل وتأمله فان فتح
للعامي باب النظر فليفتح مطلقا وليسد عليه طريق النظر
رأسا وليكلف التقليد من غير دليل (الجواب ان الادلة
تنقسم الى ما يحتاج فيه الى تفكر وتدقيق خارج عن
طاقة العامي وقدرته والى ما هو جلي سابق الى الافهام
بادي الرأي من اول النظر مما يدركه كافة الناس بسهولة
لا خطر فيه وما يفتقر الى التدقيق فليس على حد وسعه
فادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان وادلة
المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به
الاكثرون بل ادلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي
الرضيع والرجل القوي وسائر الادلة كالاطعمة التي
ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها اخرى ولا ينتفع
بها الصبيان اصلا ولهذا قلنا ادلة القرآن ايضا
ينبغي ان يصغى اليها اصغاءه الى كلام جلي ولا يماري
فيه الامراء ظاهرا ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر
وتحقيق النظر فمن الجلي ان من قدر على الابتداء
فهو على الاعادة اقدر كما قال هو الذي يبدؤ الخلق

(ثم)

ثم يعيده وهو اهون عليه وان التدبير لا ينتظم فى دار
واحدة بمدبرين فكيف ينتظم فى كل العالم وان من خلق
علم كما قال تعالى (الا يعلم من خلق) فهذه الادلة تجرى
للعوام مجرى الماء الذى جعل الله منه كل شىء حيا
وما اخذته المتكلمون وراء ذلك من تنقير وسؤال
وتوجيه اشكال ثم اشتغال بحله فهو بدعة وضرره
فى حق اكثر الخلق ظاهر فهو الذى ينبغى ان يتوقى
والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والعيان
والتجربة وما ثار من الشر منذ نبغ المتكلمون وفشا
صناعة الكلام مع سلامة العصر الاول من الصحابة
عن مثل ذلك ويدل عليه ايضا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم والصحابة باجمعهم ما سلكوا فى المحاجة
مسلك المتكلمين فى تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا لعجز منهم
عن ذلك فلو علموا ان ذلك نافع لاطنبوا فيه ولخاضوا
فى تحرير الادلة خوضا يزيد على خوضهم فى مسائل
الفرائض فان قيل انما امسكوا عنه لقلة الحاجة فان
البدع انما نبعت بعدهم فعظم حاجة المتأخرين وعلم
الكلام راجع الى علم معالجة المرضى بالبدع فلما قلت
فى زمانهم امراض البدع قلت عنايتهم بجميع طرق

المعالجة فالجواب من وجهين (احدهما) انهم
فى مسائل الفرائض ما اقتصروا على بيان حكم الوقايع
بل وضعوا المسائل وفرضوا فيها ما ينقضى الدهور
ولا يقع مثله لان ذلك مما امكن وقوعه فصنفوا عليه
ورتبوه قبل وقوعه اذ علموا انه لا ضرر فى الخوض
فيه وفى بيان حكم الواقعة قبل وقوعها والعناية
بازالة البدع ونزعها عن النفوس اهم فلم يتخذوا ذلك
صناعة لانهم عرفوا ان الاستضرار بالخوض فيه
اكثر من الانتفاع ولولا انهم كانوا قد حذروا من ذلك
وفهموا تحريم الخوض لخاضوا فيه (والجواب الثانى)
انهم كانوا محتاجين الى محاجة اليهود والنصارى
فى اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والى اثبات البعث
مع منكريه ثم ما زادوا فى هذه القواعد التى هى امهات
العقائد على ادلة القرأن فمن اقنعهم ذلك قبلوه ومن لم
يقنع قتلوه وعدلوا الى السيف والسنان بعد افشاء
ادلة القرأن وما ركبوا ظهرا للحجاج فى وضع المقاييس
العقلية وترتيب المقدمات وتحرير طريق المجادلة
وتذليل طرقها ومناهجها كل ذلك لعلمهم بان ذلك
مثار الفتن ومنبع التشويش ومن لا يقنعه ادلة القرأن

لايقمعه الاالسيف والسنان فما بعد بيان الله بيان على
انا ننصف ولانكر ان حاجة المعالجة تزيد بزيادة
المرض وان لطول الزمان و بعد العهد عن عصر
النبوة تأثيرا في اثارة الاشكالات وان للعلاج طريقين
(احدهما) الخوض في البيان والبرهان الى ان
يصلح واحد يفسد به اثنان فان صلاحه بالاضافة
الى الاكياس وفساده بالاضافة الى البله وما اقل
الاكياس وما اكثر البله والعناية بالاكثرين اولى
(والطريق الثاني) طريق السلف في الكف
والسكوت والعدول الى الدرة والسوط والسيف وذلك
مما يقنع الاكثرين وان كان لايقنع الاقلين وآية اقناعه
ان من يسترق من الكفار من العبيد والاماء تراهم
يسلمون تحت ظلال السيوف ثم يستمرون عليه حتى
يصير طوعا ما كان في البداية كرها ويصير اعتقادا
جزما ما كان في الابتداء مراء وشكا وذلك بمشاهدة
اهل الدين والمؤانسة بهم وسماع كلام الله ورؤية
الصالحين وخيرهم وقراءة من هذا الجنس تناسب
طباعهم مناسبة اشد من مناسبة الجدل والدليل
فاذا كان كل واحد من العلاجين يناسب قوما دون

93

قوم وجب ترجيح الانفع في الاكثر فالمعاصرون
للطبيب الاول المؤيد بروح القدس المكاشف
من الحضرة الالهية الموحى اليه من الخبير البصير
باسرار عباده وبواطنهم اعرف بالاصوب والاصلح
فطعاف لوك سبيلهم لامحالة اول (الوظيفة السابعة)
التسليم لاهل المعرفة وبيانه انه يجب على العامي
ان يعتقد ان ما انطوى عنه من معاني هذه الظواهر
واسرارها ليس منطويا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن الصديق وعن اكابر الصحابة وعن الاولياء
والعلماء الراسخين وانه انما انطوى عنه لعجزه وقصور
معرفته فلا ينبغي ان يقيس بنفسه غيره فلا تقاس
الملائكة بالحدادين وليس ما يخلو عنه مخادع العجائز
يلزم منه ان يخلو عنه خزائن الملوك فقد خلق الناس
اشتاتا متفاوتين كمعادن الذهب والفضة وسائر
الجواهر فانظر الى تفاوتهما وتباعد ما بينهما صورة
ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن لسائر
جواهر المعارف فبعضها معدن النبوة والولاية
والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها معدن للشهوات
البهيمية والاخلاق الشيطانية بل ترى الناس يتفاوتون

فى الحرف والصناعات فقد يقدر الواحد بخفة يده
وحذاقة صناعته على امور لايطمح الاخر فى بلوغ
اوائله فضلا عن غايته ولو اشتغل بتعلمه جميع عمره
فكذلك معرفة الله تعالى بل كما ينقسم الناس الى جبان
عاجز لا يطيق النظر الى التطام امواج البحار
وان كان على ساحله والى من يطيق ذلك ولكن
لايمكنه الخوض فى اطرافه وان كان قائما فى الماء
على رجله والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق رفع
الرجل عن الارض اعتمادا على السباحة والى
من يطيق السباحة الى حد قريب من الشط لكن
لايطيق خوض البحر الى لجته والمواضع المغرقة
المخطرة والى من يطيق ذلك لكن لايطيق الغوص
فى عمق البحر الى مستقره الذى فيه نفائسه وجواهره
فهكذا مثال بحر المعرفة وتفاوت الناس فيه مثله
حذو القذة بالقذة من غير فرق (فان قيل)
فالعارفون محيطون بكمال معرفة الله سبحانه حتى
لاتخفى عنهم شئ قلنا هيهات فقد بينا بالبرهان 95
القطعى فى كتاب المقصد الاقصى فى معانى اسماء
الله الحسنى انه لايعرف الله كنه معرفته الا الله وان

الخلايق وان اتسعت معرفتهم وخبرتهم فاذا
اضيف ذلك الى علم الله سبحانه فما اوتوا من العلم الا قليلا
لكن ينبغى ان يعلم ان الحضرة الالهية محيطة بكل
ما فى الوجود اذ ليس فى الوجود الا الله وافعاله فالكل
من الحضرة الالهية كما ان جميع ارباب الولايات
فى العسكر حتى الحراس هم من العسكر فهم من جملة
حضرة السلطانية وانت لا تفهم الحضرة الالهية
الا بالتمثيل الى الحضرة السلطانية فاعلم ان كل ما فى
الوجود داخل فى الحضرة الالهية ولكن كما ان السلطان
له فى مملكته قصر خاص وفى فناء قصره ميدان واسع
ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ولا يمكنون
من مجاوزة العتبة ولا الى طرف الميدان ثم يؤذن
لخواص المملكة فى مجاوزة العتبة ودخول الميدان
والجلوس فيه على تفاوت فى القرب والبعد بحسب
مناصبهم وربما يطرق الى القصر الخاص الا الوزير
وحده ثم ان الملك يطلع الوزير من اسرار ملكه على
ما يريد ويستأثر عنه بامور لا يطلعه عليه فكذلك
فافهم على هذا المثال تفاوت الخلق فى القرب والبعد
من الحضرة الالهية فالعتبة التى هى آخر الميدان

96 97

موقف جميع العوام ومُرَدّهم لا سبيل لهم الى مجاوزتها
فان جاوزوا حدهم استوجب الزجر والتنكيل
واما العارفون فقد جاوزوا العتبة وانسرحوا فى
الميدان ولهم فيه جولان على حدود مختلفة فى القرب
والبعد وتفاوت ما بينهم كثير وان اشتركوا فى مجاوزة
العتبة وتقدموا على العوام المقترشين واما حظيرة
القدس فى صدر الميدان فهى اعلى من ان يطاها
اقدام العارفين وارفع من ان يمتد اليها أبصار الناظرين
بل لا يلمح ذلك الجناب الرفيع صغير ولا كبير الا غض
من الدهشة واخيرة طرفه فانقلب اليه البصر خاسئا
وهو حسير فهذا ما يجب على العامى ان يؤمن به
جملة وان لم يحط به تفصيلا فهذه هى الوظايف
السبع الواجبة على عوام الخلق فى هذه الاخبار
التى سألت عنها وهى حقيقة مذهب السلف واما الآن
فنشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب
السلف (الباب الثانى فى اقامة البرهان
على ان الحق مذهب السلف) وعليه برهانان عقلى 96 96
وسمعى اما العقلى فاثنان كلى وتفصيلى اما البرهان
الكلى على ان الحق مذهب السلف فينكشف بتسليم

اربعة اصول هي مسلمة عند كل عاقل (الاول) ان اعرف الخلق بصلاح احوال العباد بالاضافة الى حسن المعاد هو النبي صلى الله عليه وسلم فان ما ينتفع به في الاخرة او يضر لا سبيل الى معرفته بالتجربة كما عرف الطبيب اذ لا مجال للعلوم التجربية الا بما يشاهد على سبيل التكرر ومن الذي رجع من ذلك العالم فادرك بالمشاهدة ما نفع وضر واخبر حقه ولا يدرك بقياس العقل فان العقول قاصرة عن ذلك والعقلاء باجمعهم معترفون بان العقل لا يهتدي الى ما بعد الموت ولا يرشد الى وجه ضرر المعاصي ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل والتحديد كما وردت به الشرايع بل اقروا بجملتهم ان ذلك لا يدرك الا بنور النبوة وهي قوة وراء قوة العقل يدرك بها من امر الغيب في الماضي والمستقبل امورا على طريق التعرف بالاسباب العقلية وهذا مما اتفق عليه الاوائل والحكماء فضلا عن الاولياء والعلماء الراسخين القاصرين نظرهم على الاقتباس من حضرة النبوة المقرين بقصور كل قوة سوى هذه القوة (الاصل الثاني) انه صلى الله عليه وسلم افاض الى الخلق ما اوحي اليه من صلاح

العباد فى معادهم ومعاشهم وانه ما كتم شيأ من الوحى
ولا اخفاه وطواه عن الخلق فانه لم يبعث الا لذلك
ولذلك كان رحمة للعالمين فلم يكن متهما فيه وعرف ذلك
علما ضروريا من قرائن احواله فى حرصه على اصلاح
الخلق وشفقته بارشادهم الى صلاح معاشهم ومعادهم
فما ترك شيأ مما يقرب الخلق الى الجنة ورضاء الخالق الا
دلهم عليه وامرهم به وحثهم عليه ولا شيأ مما يقرب بهم
الى النار والى سخط الله الا حذرهم منه ونهاهم عنه
وذلك فى العلم والعمل جميعا (الاصل الثالث)
ان اعرف الناس بمعانى كلامه واحراهم بالوقوف
على كنهه ودرك اسراره الذين شاهدوا الوحى
والتنزيل وعاصروه وصاحبوه بل لازموه آناء الليل
والنهار متشمرين لفهم معانى كلامه وتلقيه بالقبول
للعمل به اولا وللنقل الى ما بعدهم ثانيا وللتقرب
الى الله سبحانه وتعالى بسماعه وفهمه وحفظه
ونشره وهم الذين حثهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على السماع والفهم والحفظ والاداء
فقال (نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فاداها
كما سمعها) الحديث فليت شعرى أيتهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم باخفائه وكتمانه عنهم حاشا منصب النبوة
عن ذلك ! ويتهم اولئك الاكابر فى فهم كلامه
وادراك مقاصده ايتهمون فى اخفائه واسراره
بعد الفهم او يتهمون فى معاندته من حيث
العمل ومخالفته على سبيل المكابرة مع الاعتراف
بتفهيمه وتكليفه فهذه امور لا يتسع لتقديرها
عقل عاقل (الاصل الرابع) انهم فى طول عصرهم
الى آخر اعمارهم مادعوا الخلق الى البحث والتفتيش
والتفسير والتأويل والتعرض لمثل هذه الامور
بل بالغوا فى زجر من خاض فيه وسأل عنه وتكلم به
على ما تحكيه عنهم فلو كان ذلك من الدين او
كان من مدارك الاحكام وعلم الدين لاقبلوا عليه ليلا
ونهارا ودعوا اليه اولادهم واهليهم وتشمروا
عن ساق الجد فى تأسيس اصوله وشرح قواعده
تشمرا ابلغ من تشمرهم فى تمهيد قواعد الفرائض
والمواريث فعلم بالقطع من هذه الاصول ان الحق
ما قالوه والصواب ماراوه لا سيما وقد اثنى عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال خير الناس
قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (وقال

صلى الله عليه وسلم (ستفترق امتى نيفا وسبعين فرقة
الناجية منهم واحدة) فقيل من هم فقال (اهل
السنة والجماعة) فقيل وما اهل السنة والجماعة
فقال (ما انا عليه الان واصحابى) (البرهان الثانى)
وهو التفصيلى فنقول ادعينا ان الحق هو مذهب
السلف وان مذهب السلف هو توظيف الوظايف
السبع على عوام الخلق فى ظواهر الاخبار المتشابهة
وقد ذكرنا برهان كل وظيفة معها فهو برهان
كونه حقا فمن يخالف ليت شعرى ايخالف (فى قولنا
الاول) انه يجب على العامى التقديس للحق عن التشبيه
ومشابهة الاجسام (اوفى قولنا الثانى) انه يجب عليه
التصديق والايمان بما قاله الرسول عليه السلام بالمعنى
الذى اراده (اوفى قولنا الثالث) انه يجب عليه الاعتراف
بالعجز عن درك حقيقة تلك المعانى (اوفى قولنا الرابع)
انه يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما
هو وراء طاقته (اوفى قولنا الخامس) انه يجب عليه
امساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان
والجمع والتفريق (اوفى قولنا السادس) انه يجب عليه كف
القلب عن الذكر فيه والفكر مع عجزه عنه وقد قيل لهم

تفكروا فى الخلق ولاتفكروا فى الخالق اوفى قولنا
(السابع) انه يجب عليه التسليم لاهل المعرفة من الانبياء
والاولياء والعلماء الراسخين فهذه امور بيانها برهانها
ولايقدر احد على جحدها وانكارها ان كان من اهل
التميز فضلا عن العلماء والعقلاء فهذه هى البراهين
العقلية (النمط الثانى) البرهان السمعى على ذلك
وطريقه ان يقول الدليل على ان الحق مذهب السلف
ان نقيضه بدعة والبدعة مذمومة وضلالة والخوض
من جهة العوام فى التأويل والخوض فيهم فيه من
جهة العلماء بدعة مذمومة وكان نقيضه وهو الكف عن ذلك
سنة محمودة فههنا ثلثة اصول (احدها) ان البحث
والتفتيش والسؤال عن هذه الامور بدعة (والثانى)
ان كل بدعة فهى مذمومة (والثالث) ان البدعة
اذا كانت مذمومة كان نقيضها وهى السنة القديمة
محمودة ولايمكن النزاع فى شئ من هذه الاصول
فاذا سلم ذلك ينتج ان الحق مذهب السلف فان قيل
فبم تنكرون على من يمنع كون البدعة مذمومة او يمنع
كون البحث والتفتيش بدعة فينازع فى هذين وان لم ينازع
فى الثالث لظهوره فنقول الدليل على اثبات الاصل

الاول من كون البدعة مذمومة اتفاق الامة قاطبة على ذم البدعة وزجر المبتدع وتعيير من يعرف بالبدعة وهذا مفهوم على الضرورة من الشرع وذلك غير واقع فى محل الظن فذم رسول الله عليه السلام البدعة علم بالتواتر بمجموع اخبار يفيد العلم القطعى جملتها وان كان الاحتمال يتطرق الى آحادها وذلك كعلمنا بشجاعة على رضى الله عنه وسخاء وحاتم[1] وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضى الله عنها وما يجرى مجراه فانه علم قطعا باخبار آحاد بلغت فى الكثرة مبلغا لا يحتمل كذب ناقليها وان لم تكن آحاد تلك الاخبار متواترة وذلك مثل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار) وقال صلى الله عليه وسلم (اتبعوا ولا تبتدعوا فانما هلك من كان قبلكم لما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن انبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا واضلوا) وقال عليه السلام (اذا مات صاحب بدعة فقد فتح على الاسلام فتح) وقال عليه السلام (من مشى

(١) حاتم الطائى مات قبل البعثة

الى صاحب بدعة ليوقره فقد اعان على هدم الاسلام)
وقال عليه السلام (من اعرض عن صاحب بدعة
بغضا له فى الله ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اشهر
صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة ومن سلم على
صاحب بدعة اولقيه بالبشرى اواستقبله بما يسره
فقد استخف بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم)
وقال صلى الله عليه وسلم (ان الله لايقبل لصاحب
بدعة صوما ولاصلوة ولازكوة ولاحجا ولاعمرة
ولاجهادا ولاصرفا ولاعدلا ويخرج من الاسلام
كما يخرج السهم من الرمية وكما تخرج الشعرة من العجين)
فهذا وامثاله مما يجاوز حد الحصر افاد علما ضروريا
بكون البدعة مذمومة فان قيل سلمنا ان البدعة
مذمومة ولكن ما دليل الاصل الثانى وهو ان هذه
بدعة فان البدعة عبارة عن كل محدث فلم قال الشافعى
رضى الله عنه الجماعة فى التراويح بدعة وهى بدعة حسنة
وخوض الفقهاء فى تفاريع الفقه ومناظرتهم فيها
مع ما ابدعوه من نقض وكسر وفساد وضع وتركيب
ونحوه من فنون مجادلة والزام كل ذلك مبدع لم يؤثر
عن الصحابة شئ من ذلك فدل ان البدعة المذمومة

95
104

مارفعت سنة مأثورة ولانسلم ان هذا رافع لسنة
ثابتة لكنه محدث ماخاض فيه الاولون اما لاشتغالهم
بما هو اهم منه واما لسلامة القلوب فى العصر الاول
عن الشكوك والترددات فاستغنوا لذلك وخاض فيه
من بعدهم لمسيس الحاجة حيث حدثت الاهواء
والبدع الى ابطالها وافحام منتحلها (الجواب) اما
ماذكرتموه من ان البدعة المذمومة مارفعت سنة قديمة
هو الحق وهذا بدعة رفعت سنة قديمة اذ كان سنة
الصحابة المنع من الخوض فيه وزجر من سأل عنه والمبالغة
فى تأديبه ومنعه بفتح باب السؤال عن هذه المسائل
والخوض بالعوام فى غمرة هذه المشكلات على خلاف
ماتواتر عنهم وقد صح ذلك عن الصحابة بتواتر النقل
عند التابعين من نقلة الاثار وسير السلف حجة لا يتطرق
اليها ريب وشك كما تواتر خوضهم فى مسائل الفرائض
ومشاورتهم لوقايع الفقهية وحصل العلم به ايضا
باخبار آحاد لايتطرق الشك الى مجموعها كما نقل
عن عمر رضى الله عنه انه سأله سائل عن آيتين متشابهتين
فعلاه بالدرة وكما روى انه سأله سائل عن القرآن
اهو مخلوق ام لا فتعجب عمر من قوله فاخذ بيده حتى

جاءبه الى علي رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن اسمع
ما يقول هذا الرجل قال وما يقول يا امير المؤمنين
فقال الرجل سألته عن القرآن المخلوق هو ام لا فوجم
لها رضي الله عنه وطأطأ رأسه ثم رفع رأسه وقال
سيكون لكلام هذا نبأ في آخر الزمان ولو وُلِّيتُ
من امره ما وُلِّيتُ لضربت عنقه وقد روى احمد بن
حنبل هذا الحديث عن ابي هريرة فهذا قول
علي بحضور عمر وابي هريرة رضي الله عنهم ولم يقولا له
ولا احد ممن بلغه ذلك من الصحابة ولا عرف
علي رضي الله عنه في نفسه ان هذا سؤال عن مسئلة
دينية وتعرف لحكم كلام الله تعالى وطلب معرفة
لصفة القرآن الذي هو معجزة دالة على صدق
الرسول بل هو الدليل المعرف لاحكام التكليف
فلم يستوجب طالب المعرفة هذا التشديد فانظر
الى فراسة علي واشرافه على ان ذلك قرع لباب
الفتنة وان ذلك سينتشر في آخر الزمان الذي هو موسم
الفتن ومطيتها بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانظر الى تشديده وقوله ولو وليت لضربت عنقه
مثل اولئك السادة الاكابر الذين شاهدوا الوحي

والتنزيل واطلعوا على اسرار الدين وحقايقه وقد
قال صلى الله عليه وسلم فى احدهما (لو لم ابعث لبعث
عمر) وقال فى الثانى (انا مدينة العلم وعلى بابها) يزجرون
السائل عن مثل هذا السؤال ثم يزعم من بعدهم
من المشتغوفين بالكلام والمجادلة ومن لو انفق مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ان الحق
والصواب قبول هذا السؤال والخوض فى الجواب
وفتح هذا الباب ثم يعتقد فيه انه محق وفى عمر
وعلى انهما مبطلان هيهات ما ابعد عن التحصيل
وما اخلى عن الدين من قاس الملائكة بالحدادين
ويرجح المجادلين على الائمة الراشدين والسلف
فاذا قد عرف على القطع ان هذه بدعة مخالفة لسنة
السلف لا كخوض الفقهاء فى التفاريع والتفاصيل
فانه ما نقل عنهم زجر عن الخوض فيه بل اعلنهم
فى الخوض فى مسائل الفرائض عرفنا جواز
الخوض واما ما ابدع من فنون المجادلات فهى بدعة
مذمومة عند اهل التحصيل ذكرنا وجه ذمها فى كتاب
قواعد العقائد من كتب الاحياء واما مناظراتهم
ان كان القصد منه التعاون على البحث عن تأخذ

الشرع ومدارك الاحكام فهى سنة السلف ولقد
كانوا يتشاورون ويتناظرون فى مسائل الفقهية
كما نقل فى مسئلة الجد وميراث الام مع الزوج والاب
ومسائل سواها نعم ان ابدعوا الفاظا وعبارات للتنبيه
على مقاصدهم الصحيحة فلا حرج فى العبارات بل
هى مباحة لمن يستعيرها ويستعملها وان كان مقصدهم
المذموم من النظر الافحام دون الاعلام والالزام
دون الاستعلام فذلك بدعة على خلاف السنة
المأثورة

(الباب الثالث فى فصول متفرقة وابواب نافعة
فى هذا الفن) فصل ان قال قائل ما الذى دعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اطلاق هذه
الالفاظ الموهمة مع الاستغناء عنها اكان لا يدرى
انه يوهم التشبيه ويغلط الخلق ويسوقهم الى اعتقاد
الباطل فى ذات الله تعالى وصفاته وحاشا منصب
النبوة ان يخفى عليه ذلك او عرف لكن لم يبال بجهل
الجهال وضلالة الضلال وهذا البعد واشنع لانه
بعث شارحا لا معميا ملبسا ملغزا وهذا اشكال له
وقع فى القلوب حتى جر بعض الخلق الى سوء

الاعتقاد فيه فقالوا لوكان نبيا لعرف الله ولوعرفه
لما وصفه بما يستحيل عليه فى ذاته وصفاته ومالت
طائفة اخرى الى اعتقاد الظواهر وقالوا لولم يكن
حقا لما ذكره كذلك مطلقا ولعدل عنها الى غيرها
او قرنها بما يزيل الابهام عنها فاسبيل حل هذا
الاشكال العظيم (الجواب) ان هذ الاشكال منحل
عند اهل البصيرة وبيانه ان هذه الكلمات ما جمعها
رسول الله دفعة واحدة وماذكرها وانما جمعها
المشبهة وقد بينا ان لجمعها من التأثير فى الابهام والتلبيس
على الافهام مالبس لاحادها المفرقة وانما هى كلمات
لهج بها فى جميع عمره فى اوقات متباعدة واذا
اقتصر منها على ما فى القرأن والاخبار المتواترة رجعت
الى كلمات يسيرة معدودة وان اضيفت اليها الاخبار
الصحيحة فهى ايضا قليلة وانما كثرت الروايات
الشاذة الضعيفة التى لايجوز التعويل عليها
ثم ماتواتر منها ان صح نقلها عن العدول فهى
آحاد كلمات وماذكر صلى الله عليه وسلم كلمة منها الا
مع قرائن واشارات يزول معها ابهام التشبيه
وقد ادركها الحاضرون المشاهدون فاذا نقل

الالفاظ مجردة عن تلك القرائن ظهر الابهام
واعظم القرائن فى زوال الابهام المعرفة السابقة
بتقديس الله تعالى عن قبول هذه الظواهر
ومن سبقت معرفته بذلك كانت تلك المعرفة ذخيرة له
راسخة فى نفسه مقارنة لكل ما يسمع فينحق
معه الابهام انمحاقا لا يشك فيه ويعرف هذا بامثلة الاول
انه صلى الله عليه وسلم سمى الكعبة بيت الله تعالى
واطلاق هذا يوهم عند الصبيان وعند من تقرب
درجتهم منهم ان الكعبة وطنه ومثواه لكن العوام
الذين اعتقدوا انه فى السماء وان استقراره على العرش
ينحق فى حقهم هذا الابهام على وجه لا يشكون
فيه فلو قيل لهم ما الذى دعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى اطلاق هذا اللفظ الموهم المخيل
الى السامع ان الكعبة مسكنه لبادروا باجمعهم
وقالوا هذا انما يوهم فى حق الصبيان والحمق
اما من تكرر على سمعه ان الله مستقر على عرشه
فلا يشك عند سماع هذا اللفظ انه ليس المراد به
ان البيت مسكنه ومأواه بل يعلم على البديهة ان المراد
بهذه الاضافة تشريف البيت او معنى سواه غير ما وضع

له لفظ البيت المضاف الى ربه وساكنه اليس كان
اعتقاده انه على العرش قرينة افادبه علما قطعيا بانه
ما اريد بكون الكعبة بيتا له مأواه وان هذا انما يوهم
فى حق من لم يسبق الى هذه العقيدة فكذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب بهذه الالفاظ
جماعة سبقوا الى علم التقديس ونفى التشبيه وانه منزه
عن الجسمية وعوارضها وكان ذلك قرينة قطعية
مزيلة للابهام لا يبقى معه شك وان جاز ان يبقى
لبعضهم تردد فى تأويله وتعيين المراد به من جملة
ما يحتمله اللفظ ويليق بجلال الله تعالى (مثال الثانى)
اذا جرى لفقيه فى كلامه لفظ الصورة بين يدى الصبى
او العامى فقال صورة هذه المسئلة كذا وصورة
الواقعة كذا ولقد صورت للمسئلة صورة فى غاية
الحسن ربما توهم الصبى او العامى الذى لا يفهم
معنى المسئلة ان المسئلة شئ له صورة وفى تلك الصورة
انف وفم وعين على ما عرفه واشتهر عنده اما من عرف
حقيقة المسئلة وانها عبارة عن علوم مرتبة ترتيبا
مخصوصا فهل يتصور ان يفهم عينا وانفا وفما كصورة
الاجسام هيهات بل يكفيه معرفته بان المسئلة منزهة

عن الجسمية وعوارضها فكذلك معرفة نفي الجسمية
عن الاله وتقدسه عنها تكون قرينة في قلب كل
مستمع مفهمة لمعنى الصورة في قوله خلق آدم على صورته
ويتعجب العارف بتقديسه عن الجسمية ممن يتوهم
لله تعالى الصورة الجسمية كما يتعجب ممن يتوهم للمسئلة
صورة جسمانية (مثال الثالث) اذا قال القائل بين
يدي الصبي بغداد في يد الخليفة ربما يتوهم ان بغداد
بين اصابعه وانه قد احتوى عليها براحته كما يحتوى
على حجره ومدره وكذلك كل عامي لم يفهم المراد
بلفظ بغداد اما من علم ان بغداد عبارة عن بلدة
كبيرة هل يتصور ان يخطر له ذلك او يتوهم وهل
يتصور ان يعترض على قائله ويقول له لماذا قلت
بغداد في يدى الخليفة وهذا يوهم خلاف الحق
ويفضي الى الجهل حتى يعتقد ان بغداد بين اصابعه
بل يقال له ياسليم القلب هذا انما يوهم الجهل عند
من لا يعرف حقيقة بغداد فاما من علمه فبالضرورة
يعلم انه ما اريد بهذه اليد العضو المشتمل على الكف
والاصابع بل معنى آخر ولا يحتاج في فهمه الى قرينة
سوى هذه المعرفة فكذلك جميع الالفاظ الموهمة

فى الاخبار يكفى فى دفع ايهامها قرينة واحدة وهى
معرفة الله وانه ليس بجسم وليس من جنس الاجسام
وهذا مما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانه
فى اول بعثته قبل النطق بهذه الالفاظ (مثال الرابع)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسائه (اطولكن
يدا اسرعكن لحاقا بى) فكان بعض نسوته
تعرف الطول بالمساحة ووضع اليد على اليد حتى
ذكر لهن انه اراد بذلك السماحة فى الجود دون الطول
للعضو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذه
اللفظة مع قرينة افهم بها ارادة الجود بالتعبير بطول اليد
عنه فلما نقل اللفظ مجردا عن قرينته حصل الايهام
فهل كان لاحد ان يعترض على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى اطلاقه لفظا جهل
بعضهم معناه انما ذلك لانه اطلق اطلاقا فهمها
فى حق الحاضرين مقرونا مثلا بذكر السخاوة
والناقل قد ينقل اللفظ كما سمعه ولا ينقل القرينة
او كان بحيث لا يمكن نقلها او ظن انه لا حاجة
الى نقلها وان من يسمع يفهمه كما فهمه هو لما سمعه
فربما لا يشعر ان فهمه انما كان بسبب القرينة

فلذلك يقتصر على نقل اللفظ فمثل هذه الاسباب
بقيت الالفاظ مجردة عن قرائنها فقصرت عن التفهيم
مع ان قرينة معرفة التقديس بمجردها كافية في نفي
الابهام وان كانت ربما لا يكفي في تعيين المراد به فهذه
الدقايق لابد من التنبه لها (مثال الخامس) اذا قال
القائل بين يدي الصبي ومن يقرب منه درجته ممن
لم يمارس الاحوال ولا عرف العادات في المجالسات
فلان دخل مجمعا وجلس فوق فلان ربما يتوهم السامع
الجاهل الغبي انه جلس على رأسه او على مكان فوق رأسه
ومن عرف العادات وعلم ان ما هو اقرب الى الصدر
اعلى في الرتبة وان الفوق عبارة عن العلو يفهم منه
انه جلس بجنبه لا فوق رأسه لكن جلس اقرب
الى الصدر فالاعتراض على من خاطب بهذا الكلام
اهل المعرفة بالعادات من حيث انه يجهل الصبيان
والاغبياء اعتراض باطل لا اصل له وامثلة ذلك
كثيرة فقد فهمت على القطع بهذه الامثلة ان هذه
الالفاظ الصريحة انقلبت مفهوماتها عن اوضاعها
الصريحة بمجرد قرينة ورجعت تلك القرائن
الى معارف سابقة ومقترنة فكذلك هذه الظواهر

15

114

الموهمة انقلبت عن الابهام بسبب تلك القرائن
الكثيرة التي بعضها هي المعارف والواحدة منها
معرفتهم انهم لم يؤمروا بعبادة الاصنام وان
من عبد جسما فقد عبد صنما كان الجسم صغيرا او كبيرا
قبيحا او جميلا سافلا او عاليا على الارض او على
العرش وكان نفي الجسمية ونفي لوازمها معلوما
لكافتهم على القطع باعلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم المبالغة في التنزيه بقوله ليس كمثله شئ
وسورة الاخلاص وقوله (ولا تجعلوا لله اندادا)
وبالفاظ كثيرة لا حصر لها مع قرائن قاطعة
لا يمكن حكايتها وعلم ذلك علما لا ريب فيه وكان ذلك
كافيا في تعريفهم استحالة يد هي عضو مركب
من لحم وعظم وكذا في سائر الظواهر لانها لا يدل
الا على الجسمية وعوارضها لو اطلق على جسم
واذا اطلق على غير الجسم علم ضرورة انه ما اريد به
ظاهره بل معنى آخر مما يجوز على الله تعالى ربما
يتعين ذلك المعنى وربما لا يتعين فهذا مما يزيل
الاشكال فان قيل فلم لم يذكرها بالفاظ ناصة
عليها بحيث لا يوهم ظاهرها جهلا ولا في حق

العامى والصبى قلنا لانه انما كلم الناس بلغة العرب
وليس فى لغة العرب الفاظ ناصة على تلك المعانى
فكيف يكون فى اللغة لها نصوص وواضع اللغة
لم يفهم تلك المعانى فكيف وضع لها النصوص
بل هى معانى ادركت بنور النبوة خاصة او بنور
العقل بعد طول البحث وذلك ايضا فى بعض تلك
الامور لا فى كلها فلما لم يكن لها عبارات موضوعة
كان استعارة الالفاظ من موضوعات اللغة ضرورة
كل ناطق بتلك اللغة كما انا لا نستغنى عن ان نقول
صورة هذه المسئلة كذا وهى تخالف صورة المسئلة
الاخرى وهى مستعارة من الصورة الجسمانية
لكن واضع اللغة لما لم يضع لهيئة المسئلة وخصوص
ترتيبها اسما نصا اما لانه لم يفهم المسئلة اوفهم
لكن لم تحضره اوحضرته لكن لم يضع لها نصا
خاصا اعتمادا على امكان الاستعارة اولانه علم انه
عاجز عن ان يضع لكل معنى لفظا خاصا ناصا لان
المعانى غير متناهية العدد والموضوعات بالتقطع يجب
ان تتناهى فتبقى معانى لانهاية لها يجب ان يستعار
اسمها من الموضع فاكتفى بوضع البعض وسائر اللغات

اشد قصورا من لغة العرب فهذا واما له من الضرورة
يدعو الى الاستعارة لمن يتكلم بلغة قوم اذ لا يمكنه
ان يخرج عن لغتهم كيف ونحن نجوز الاستعارة
حيث لا ضرورة اعتمادا على القرائن فانا لا نفرق
بين ان يقول القائل جلس زيد فوق عمرو وبين
ان يقول جلس اقرب منه الى الصدر وان بغداد
في ولاية الخليفة او في يده اذا كان الكلام مع العقلاء
وليس في الامكان حفظ الالفاظ عن افهام الصبيان
والجهال فالاشتغال بالاحتراز عن ذلك ركاكة في الكلام
وسخافة في العقل وثقل في اللفظ فان قيل فلم يكشف
الغطاء عن المراد باطلاق لفظ الاله ولم يقل انه موجود
ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو داخل
العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا هو
في مكان ولا هو في جهة بل الجهات كلها خالية عنه
فهذا هو الحق عند قوم والافصاح عنه كذلك كما
افصح عنه المتكلمون ممكن ولم يكن في عبارته صلى الله
عليه وسلم قصور ولا في رغبته في كشفه الحق فتور
ولا في معرفته نقصان قلنا من راى هذا حقيقة الحق
اعتذر بان هذا لو ذكره لنفر الناس عن قبوله ولبادروا
بالانكار وقالوا هذا عين المحال ووقعوا في التعطيل

ولا خير فى المبالغة فى تنزيه انتجت التعطيل فى حق
الكافة الا الاقلين وقد بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم داعيا الخلق الى سعادة الاخرة رحمة للعالمين كيف
ينطق بما فيه هلاك الاكثرين بل امر ان لا يكلم
الناس الا على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم
(من حدث الناس بحديث لا يفهمونه كان فتنة على
بعضهم) اولفظ هذا معناه فان قيل ان كان فى المبالغة
فى التنزيه خوف التعطيل بالاضافة الى البعض ففى
استعماله الالفاظ الموهمة خوف التشبيه بالاضافة
الى البعض قلنا بينهما فرق من وجهين احدهما
ان ذلك يدعو الى التعطيل فى حق الاكثرين وهذا يعود
الى التشبيه فى حق الاقلين واهون الضررين اولى
بالاحتمال واعم الضررين اولى بالاجتناب والثانى
ان علاج وهم التشبيه اسهل من علاج التعطيل
اذ يكفى ان يقال مع هذه الظواهر (ليس كمثله شئ)
وانه ليس بجسم ولا هو مثل الاجسام واما اثبات
موجود فى الاعتقاد على ما ذكرناه من المبالغة فى التنزيه
شديد جدا بل لا يقبله واحد من الالف لاسيما الامة
الامية العربية فان قيل فعجز الناس عن الفهم

118 119

هل يمهد عذرا الانبياء فى ان يثبتوا فى عقائدهم امورا على
خلاف ما هى عليها ليثبت فى اعتقادهم اصل الالهية
حتى توهموا عندهم مثلا ان الله مستقر على العرش
وانه فى السماء وانه فوقهم فوقية المكان قلنا معاذ الله
ان نظن ذلك او يتوهم نبى صادق ان يصف الله
بغير ما هو متصف به وان يلقى ذلك فى اعتقاد الخلق
فانما تاثير قصور الخلق فى ان يذكر لهم ما يطيقون فهمه
وما لا يفهمونه فيكف عنه فلا يعرفهم بل يمسك
عنهم وانما ينطق به مع من يطيقه ويفهمه ويحسن
فى ذلك علاج عجز الخلق وقصورهم ولا ضرورة
فى تفهيمهم خلاف الحق قصدا لا سيما فى صفات الله
نعم به ضرورة فى استعمال الالفاظ مستعارة رجاء بغلط
الاغبياء فى فهمها وذلك لقصور اللغات وضرورة
المحاورات فاما تفهيمهم خلاف الحق قصدا الى
التجهيل فمحال سواء فرض فيه مصلحة او لم تفرض
فان قيل اهل التشبيه قد جهل جهلا يستند الى الفاظه
وعلم ان الفاظه فى الظواهر يفضى الى جهلهم فهما
جاء بلفظ مجمل ملبس فرضى به لم يفترق الحال بين
ان يكون مجردا قصده الى التجهيل وبين ان لا يقصد

118
119

التجهيل مهما حصل التجهيل وهو عالم به وراض
قلنا لانسلم ان جهل اهل التشبيه حصل بالفاظه بل
بتقصيرهم فى كسب معرفة التقديس وتقديمه على
النظر فى الالفاظ ولو حصلوا تلك المعرفة اولا
وقدموها لما جهلوها كما ان من حصل علم التقديس
لم يجهل عند سماعه صورة المسئلة وانما الواجب
عليهم تحصيل هذا العلم ثم مراجعة العلماء اذا شكوا
فى ذلك ثم كف النفس عن التأويل والزامها التقديس
اذا رسم لهم العلماء فاذا لم يفعلوا جهلوا وعلم الشارع
بان الناس فى طباعهم الكسل والتقصير والفضول
بالخوض فيما ليس من شانهم ليس رضا بذلك ولا سعيا
فى تحصيل الجهل لكنه رضاء بقضاء الله وقدره
فى قسمته حيث قال (وتمت كلمة ربك لأملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين) وقال (ولو شاء ربك لجعل
الناس امة واحدة * ولو شاء ربك لآمن من فى الارض
كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين *
وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فهذا هو القهر
الالهى فى فطرة الخلق ولا قدرة للانبياء فى تغيير

سنته التى لا تبديل لها (فصل) لعلك تقول الكف
عن السؤال والامساك من الجواب من اين يغنى
وقد شاع فى البلاد هذه الاختلافات وظهرت
التعصبات فكيف سبيل الجواب اذا سئل عن هذه
المسائل (قلنا) الجواب ما قاله مالك[1] رضى الله عنه
فى الاستواء اذ قال الاستواء معلوم والحديث فيذكر هذا
الجواب فى كل مسئلة سئل عنها العوام ليحسم سبيل
الفتنة فان قيل فاذا سئل عن الفوق واليد والاصبع
فبم نجيب (قلنا) الجواب ان يقال الحق فيه ما قاله
الرسول صلى الله عليه وسلم وقاله الله تعالى وقد صدق
حيث قال (الرحمن على العرش استوى) فيعلم قطعا
انه ما اراد الجلوس واستقرار الذى هو صفة الاجسام
ولا ندرى ما الذى اراده ولم نكلف معرفته وصدق
حيث قال (وهو القاهر فوق عباده) وفوقية المكان
محال فانه كان قبل المكان فهو الان كما كان وما اراده
فلسنا نعرفه وليس علينا وعليك ايها السائل معرفته
فكذلك نقول لا يجوز اثبات اليد والاصبع مطلقا
بل يجوز النطق بما نطق به رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الوجه الذى نطق به من غير زيادة ونقصان

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر توفى سنة ١٧٩ هـ.

[٧٩٥ م.] فى المدينة المنورة

وجمع وتفريق وتأويل وتفصيل كما سبق فنقول صدق حيث قال (خمر طينة آدم بيده) و حيث قال (قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن) فنؤمن بذلك ولا نزيد ولا ننقص وننقل كما روى ونقطع بنفي العضو المركب من اللحم والعصب واذا قيل القرآن قديم او مخلوق قلنا هو غير مخلوق لقوله صلى الله عليه وسلم (القرآن كلام الله غير مخلوق) فان قال الحروف قديمة ام لا قلنا الجواب في هذه المسئلة لم يذكرها الصحابة فالخوض فيها بدعة فلا تسألوا عنها فان ابتلى الانسان بهم في بلدة غلبت الحشوية وكفروا من لا يقول بقدم الحروف فيقول المضطر الى الجواب ان عنيت بالحروف نفس القرآن فالقرآن قديم وان اردت به غير القرآن وصفات الله تعالى فما سوى الله وصفاته محدث ولا يزيد عليه لان تفهيم العوام حقيقة هذه المسئلة عسر جدا فان قالوا قد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفا من القرآن فله كذا) فاثبت الحروف للقرآن ووصف القرآن بانه غير مخلوق فلزم منه ان الحروف قديمة قلنا لا نزيد على ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ان القرآن غير مخلوق وهذه

12 / 22

مسئلة وان كان فى القرأن حروفا هى مسئلة اخرى
واما ان الحروف قديمة فهى مسئلة ثالثة ولم نزد عليه
فلا نقول به ولا نزيد على ما قاله الرسول صلى
الله عليه وسلم فان زعموا انه يلزم من المسئلتين
السابقتين هذه المسئلة الثالثة قلنا هذا قياس
وتفريع وقد بينا ان لاسبيل الى القياس والتفريع بل
يجب الاقتصار على ما ورد من غير تفريق وكذلك
اذا قالوا عربية القران قديمة لانه قال القرأن قديم
وقال (انزلناه قرأنا عربيا) فالعربى قديم فنقول
اما ان القران عربى فحق اذ نطق به القران واما
ان القران قديم فحق اذ نطق به الرسول صلى الله
عليه وسلم واما ان عربية القران قديمة فهى مسئلة
ثالثة لم يرد فيها انها قديمة فلا يلزم القول بها فعلى
هذا الوجه يلجم العوام والحشوية عن التصرف فيه
ونزمهم عن القياس والقول بالا وازم بل نزيد فى التضييق
على هذا ونقول اذا قال القران كلام الله غير مخلوق
فهذا لا يرخص فى ان يقول القران قديم ما لم يرد لفظ
القديم اذ فرق بين غير المخلوق والقديم اذ يقال كلام
فلان غير مخلوق اى غير موضوع وقد يقال المخلوق

بمعنى المخلق فلفظ غير مخلوق يتطرق اليه هذا ولا
يتطرق الى لفظ القديم فبينهما فرق ونحن نعتقد
قدم القرآن لا بمجرد هذا اللفظ فان هذا اللفظ لا ينبغي
ان يحرف و يبدل و يغير و يصرف بل يلزم ان يعتقد انه
حق بالمعنى الذى اراده وكل من وصف القران بانه
مخلوق من غير نقل نص فيه مقصودا فقد ابدع
وزاد ومال عن مذهب السلف وحاد (فصل) فان
قيل من المسائل المعروفة قولهم ان الايمان قديم فاذا
سئلنا عنه فبم نجيب قلنا ان ملكنا زمام الامر
واستولينا على السائل منعناه عن هذا الكلام السخيف
الذى لا جدوى له وقلنا ان هذا بدعة وان كنا مغلوبين
فى بلادهم فنجيب ونقول ما الذى اردت بالايمان
ان اردت شيئا من معارف الخلق وصفاته فجميع صفات
الخلق مخلوقة وان اردت به شيئا من القران اومن
صفات الله تعالى فجميع صفات الله تعالى قديمة وان
اردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة الخالق فهو غير
مفهوم ولا متصور وما لا يفهم ولا يتصور ذاته كيف
يفهم حكمه فى القدم والحدوث والاصل زجر السائل
والسكوت عن الجواب هذا صفو مقصود مذهب

(السلف)

السلف ولاعدول عنه الابضرورة وسبيل المضطر
ماذكرنا فان وجدنا ذكيا مستفهما لفهم الحقايق كشفنا
الغطاء عن المسئلة وخلصناه عن الاشكال فى القران وقلنا
اعلم ان كل شئ فله فى الوجود اربع مراتب وجود فى
الاعيان ووجود فى الاذهان ووجود فى اللسان ووجود
فى البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فان لها وجودا
فى التنور ووجودا فى الخيال والذهن واعنى بهذا
الوجود العلم بنفس النار وحقيقتها ولها وجود فى اللسان
وهى الكلمة الدالة عليه اعنى لفظ النار ولها وجود
فى البياض المكتوب عليه بالرقوم والاحراف صفة
خاصة للنار كالقدم للقران ولكلام الله تعالى والمحرق
من هذه الجملة الذى فى التنور دون الذى فى الاذهان
وفى اللسان وعلى البياض اذلو كان المحرق فى البياض
او اللسان لاحترق ولكن لو قيل لنا النار محرقة قلنا
نعم فان قيل لنا كلمة النار محرقة قلنا لا فان قيل حروف
النار محرقة قلنا لا فان قيل مرقوم هذه الحروف على
البياض محرقة قلنا لا فان قيل المذكور بكلمة النار
والمكتوب بكلمة النار محرق قلنا نعم لان المذكور
والمكتوب بهذه الكلمة ما فى التنور وما فى التنور محرق

فكذلك القدم وصف كلام الله تعالى كالاحراق
وصف النار وما يطلق عليه اسم القران وجود على
اربع مراتب اولها وهى الاصل وجود قائما بذات الله
تعالى بضاهى وجود النار فى المنور (ولله المثل
الاعلى) ولكن لابد من هذه الامثلة فى تفهيم العجزة
والقدم وصف خاص لهذه الوجود والثانية وجود
العلمى فى اذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق بلساننا ثم
وجود فى لساننا بتقطيع اصواتنا ثم وجود فى الاوراق
بالكتابة واذا سئلنا عما فى اذهاننا من علم القران قبل
النطق به قلنا علمنا صفتنا وهى مخلوقة لكن المعلوم
به قديم كما ان علمنا بالنار وثبوت صورتها فى خيالنا
غير محرق لكن المعلوم به محرق، وان سئلنا عن صوتنا
وحركة لساننا ونطقنا قلنا ذلك صفة لساننا فلساننا
حادث وصفته توجد بعده وما هو بعد الحادث حادث
بالقطع لكن منطوقنا ومذكورنا ومقروئنا وملفوظنا بهذه
الاصوات الحادثة قديم كما ان ذكرنا حروف النار
بلساننا كان المذكور بهذه الحروف محرقا واصواتنا
وتقطيع اصواتنا غير محرق الا ان يقول قائل
حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا ان كان كذلك

(فحروف)

فحروف النار محرقة وحروف القران ان كان عبارة
عن نفس المقروء فهي قديمة وكذلك المخطوط بر قوم
النار والمكتوب به محرق لان المكتوب هو نفس النار
اما الرقم الذي هو صورة النار غير محرق فانه في الاوراق
من غير احراق واحتراق فهذه اربع درجات
في الوجود تشتبه على العوام ولا يمكنهم ادراك
تفاصيلها وخاصة كل واحدة منهن فلذلك لا نخوض
بهم فيها لاجلنا بحقيقة هذه الامور وكنه تفاصيلها
ان النار من حيث انها في التنور توصف بانها محرقة
وخامدة ومشتعلة ومن حيث انها في اللسان يوصف
بانه عجمي وتركي وعربي وكثير الحروف وقليله
وما في التنور لا ينقسم الى العجمي والتركي والعربي
وما في اللسان لا يوصف بالخمود والاشتعال واذا كان
مكتوبا على البياض يوصف بانه احمر واخضر واسود
وانه بقلم المحقق او الثلث والرقاع او قلم النسخ وهو
في اللسان لا يمكن ان يوصف بذلك واسم النار
يطلق على ما في التنور وما في القلب وما في اللسان
وما على القرطاس لكن باشتراك الاسم فاطلق
على ما في التنور حقيقة وعلى ما في الذهن من العلم

لا بالحقيقة لكن بمعنى انه صورة محاكية للنار الحقيق
كما ان ما يرى فى المرأت يسمى انسانا ونارا لا بالحقيقة
ولكن بمعنى انها صورة محاكية للنار الحقيق
والانسان وما فى اللسان من الكلمة يسمى باسمه
بمعنى ثالث وهو انه دلالة دالة على ما فى الذهن
وهذا يختلف بالاصطلاحات والاول والثانى
لا اختلاف فيهما وما فى القرطاس يسمى نارا بمعنى رابع
وهو انها رقوم تدل بالاصطلاح على ما فى اللسان
ومهما فهم اشتراك الاسم القرآن والنار وكل شئ من هذه
الامور الاربعة فاذا ورد فى الخبر ان القرآن فى قلب
العبد وانه فى المصحف وانه فى لسان القارى وانه صفة
ذات الله صدق بالجمع وفهم معنى الجمع ولم يتناقض
عند الاذكياء وصدق بالجمع مع الاحاطة بحقيقة المراد
وهذه امور جلية دقيقة لا اجلى منها عند الفطن
الذكى ولا ادق واغمض منها عند البليد الغبى فحق
البليد ان يمنع من الخوض فيها ويقال له قل القرآن غير
مخلوق واسكت ولا ترد عليه ولا تنقص ولا تفتش
عنه ولا تبحث واما الذكى فيروح عن غمة هذا
الاشكال فى لحظة ويوصى بان لا يحدث العامى به

29 | 28

حتى لايكلفه مالیس فی طاقته وهکذا جمیع موضع
الاشکالات فی الظواهر فبها حقایق جلیة لارباب
البصائر ملتبسة علی العمیان من العوام فلا ینبغی ان یظن
باکابر السلف عجزهم عن معرفة هذه الحقیقة وان
لم یحرروا الفاظها تحریر صنعة ولکنهم عرفوه وعرفوا
عجز العوام فسکتوا عنهم واسکتوهم وذلك عین
الحق والصواب ولا اعنی باکابر السلف الاکابر من حیث
الجاه والاشتهار ولکن من حیث الغوص علی المعانی
والاطلاع علی الاسرار وعند هذا ربما انقلب الامر
فی حق العوام واعتقدوا فی الاشهر انه الاکبر وذلك
سبب آخر من اسباب الضلال (فصل) فان قال
قائل العامی اذا منع من البحث والنظر لم یعرف الدلیل
ومن لم یعرف الدلیل کان جاهلا بالمدلول وقد امر الله
تعالی کافة عباده بمعرفته ای بالایمان به والتصدیق
بوجوده اولا وبتقدیسه عن سمات الحوادث ومشابهته
غیره ثانیا وبوحدانیته ثالثا وبصفاته من العلم والقدرة
ونفوذ المشیة وغیرها رابعا وهذه الامور لیست
ضروریة فهی اذا مطلوبة وکل علم مطلوب فلا سبیل
الی اقتناصه وتحصیله الا بشبکة الادلة والنظر

/29

فى الادلة والتفطن لوجه دلالتها على المطلوب
وكيفية انتاجها وذلك لا يتم الا بمعرفة شروط
البراهين وكيفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتايج
وينجر ذلك شيأ فشيأ الى تمام البحث واستيفاء علم
الكلام الى آخر النظر فى المعقولات وكذلك يجب
على العامى ان يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم
فى كل ماجاء به وصدقه ليس بضرورى بل هو بشر
كسائر الخلق فلا بد من دليل يميزه عن غيره ممن تحدى
بالنبوة كاذبا ولا يمكن ذلك الا بالنظر فى المعجزة ومعرفة
حقيقة المعجز وشروطها الى آخر النظر فى النبوات
وهو لب علم الكلام (قلنا) الواجب على الخلق الايمان
بهذه الامور والايمان عبارة عن تصديق جازم
لاتردد فيه ولا يشعر صاحبه بامكان وقوع الخطا فيه
وهذا التصديق الجازم يحصل على ست مراتب
الاولى وهى اقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصى
المستوفى شروطه المحرر اصوله ومقدماته درجة درجة
وكلمة كلمة حتى لا يبقى مجال احتمال وتمكن التباس
وذلك هو الغاية القصوى وربما يتفق ذلك فى كل
عصر لواحد واثنين ممن ينتهى الى تلك الرتبة وقد

131
130

يخلوا العصر عنه ولو كانت النجاة مقصورة على مثل
تلك المعرفة لقلت النجاة وقل الناجون (الثانية)
ان يحصل بالادلة الوهمية الكلامية المبنية
على امور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين
اكابر العلماء وشاعة انكارها ونفرة النفوس
عن ابداء المراء فيها وهذا الجنس ايضا يفيد في بعض
الامور وفي حق بعض الناس تصديقا جازما بحيث
لايشعر صاحبه بامكان خلافه اصلا (الثالثة) ان يحصل
التصديق بالادلة الخطابية اعني القدرة التي جرت العادة
باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات
وذلك يفيد في حق الاكثرين تصديقا بادي الرأي
وسابق الفهم ان لم يكن الباطن مشحونا بالتعصب
وبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل ولم يكن
المستمع مشغوفا بتكلف المماراة والتشكك ومنحما
بتحديق المجادلين في العقائد واكثر ادلة القرآن من هذا
الجنس من الدليل الظاهر المفيد للتصديق قولهم
لاينتظم تدبير المنزل بمدبرين فلو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا فكل قلب باق على الفطرة غير مشوش بمماراة
المجادلين يسبق من هذا الدليل الى فهمه تصديق

جازم بوحدانية الخالق لكن لوشوشه مجادل وقال
لم يجز ان يكون العالم بين الهين يتوافقان على التدبير
ولا يختلفان فاسماعه هذا القدر يشوش عليه تصديقه
ثم ربما يسر حل هذا السؤال ودفعه في حق بعض
الافهام القاصرة فيستول الشك ويتعذر الرفع
وكذلك من الجلي ان من قدر على الخلق فهو
على الاعادة اقدر كما قال (قل يحييها الذي انشأها اول
مرة) فهذا لا يسمعه احد من العوام ذكي او غبي
الا ويبادر الى التصديق ويقول نعم ليست الاعادة
باعسر من الابتداء بل هي اهون ويمكن ان يشوش
عليه بسؤال ربما يعسر عليه فهم جوابه والدليل
المشوفي هو الذي يفيد التصديق بعد تمام الاسئلة
وجوابها بحيث لا يبقى للسؤال مجال والتصديق
يحصل قبل ذلك (الرابعة) التصديق لمجرد السماع ممن
حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق عليه فان
من احسن اعتقاده في ابيه واستاذه او في رجل 132/1
من الافاضل المشهورين قد يخبره عن شيء كموت
شخص او قدوم غائب او غيره فيسبق اليه اعتقاد جازم 132/2
وتصديق بما اخبر عنه بحيث لا يبقى لغيره مجال في قلبه

ومستنده حسن اعتقاده فيه فالمجرب بالصدق والورع
والتقوى مثل الصديق رضى الله عنه اذا قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فكم من مصدق به
جزما وقابل به قبولا مطلقا لامستند لقوله الاحسن
اعتقاده فيه فمثله اذا لقن العامى اعتقادا وقال له اعلم ان
خالق العالم واحد وانه عالم قادر وانه بعث محمدا صلى الله
عليه وسلم رسولا بادر الى التصديق ولم يمازجه ريب
ولا شك فى قوله وكذلك اعتقاد الصبيان فى آبائهم
ومعلميهم فلاجرم يسمعون الاعتقادات ويصدقون به
ويستمرون عليها من غير حاجة الى دليل وحجة (الرتبة
الخامسة) التصديق به الذى يسبق اليه القلب عند
سماع الشئ مع قرائن احوال لاتفيد القطع عند المحقق
ولكن يلقى فى قلب العوام اعتقادا جازما كما اذا سمع
بالتواتر مرض رئيس البلد ثم ارتفع صراخ وعويل
من داره ثم يسمع من احد غلمانه انه قد مات اعتقد العامى
جزما انه مات وبنى عليه تدبيره ولا يخطر بباله ان الغلام
ربما قال ذلك عن ارجاف سمعه وان الصراخ والعويل
لعله عن غشية او شدة مرض او سبب آخر لكن هذه
خواطر بعيدة لاتخطر للعوام فتنطبع فى قلوبهم

الاعتقادات الجازمة وكم من اعرابي نظر الى اسارير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى حسن كلامه
ولطف شمائله واخلاقه فامن به وصدقه جزما
لم يخالجه ريب من غير ان يطالبه بمعجزة يقيمها ويذكر
وجه دلالتها (الرتبة السادسة) ان يسمع القول
فناسب طبعه واخلاقه فبادر الى التصديق لمجرد
موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاد في قائله ولا من قرينة
تشهد له لكن لمناسبة ما في طباعه فالحريص على موت
عدوه وقتله وعزله يصدق جميع ذلك بادنى ارجاف
ويستمر على اعتقاده جازما ولو اخبر بذلك في حق
صديقه او بشيء يخالف شهوته وهواه توقف فيه
او اباه كل الاباء وهذه اضعف التصديقات وادنى
الدرجات لان ما قبله استند الى دليل ما وان كان
ضعيفا من قرينة او حسن اعتقاد في المخبر او نوع
من ذلك وهي امارات يظنها العامي ادلة فتعمل في حقه
عمل الادلة فاذا عرفت مراتب التصديق فاعلم ان
مستند ايمان العوام هذه الاسباب واعلى الدرجات
في حقه ادلة القران وما يجري مجراه مما يحرك القلب
الى التصديق ولا ينبغي ان يجاوز بالعامي الى ماوراء

135

ادلة القرأن وما فى معناه من الجليات المسكنة للقلوب
المستجرة لها الى الطمانينة والتصديق فما وراء ذلك
ليس على قدر طاقته واكثر الناس آمنوا فى الصبا وكان
سبب تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلمين لحسن
ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على انفسهم وثناء غيرهم
عليهم وتشديدهم النكير بين ايديهم على مخالفيهم
وحكايات انواع النكال النازل بمن لايعتقد اعتقادهم
وقولهم ان فلان اليهودى فى قبره مسخ كلبا
وفلان الرافضى انقلب خنزيرا وحكايات منامات
واحوال من هذا الجنس تغرس فى نفوس الصبيان
النفرة عنه والميل الى ضده حتى ينزع الشك بالكلية
عن قلبه فالتعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر
ثم يقع نشؤه عليه ولا يزال يؤكد ذلك فى نفسه فاذا بلغ
استمر على اعتقاد الجازم وتصديقه المحكم الذى
لا يخالجه فيه ريب ولذلك ترى اولادا لنصارى
والروافض والمجوس والمسلمين كلهم لا يبلغون
الا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم فى الباطل
والحق جازمة لو قطعوا ارباربا لما رجعوا عنها
قط ولم يسمعوا عليه دليلا لاحقيقيا ولا رسميا وكذا

175

ترى العبيد والاماء يسبون من المشرك ولا يعرفون
الاسلام فاذا وقعوا فى اسر المسلمين وصحبوهم مدة
ورأوا ميلهم الى الاسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم
وتخلقوا باخلاقهم كل ذلك لمجرد التقليد والتشبيه
بالتابعين والطباع مجبولة على التشبيه لاسيما طباع
الصبيان واهل الشباب فبهذا يعرف ان التصديق
الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الادلة
(فصل) لعلك تقول لا انكر حصول التصديق
الجازم فى قلوب العوام بهذه الاسباب ولكن
ليس ذلك من المعرفة فى شئ وقد كلف الناس
المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل
الذى لا يتميز فيه الباطل عن الحق فالجواب ان هذا غلط
ممن ذهب اليه بل سعادة الخلق فى ان يعتقدوا الشئ
على ما هو عليه اعتقادا جازما لتنقش قلوبهم بالصورة
الموافقة لحقيقة الحق حتى اذا ماتوا وانكشف لهم الغطاء
فشاهدوا الامور على ما اعتقدوه لم يفتضحوا ولم يحترقوا
بنار الخزى والخجلة ولا بنار جهنم ثانيا وصورة
الحق اذا انتقش بها قلبه فلا نظر الى السبب المفيد له

اهو دليل حقيق اورسمى اواقناعى اوقبول بحسن
الاعتقاد فى قائله اوقبول لمجرد التقليد من غير
سبب فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة
وهى حقيقة الحق على ماهى عليه فمن اعتقد
حقيقة الحق فى الله وفى صفاته وكتبه ورسله
واليوم الاخر على ماهوعليه فهو سعيد وان لم يكن
ذلك بدليل محرر كلامى ولم يكلف الله عباده الاذلك
وذلك معلوم على القطع بجملة اخبار متواترة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موارد الاعراب
عليه وعرضه الايمان عليهم وقبولهم ذلك وانصرافهم
الى رعاية الابل والمواشى من غير تكليفهم اياهم
التفكر فى المعجزة ووجه دلالته والتفكر فى حدوث
العالم واثبات الصانع وفى ادلة الوحدانية وسائر الصفات
بل الاكثر من اجلاف العرب لوكلفوا ذلك لم يفهموه
ولم يدركوه بعد طول المدة بل كان الواحد منهم يحلفه
ويقول والله الله ارسلك رسولا فيقول والله الله ارسلنى
رسولا وكان يصدقه بيمينه وينصرف ويقول الاخر
اذا قدم عليه ونظر اليه والله ماهذا وجه كذاب
وامثال ذلك مما لا يحصى بل كان يسلم فى غزوة

واحدة فى عصره وعصر اصحابه آلاف لا يفهم
الا كثرون منهم ادلة الكلام ومن كان يفهمه يحتاج
الى ان يترك صناعته ويختلف الى معلم مدة مديدة
ولم ينقل قط شئ من ذلك فعلم علما ضروريا ان الله تعالى
لم يكلف الخلق الا الايمان والتصديق الجازم
بما قاله كيف ما حصل التصديق (نعم) لا ينكر ان
للعارف درجة على المقلد ولكن المقلد فى الحق
مؤمن كما ان العارف مؤمن فان قلت فبم يميز المقلد
بين نفسه وبين اليهودى المقلد قلنا المقلد لا يعرف
التقليد ولا يعرف انه مقلد بل يعتقد فى نفسه انه محق
عارف ولا يشك فى معتقده ولا يحتاج مع نفسه
الى التميز لقطعه بان خصمه مبطل وهو محق ولعله
ايضا يستظهر بقرائن وادلة ظاهرة وان كانت غير
قوية يرى نفسه مخصوصا بها وميزا بسببها
عن خصومه فان كان اليهودى يعتقد فى نفسه
مثل ذلك فلا يشوش ذلك على المحق اعتقاده كما ان
العارف الناظر يزعم انه ميز نفسه عن اليهودى
بالدليل واليهودى المتكلم الناظر ايضا يزعم انه ميز
عنه بالدليل ودعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف

138

59

وكذلك لايشكك المقلد القاطع ويكفيه فى الايمان
ان لايشككه فى اعتقاده معارضة المبطل كلامه
بكلامه فهل رايت عاميا قط قد اغتم وحزن
من حيث يعسر عليه الفرق بين تقليده وتقليد
اليهودى بل لايخطر ذلك ببال العوام وان خطر
ببالهم وشوفهوا به ضحكوا من قائله وقالوا ماهذا
الهذيان وكان به بين الحق والباطل مساواة حتى
يحتاج الى الفرق فارق تبينا انه على الباطل
وانى على الحق وانا متيقن لذلك غير شاك فيه
فكيف اطلب الفرق حيث يكون الفرق معلوما
قطعا من غير طلب فهذه حالة المقلدين الموقنين
وهذا اشكال لايقع لليهودى المبطل لقطعه مذهبه
مع نفسه فكيف يقع للمسلم المقلد الذى وافق اعتقاده
ماهو الحق عند الله تعالى فظهر بهذا ان القطع
ان اعتقاداتهم جازمة وان الشرع لم يكلفهم
الا ذلك (فان قيل) فان فرضنا عاميا مجادلا لجوجا 133
ليس يقلد وليس يقنعه ادلة القرآن ولا الاقاويل 139
الجليلة المفرقة السابقة الى الافهام فاذا تصنع به
(قلنا) هذا مريض مال طبعه عن صحة الفطرة

وسلامة الخلقة الاصلية فينظر فى شمائله فان وجدنا
اللجاج والجدل غالبا على طبعه لم نجادله وطهرنا
وجه الارض عنه ان كان يجاحدنا فى اصل من
اصول الايمان وان توسمنا فيه بالفراسة مخايل الرشد
والقبول ان جاوزنا به من الكلام الظاهر الى توفيق
فى الادلة عالجناه بما قدرنا عليه من ذلك وداويناه
بالجدال المر والبرهان الجلو وبالجملة فنجتهد ان
نجادله بالاحسن كما امر الله تعالى ورخصنا فى
القدر من المداواة لا يدل على فتح باب الكلام مع
الكافة فان الادوية تستعمل فى حق المرضى وهم
الاقلون وما يعالج به المريض بحكم الضرورة
يجب ان يوقى عنه الصحيح والفطرة الصحيحة الاصلية
معدة لقبول الايمان دون المجادلة وتحرير حقايق
الادلة وليس الضرر فى استعمال الدواء مع الاصحاء
باقل من الضرر فى اهمال المداواة مع المرضى
فليوضع كل شئ موضعه كما امر الله تعالى به
نبيه حيث قال (ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن)
والمدعو بالحكمة الى الحق قوم وبالموعظة الحسنة

140

قوم اخرين و بالمجادلة الحسنة قوم آخر على ما فصلنا
اقسامهم فى كتاب القسطاس المستقيم فلا نطول
باعادته

بعون الله الملك العلام قد كمل طبع كتاب (الجام
العوام عن علم الكلام) للامام العالم العامل والهمام
الفاضل الكامل محمد بن محمد بن محمد الغزالى
قدس الله سره وافاض عليه بره
واحسانه وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله واصحابه
اجمعين

قد طبع فى مطبعة (محب) فى سوق
(باب عالى) فى غرة جمادى
الاولى ١٢٨٧

فهرست لجام العوام عن علم الكلام للامام العالم العامل والهمام الفاضل الكامل حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره العالي ومتعنا الله بعلومه السامي صحيفه

٠٢ البحث في الله وصفاته وما يتعالى الله عنه
٠٣ باب في بيان حقيقة مذهب السلف في هذه الاخبار
٠٣ باب في البرهان على ان الحق في مذهب السلف
٠٤ باب في فصول متفرقة نافعة في هذا الفن
٠٤ الباب الاول في شرح اعتقاد السلف وبيان وظائف السبعة
٠٥ الوظيفة الاولى التقديس ومعناه
١٠ الوظيفة الثانية الايمان والتصديق
١٢ الوظيفة الثالثة الاعتراف بالعجز
١٤ الوظيفة الرابعة السكوت عن السؤال
١٦ الوظيفة الخامسة الامساك عن التصرف
٦٦ الوظيفة السادسة في الكف بعد الامساك
٣٧ بيان آيات الواردة في توحيده سبحانه وتعالى
٣٩ بيان آيات الواردة في صدق الرسول عليه السلام
٤٤ الوظيفة السابعة التسليم لاهل المعرفة
٤٧ الباب الثاني في اقامة البرهان على ان الحق

142

مذهب السلف
٥٨ الباب الثالث فى فصول متفرقة وابواب نافعة فى هذا الفن
٨٠ فى بيان حصول التصديق الجازم على ست مراتب
٨٠ الرتبة الاولى ما يحصل بالبرهان المستوفى شروطه المحرر اصوله ومقدماته هو الغاية القصوى
٨١ الرتبة الثانية ان يحصل بالادلة الوهمية الكلامية المبنية على امور مسلمة بين اكابر العلماء
٨١ الرتبة الثالثة ان يحصل التصديق بالادلة الخطابية
٨٢ الرتبة الرابعة التصديق لمجرد السماع ممن حسن اعتقاده
٨٣ الرتبة الخامسة التصديق به الذى يسبق اليه القلب
٨٤ الرتبة السادسة ان يسمع القول فناسب طبعه فبادر الى التصديق وهذه اضعف التصديقات
٨٦ فصل فى الجواب ان سعادة الخلق فى ان يعتقدوا الشئ على ما هو عليه اعتقادا جازما فى الله وصفاته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان لم يكن ذلك بدليل محرر كلامى ولم يكلف الله عباده الا ذلك والله المرشد والموفق

محمد الغزالي (٤٥٠ ــ ٥٠٥ هـ. ١٠٥٨ ــ ١١١١ م.)

محمد بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي ، المعروف بالغزالي (زين الدين ، حجة الاسلام ، ابو حامد) حكيم ، متكلم فقيه ، اصولي ، صوفي ، مشارك في انواع من العلوم. ولد بالطابران احدى قصبتي طوس بخراسان ، و طلب الفقه لتحصيل القوت ، ثم ارتحل الى ابي نصر الاسماعيلي بجرجان ، ثم الى امام الحرمين ابي المعالي الجويني بنيسابور ، فاشتغل عليه و لازمه ثم جلس للاقراء ، و حضر مجلس نظام الملك ، فأقبل عليه نظام الملك ، فعظمت منزلة الغزالي ، و ندب للتدريس بنظامية بغداد ، ثم أقبل على العبادة و السياحة ، فخرج الى الحجاز فحج ، و رجع الى دمشق فاستوطنها عشر سنين ، ثم سار الى القدس و الاسكندرية ، ثم عاد الى وطنه بطوس ، ثم ان الوزير فخر الدين بن نظام الملك طلبه الى نظامية نيسابور فأجاب الى ذلك ، ثم عاد الى وطنه ، و ابتنى الى جواره خانقاه للصوفية و مدرسة للمشتغلين و لزم الانقطاع ، و توفي بالطابران من تصانيفه الكثيرة : احياء علوم الدين ، الحصن الحصين في التجريد و التوحيد ، تهافت الفلاسفة ، الوجيز في فروع الفقه الشافعي ، و المستصفى في اصول الفقه ، و المنقذ من الضلال ، و الجام العوام و غير ذلك.

من
الفتاوى الحديثية

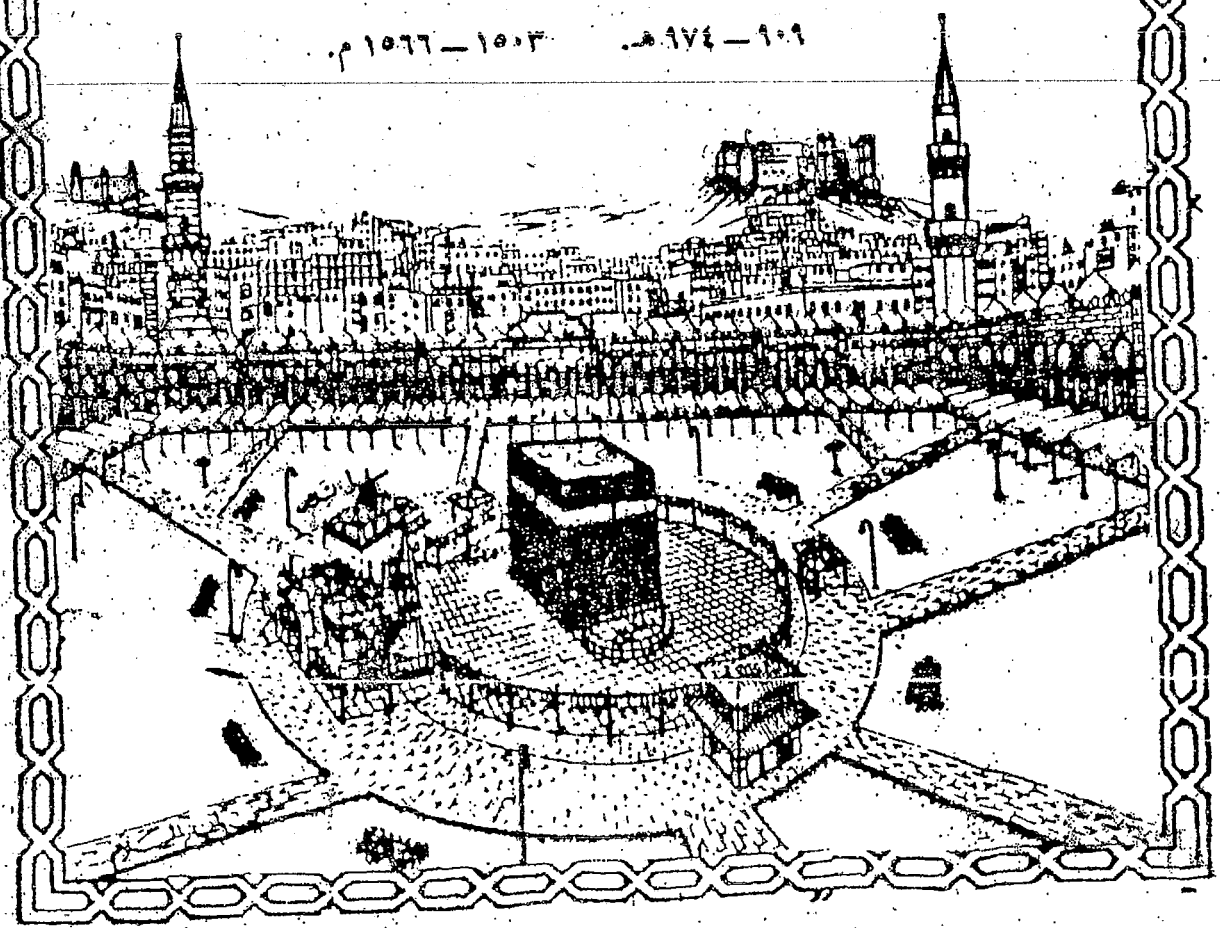
الـ

تأليف

خاتمة الفقهاء والمحدثين الشيخ

أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي

٩٠٩ — ٩٧٤ هـ. ١٥٠٣ — ١٥٦٦ م.



من
الفتاوى الحديثية

تأليف

خاتمة الفقهاء والمحدثين الشيخ
أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي
٩٠٩ ـ ٩٧٤ هـ. ١٥٠٣ ـ ١٥٦٦ م.

[مطلب : في كرامات الأولياء رضي الله عنهم]

وسئل رضي الله عنه ، بما لفظه : كرامات الأولياء حق فهل تنتهي إلى إحياء الموتى وغيره من معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن أحيي كرامة لولي هل له حكم الأحياء أو الأموات ؟

فأجاب رضي الله عنه ، بقوله : كرامات الأولياء حق عند أهل السنة والجماعة خلافا للمخاذيل [١] المعتزلة والزيدية ، وقول الفخر الرازي إن أبا إسحق الإسفرايني أنكرها أيضا مردود بأنه إنما أنكر منها [٢] ما كان معجزة لنبي كإحياء الموتى لئلا تختلط الكرامة بالمعجزة ، وغلطه النووي كابن الصلاح بأنه ليس في كراماتهم معارضة للنبوة لأن الولي إنما أعطي ذلك ببركة اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، فلا تظهر حقيقة الكرامة عليه إلا إذا كان داعيا لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم بريئا من كل بدعة وانحراف عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ، فببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم يؤيده الله تعالى بملائكته وروح منه ويقذف في قلبه من أنواره .

---

(١) محمد فخر الدين الرازي توفي سنة ٦٠٦ هـ. [١٢٠٩ م.] في هرات

(٢) ابو اسحق ابراهيم الاسفرايني توفي سنة ٤١٨ هـ. [١٠٢٧ م.] في نيشابور

والحاصل أن كرامة الولي من بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لكن لعظم اتباعه له أظهر الله بعض خواص النبي على يدي وارثه ومتبعه في سائر حركاته وسكناته .

وقد تنزلت الملائكة لاستماع قراءة أسيد بن حضير الكندي ، وكان سليمان وأبو الدرداء يأكلون في صحفة فسبحت الصحفة وما فيها ، ثم الصحيح أنهم ينتهون إلى إحياء الموتى خلافا لأبي القاسم القشيري ، [١] ومن ثم قال الزركشي ماقاله مذهب ضعيف والجمهور على خلافه ، وقد أنكروه عليه حتى ولده أبو نصر في كتابة [٢] [المرشد] فقال عقب تلك المقالة : والصحيح تجويز جملة خوارق العادات كرامة للأولياء ، وكذا في إرشاد إمام الحرمين . وفي شرح مسلم للنووي تجوز الكرامات بخوارق العادات على اختلاف أنواعها ، وخصها بعضهم بإجابة دعوة ونحوها وهذا غلط من قائله وإنكار للحس بل الصواب جريانها بانقلاب الأعيان ونحوه انتهى .

[حكايات لطيفة] وقد مات فرس بعض السلف في الغزو فسأل الله إحياءه حتى يصل بيته فأحياه الله ، فلما وصل بيته قال لولده : خذ سرجه فإنه عارية عندنا فأخذه فخر ميتا . وقال اليافعي رضي عنه : صح بالسند المتصل إلى الشيخ القطب عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى أن أم شاب عنده دخلت عليه وهو يأكل في دجاجة فأنكرت أكله الدجاجة وإطعامه ابنها أرذل الطعام ، فقال لها : إذا صار ابنك بحيث يقول لمثل هذه الدجاجة قومي بإذن الله فقامت ولها أجنحة وطارت بها حتى له أن يأكل الدجاج . ولا يناقي إحياء الميت الواقع كرامة أن الأجل محتوم لا يزيد ولا ينقص لأن من أحيي كرامة مات أولا بأجله وحياته وقعت كرامة ، وكون الميت لا يحيا إلا للبعث هذا عند عدم الكرامة . أما عندها فهو كإحيائه في القبر للسؤال كما صح به الخبر . وقد وقع للعزير وحماره وللذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .

إذا تقرر ذلك فمن أحيي كرامة فتارة يتيقن موته تيقنا ضروريا بنحو قطع رأسه وإبانة جثته فهذا إحياؤه لا يعيد له شيئا من زوجاته ولا مما اقتسمته ورثته من أمواله لما تقرر أن هذا كالإحياء الذي في القبر ، وتارة لا يتيقن كذلك فيتبين أنه لم يزل شيء عن استحقاقه فيعود له .

والحاصل : أن الإحياء بعد الموت المراد به الإحياء للبعث لا للكرامة أو سؤال الملكين .

[مطلب : اعتراض ابن تيمية على متأخري الصوفية وله خوارق الخ]

وسئل نفع الله به بما لفظه : لابن تيمية اعتراض على متأخري الصوفية ، وله خوارق في الفقه والأصول فما محصل ذلك ؟

فأجاب بقوله : ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله ، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذبت أقواله ، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولد التاج والشيخ الإمام العزبن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية ، ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلى ابن أبي طالب رضي الله عنهما كما يأتي .

والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن بل يرمى في كل وعر وحزن ، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال ومضل جاهل غال عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين .

وحاصل ما أشير إليه في السؤال أنه قال في بعض كلامه : إن في كتب الصوفية ماهو مبني على أصول الفلاسفة المخالفين لدين المسلمين فيتأتى ذلك بالقبول من يطالع فيها من غير أن يعرف حقيقتها كدعوى أحدهم أنه مطلع على اللوح المحفوظ فإنه عند الفلاسفة كابن سينا وأتباعه النفس الفلكية ، ويزعم أن نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية أو بالعقل الفعال يقظة أو مناما ، وهم يدعون أن ما يحصل من المكاشفة يقظة أو مناما هو بسبب اتصالها بالنفس الفلكية عندهم وهي سبب حدوث الحوادث في العالم فإذا اتصلت بها نفس البشر استنقش فيها ما كان في النفس الفلكية ، وهذه الأمور لم يذكرها قدماء الفلاسفة وإنما ذكرها ابن سينا ومن يتلقى عنه ، ويوجد من ذلك في بعض كلام أبي حامد وكلام ابن عربي وابن سبعين وأمثال هؤلاء تكلموا

(١) ابو القاسم عبد الكريم القشيري توفي سنة ٤٦٥ هـ. [١٠٧٢ م.] في نيشابور

(٢) بدر الدين محمد الزركشي الشافعي توفي سنة ٧٩٤ هـ. [١٣٩١ م.] في مصر

فى التصوف ، والحقيقة على قاعدة الفلاسفة لا على أصول المسلمين ، ولقد خرجوا بذلك إلى الإلحاد كالحاد الشيعة والإسماعيلية والقرامطة والباطنية بخلاف عباد أهل السنة والحديث ومتصوفتهم كالفضل وسائر رجال الرسالة ، وهؤلاء أعظم الناس إنكارا للطرق من هم خير من الفلاسفة كالمعتزلة والكرامية فكيف بالفلاسفة .

وأهل التصوف ثلاثة أصناف : قوم على مذهب أهل الحديث والسنة كهؤلاء المذكورين ، وقوم على طريقة بعض أهل الكلام من الكرامية وغيرهم ، وقوم خرجوا إلى طريق الفلسفة مثل مسلك من سلك رسائل إخوان الصفا وقطعة توجد فى كلام أبى حيان التوحيدى ، وأما ابن عربى وابن سبعين ونحوهما فجاءوا بقطع فلسفية غيروا عبارتها وأخرجوها فى قالب التصوف ، وابن سينا تكلم فى آخر الإرشارات على مقام العارفين بحسب مايليق بحاله ، وكذا معظم من لم يعرف الحقائق الإيمانية .

[١]

[مطلب : على أن أبا بكر ابن العربى من أصحاب الغزالى

وفيما جرى من ابن تيمية الخ]

والغزالى ذكر شيئا من ذلك فى بعض كتبه لاسيما فى الكتاب المضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار ونحو ذلك حتى ادعى صاحبه أبو بكر بن العربى فقال : شيخنا دخل فى نظر الفلاسفة وأراد أن يخرج منهم فما قدر ، لكن أبو حامد يكفر الفلاسفة فى غير موضع وبين فساد طريقتهم وأنها لاتحصل المقصود واشتغل فى آخر عمره بالبخارى ومات على ذلك ، وقيل إنه رجع عن تلك الكتب ، ومنهم من يقول إنها مكذوبة عليه ، وكثر كلام الناس فيه لأجلها كالمازرى والطرطوشى وابن الجوزى وابن عقيل وغيرهم انتهى حاصل كلام ابن تيمية ، وهو يناسب ماكان عليه من سوء الاعتقاد حتى فى أكابر الصحابة ومن بعدهم إلى أهل عصره وربما أداه اعتقاده ذلك إلى تبديع كثير منهم .

ومن جملة من تتبعه الولى القطب العارف أبو الحسن الشاذلى نفعنا الله بعلومه ومعارفه فى حزبه الكبير وحزب البحر وقطعة من كلامه كما تتبع ابن عربى وابن الفارض وابن سبعين ، وتتبع أيضا الحلاج الحسين ابن منصور ولا زال يتبع الأكابر حتى تمالأ عليه أهل عصره ففسقوه وبدّعوه بل كفره كثير منهم ، وقد كتب إليه بعض أجلاء أهل عصره علما ومعرفة سنة خمس وسبعمائة من فلان إلى الشيخ الكبير العالم إمام أهل عصره بزعمه ، أما بعد فإنا أحببناك فى الله زمانا وأعرضنا عما يقال فيك إعراض الفضل إحسانا إلى أن ظهر لنا خلاف موجبات المحبة بحكم مايقتضيه العقل والحس وهل يشك فى الليل عاقل إذا غربت الشمس ، وأنك أظهرت أنك قائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والله أعلم بقصدك ونيتك ، ولكن الإخلاص مع العمل ينتج ظهور القبول ، وما رأينا آل أمرك إلا إلى هتك الأستار والأعراض باتباع من لايوثق بقوله من أهل الأهواء والأغراض ، فهو سائر زمانه ينسب الأوصاف والذوات ولم يقنع بسب الأحياء حتى حكم بتكفير الأموات ولم يكفه التعرض على من تأخر من صالحى السلف حتى تعدى إلى الصدر الأول ومن له أعلى المراتب فى الفضل فياويح من هؤلاء خصماؤه يوم القيامة وحبهات أن لايناله غضب ، وأنى له بالسلامة وكنت ممن سمعه وهو على منبر جامع الجبل بالصالحية وقد ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : إن عمر له غلطات وبليات وأى بليات : وأخبر عنه بعض السلف أنه ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فى مجلس آخر فقال : إن عليا أخطأ فى أكثر من ثلاثمائة مكان ، فياليت شعرى من أين يحصل لك الصواب إذا أخطأ على كرم الله وجهه وعمر بن الخطاب ، والآن قد بلغ هذا الحال إلى منتهاه والأمر إلى مقتضاه ، ولا ينفعنى إلا القيام فى أمرك ودفع شرك لأنك قد أفرطت فى الغى ووصل أذاك إلى كل ميت وحى ، وتلزمنى الغيرة شرعا لله ولرسوله ويلزم ذلك جميع المؤمنين وسائر عباد الله المسلمين بحكم مايقوله العلماء ، وهم أهل الشرع وأرباب السيف الذين بهم الوصل والقطع إلى أن يحصل منك الكف عن أعراض الصالحين رضى الله عنهم أجمعين اهـ .

واعلم أنه خالف الناس فى مسائل نبه عليها التاج السبكى وغيره ، فمما خرق فيه الإجماع قوله فى على الطلاق أنه لايقع عليه بل عليه كفارة يمين ، ولم يقل بالكفارة أحد من المسلمين قبله ، وأن طلاق الحائض لا يقع وكذا الطلاق فى طهر جامع فيه وأن الصلاة إذا تركت عمدا لا يجب قضاؤها ، وأن الحائض يباح

(١) محمد ابن سبعين المالكي الاندلسي توفي سنة ٦٦٩ هـ. [١٢٧٠ م.] في مكة المكرمة .

لها الطواف بالبيت ولا كفارة عليها ، وأن الطلاق الثلاث يرد إلى واحدة وكان هو قبل ادعائه ذلك نقل إجماع المسلمين على خلافه وأن المكوس حلال لمن أقطعها وأنها إذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة وإن لم تكن باسم الزكاة ولا رسمها ، وأن المائعات لا تنجس بموت حيوان فيها كالفأرة ، وإن الجنب يصلي تطوعه بالليل ولا يؤخره إلى أن يغتسل قبل الفجر وأن كان بالبلد ، وأن شرط الواقف غير معتبر ، بل لو وقف على الشافعية صرف إلى الحنفية وبالعكس وعلى القضاة صرف إلى الصوفية في أمثال ذلك من مسائل الأصول مسئلة الحسن والقبيح التزم كل ما يرد عليها ؛ وإن مخالف الإجماع لا يكفر ولا يفسق ، وأن ربنا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا محل الحوادث تعالى الله عن ذلك وتقدس وأنه مركب تفتقر ذاته افتقار الكل للجزء تعالى الله عن ذلك وتقدس ، وأن القرآن محدث في ذات الله تعالى الله عن ذلك وأن العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوقا دائما فجعله موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار تعالى الله عن ذلك وقوله بالجسمية والجهة والانتقال وأنه بقدر العرش لا أصغر ولا أكبر تعالى الله عن هذا الافتراء الشنيع القبيح والكفر البراح الصريح وخذل متبعيه وشتت شمل معتقديه ، وقال : إن النار تفنى ، وأن الأنبياء غير معصومين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جاه له ولا يتوسل به ، وأن إنشاء السفر إليه بسبب الزيارة معصية لا تقصر الصلاة فيه وسيحرم ذلك يوم الحاجة ماسة إلى شفاعته ، وأن التوراة والإنجيل لم تبدل ألفاظهما وإنما بدلت معانيهما اهـ .

وقال بعضهم : ومن نظر إلى كتبه لم ينسب إليه أكثر هذه المسائل غير أنه قائل بالجهة وله في إثباتها جزء ، ويلزم أهل هذا المذهب الجسمية والمحاذاة والاستقرار : أي فلعله في بعض الأحيان كان يصرح بتلك اللوازم فنسبت إليه سيما ومن نسب إليه ذلك من أئمة الإسلام المتفق على جلالته وإمامته وديانته وأنه الثقة العدل المرتضى المحقق المدقق ، فلا يقول شيئا إلا عن تثبت وتحقق ومزيد احتياط وتحر سيما إن نسب إلى مسلم مايقتضي كفره وردته وضلاله وإهدار دمه ، فإن صح عنه مكفر أو مبدع يعامله الله بعدله وإلا يغفر لنا وله .

[مطلب : هل يجوز لآحد أن يفسر شيئا من القرآن من تفسير الواحدي وغيره ؟]

وسئل رضي الله عنه : عن رجل فسر آية من آيات القرآن المبين بتفسير أبي الحسن الواحدي [١] وابن عباس والزجاج وعطاء وغيرهم من العلماء المجتهدين المعتبرين كما فسر في تفسيرهم : هل يجوز له ذلك أم لا ؟ [٢]

فأجاب بقوله : إنه لا حرج على من ذكر تفاسير الأئمة على وجهها من غير أن يتصرف فيها بزيادة أو نقص بل هو مأجور مثاب على ذلك ؛ لكن ينبغي له إن كان يذكر ذلك التفسير للعامة أن يتحرى لهم الأليق بحالهم مما تحتمله عقولهم فلا يذكر لهم شيئا من غرائب التفسير ومشكلاته التي لا تحتملها عقولهم ؛ لأن ذلك يكون فتنة لهم وضلالا بينا ؛ ومن ثمة يجب على الحاكم أصلحه الله منع من يفعل ذلك من جهلة الوعاظ لأنهم يضلون ويضلون ، وكذلك يجب عليه أيضا أن يمنع من ينقل التفاسير الباطلة كتفسير من يتكلم في التفسير برأيه مع عدم أهليته لذلك ، ومن يتكلم في التفسير بما قاله الأئمة لكن لا يفهمه على وجهه لعدم الآلات عنده فإن التفسير علم نفيس خطير لا يليق بكل أحد أن يتكلم فيه ولا أن يخوض فيه إلا إذا أتقن آلاته التي يحتاج إليها كعلم السنة والفقه واللغة والنحو والمعاني والبيان وغيرها من العلوم المتعلقة بلسان العرب ، فمن أتقن ذلك يساغ له الكلام فيه ومن لم يتقن ذلك اقتصر على مجرد نقل ماقاله أئمة التفسير مما ذكره الأئمة المتأخرون عنهم كالواحدي والبغوي والقرطبي والإمام الفخر الرازي والبيضاوي وغيرهم ، ولا يذكر من كلام هؤلاء الأئمة إلا مايليق بمن يذكره لهم من غير أن يتصرف فيه بشيء .

والحاصل أن هذا مسلك خطر وطريق وعر فينبغي التحرز في سلوكه حذرا من الضلال والإضلال ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) علي الواحدي توفي سنة ٤٦٨ هـ. [١٠٧٥ م.] في نيشابور.

(٢) ابراهيم الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في بغداد

الاستفتاء من عامة المسلمين

بحضرة حكيم الملة ابي مسعود سيد خواجه محمود الحنفي الكاظمي المحبوب آبادي قد اعتزلت الوهابية عنا اعتقاداً و عملاً فكيف صلواتنا خلف احدهم و حصول تعليم الدين و تعيين فرد من افرادهم على منصب الملى هل يجوز ام لا.

الجواب بعون الله الملهم للصدق و الصواب

فتنة الوهابية حقيقة فتنة اليهودية قد بدت البغضاء من افواههم و ما صدورهم اكبر فكل فرد على عقيدة الوهابية او اليهودية خبيث و من يؤمن بالله و رسوله طيّب ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فقد تحقق اعتزالهم عن المسلمين ظاهراً و باطناً حتى في التوحيد و الرسالة اصولاً و فروعاً فلا يجوز الصلاة خلفهم و لا يجوز تعيين احد منهم على منصب الملى نحو الامامة و القضاء و تدريس الكتب و السنة و الفقه لا و رب الكعبة الحرم و الحذر لابن الماء المذر و في الخبر عن المخبر الصادق المصدوق و باخبار الغيوب و الشهادة (اجعلوا أئمتكم خياركم) فان الوهابية في غاية اسائة العقيدة و العمل حتى صاروا اضر الناس لنا فانهم قد كفروا بالله و رسوله باظهار الاسلام و لا شبهة انهم من المنافقين و الخطاب لاحدهم بلفظ التعظيم و الاكرام موجب سخط الله و رسوله فلا يجوز لنا موالاتهم بقوله تعالى (و من يتولّهم منكم فانّه منهم) و في السنة اياكم و اياهم لا يضلونكم و لا يفتنونكم فهم الذين كفروا و ارتدوا من الله و رسوله و دين الاسلام قديماً و حديثاً فانهم اشد كفراً و نفاقاً و لا شك انهم عبد الطاغوت من اتباع ابن تيمية و ابن عبد الوهاب و غيرهما في العرب و العجم قد قالوا في الله و رسوله ما قالوا و قد افتى العلماء عليهم بكمال التحقيق فقد ارتدوا عن الله و الاسلام و على كل مروّجهم نصوا «من شك في الكفر و عذابه فقد كفر» كما في حسام الحرمين و صوارم الهندي و غيرهما من الفتوى و انحالهم الامامة او القضاء و تولية تدريس الدين و منصب العزة و التعظيم و في المراقي الفلاح الفاسق العالم تجب اهانته شرعاً فلا يعظم فاين الفاسق المطلق و الكافر المرتد بينهما بون بيّن و في التبيين و الفتح المبين و غيرهما «قد وجب عليهم اهانته شرعاً» و في المقاصد شرح العقائد لسعد الملة التفتازاني «حكم مبتدع البغض و العداوة و الاعراض عنه و الاهانة و الطعن» فاين المبتدع و الكافر المرتد فان اقتداءهم و حصول علم الدين منهم حرام و مقابلة الشرع و في المشكوة «ان هذا العلم فانظروا عمّن تأخذون دينكم» فالاقتداء بهم و تسليم منصب ديني نحو القضاء و تدريس العلم الديني بهم حرام حرام و كفر ان الدين و الايمان لا يجوز معيتهم و اعانتهم بحيث يجب علينا تركهم أمرنا بقوله تعالى (كونوا مع الصادقين) فهؤلاء الكفرة ليسوا من الصادقين بل هم اكذب الناس لله و رسوله و من اهل الكفر و الارتداد امر الشارع لمعية الصادقين و نهي عن معية الكاذبين الكافرين لان أمر الشيء نهي عن ضدّه و الله تعالى و رسوله اعلم و صلى الله على حبيبه محمد و آله و صحبه و سلم

فعليكم بمطالعة كتابي تحريم الشرعية عن امامة الوهابية.

حرّره الفقير الى مولاه الغني الودود السيد محمود

الحنفي الكاظمي الباكستاني

المكتوب السابع والخمسون والمائة الى الحكيم عبدالوهاب فى بيان لزوم اظهار التواضع والاحتياج عند حضور الاكابر وبيان لزوم تصحيح العقائد

اعلم انك قد جئت هنا وآلمت قدمك وانصرفت مسرعا حتى لم نجد فرصة لاداء بعض حقوق الصحبة والمقصود من الملاقاة والاجتماع اما الافادة واما الاستفادة فاذا خلا المجلس من كلا هذين الخصالين فهو خارج عن الاعتداد به وينبغى لمن يحضر عند واحد من هذه الطائفة ان يحضر خاليا ليرجع ملآن وأن يظهر عندهم العجز والافلاس ليكون محلا لشفقتهم ومستحقا لافاضتهم ولا معنى فى الجئ والانصراف رياء ولا شئ فى الامتلاء غير العلة ولا فى الاستغناء دون الطغيان قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدس سره لا يداو لامن تضرع [١] المريض وانكساره ثم بعده يتوجه الخاطر المنكسر فكان التضرع والانكسار شرطى التوجه ومع ذلك كله جاء فى هذه الاوان طالب علم والتمس منى التفويض والتوصية الى ذلك الجانب فوقع فى الخاطر ان مجرد مجيئه ايضا حق من الحقوق فينبغى اداء الحق من قبلى مهما أمكن فلا جرم امليت بلسان القلم كلمات على مقتضى الوقت والحال تداركا لما مضى وتلافيا لما سبق وارسلت الى ذلك الجانب والله سبحانه الملهم للصواب والموفق للسداد (أيها) الموفق لسعادة ان ماهو اللازم لناولكم تصحيح العقائد على مقتضى الكتاب والسنة على نهج اخذها علماء أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة بعد مافهموها كما ينبغى فان فهمنا وفهمكم ساقط عن حيز الاعتبار اذالم يوافق فهم هؤلاء الكبار الا ترى أن كل مبتدع وضال يدعى اخذ احكامه الباطلة من الكتاب والسنة وفهمها منهما والحال أنه لا يغنى من الحق شيأ (ثم) علم الاحكام الشرعية ثانيا من الحلال والحرام والفرض والواجب (ثم) العمل ثالثا بمقتضى هذا العلم (ثم) السلوك رابعا طريق التصفية والتزكية الذى خص بالصوفية الكرام قدس الله اسرارهم فالم تصحح العقائد لا ينفع العلم بالاحكام الشرعية ومالم يتحقق كلا هذين لا يجدى العمل شيأ ومالم تحصل الثلاثة كلها فحصول التصفية والتزكية محال وماسوى هذه الاركان الاربعة ومتمماتها ومكملاتها كالسنة المكملة للفرض كله من الفضول داخل فى دائرة مالا يعنى ومن (١) حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه واشتغاله بما يعنيه والسلام على من اتبع الهدى والتزم متابعة المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام

(١) محمد بهاء الدين النقشبند البخاري توفي سنة ٧٩١ هـ. [١٣٨٩ م.] في بخارى

١٥٧

فضل الذاكرين والرد على المنكرين

تأليف

الاستاذ عبد الغني حمادة

سوريا - ادلب

١٣٩١ هـ ١٩٧١ م

٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمـــد سيد الانبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله واصحابه والتابعـــين لهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيراً .

وبعد فقد اتاني تحرير من الاستاذ احمد وصفي الجندي من معرة النعمان الذي خلف اباه في اقامة الاذكار في زاويتهم يتضمن هـذا التحرير اعتراض المبتدعين على الاذكار وما يجري فيها ، من الضرب بالدف ، ومن التواجـــد والتمايل ، ومن المدائح للصحابة الكرام وللاولياء رضي الله عنهم اجمعين ومن التوسل والاستغاثة برسول او ولي ، ومن التبرك بنبي او ولي او بآثارهما .ومن التبرك بقبر نبي او ولي . ومن التمسح بقبر نبي او ولي . وقالوا له لا يجـــوز السؤال من غير الله تعالى لقوله ﷺ من حديث (واذا سألت فاسأل الله) .

وطلب مني الجواب على هذه المسائل التسعة، وقبل ان نتكلم بالجواب عليها نقول للمبتدعين المنكرين انكم تعترضون على الذين يصلون وتريدون منهم ان يتركوا عباداتهم التي يتعبدونها على مذاهب الأئمة الاربعة رضي الله عنهم ويتبعوا على مذهبكم الباطل ولا تعترضون على الذين لا يصلون ولا على الذين ينادون علناً بالبانصيب الذى هو قمار كما لا تعترضون على تهتك النســـاء ولا على ارباب المعاصي المتجاهرين بها ولا على منكر من المنـــكرات المنتشرة بكثرة بين المسلمين كالزنا والربا واللواط والفجور وشهادة الزور والسرقة وشرب الخمور وغيرها فانها لا تهمكم انتشار هذه المنكرات بل يهمكم ان يحرك المصلي اصبعه في الصلاة ، وان يمس الشخص المصحف الشريف يـده وهو جنب او حائض ويقرأ فيه بدون حائل ، وان يمسح المتوضأ على الجورب الرقيـــق الشفاف النايلون بدل غسل الرجلين في الوضوء . ويهمكم ايضا عـدم قضاء الصلوات الفائتات وتحرمون قضاءها كما تحرمون قراءة قصة المولد النبوي وعمله والقيام عند ذكر ولادته ﷺ وتحرمون الصلاة والسلام عليه بعد الأذان كما اذا ذكر اسمه الشريف ﷺ فلا تصلون عليه الى اخر بدعكم وهي كثيرة ويهمكم

ايضا خروجكم من بلدكم وترك اعمالكم وتجاراتكم وسفركم الى المدن والقرى وتحولكم فيها لنشر بدعكم وتضليل المسلمين

وقد دلنا اعتراضكم على المصلين وعدم تعرضكم للمنكرات والى الذين لا يصلون وتجولكم في المدن والقرى ونشر بدعكم فيها على انكم مأجورون كان السلف الصالح اذا رأوا من رجل او جماعة شيئاً مخالفاً للذين ارشدوه بلطف الى الصواب ولا يوبخونه ولا يكفرونه ، اما انتم فتكفرون المسلمين اذا قالوا يارسول الله ﷺ وتستحلون دماءهم واموالهم . الجواب على الاسئلة وسيكون مختصراً ومن اراد التطويل فليراجعني .

(عمل الاذكار)

ان عمل الاذكار ثابت في القرآن الكريم وفي الاحاديث النبوية الصحيحة قال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم) قال اكثر المفسرين المراد بالآية المداومة على الذكر بدليل مارواه مسلم عن ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يذكر الله عز وجل في كل احيانه ، اي قائماً وقاعداً ومضجعاً .

وقال ﷺ (من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة ، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومامشى احد
[١] مشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة) رواه ابو داود ، من تفسير الخازن (الترة النقص) وقال تعالى (اذكروني اذكركم) وقال تعالى (ولذكر الله اكبر) اي من العبادات الى آخر الآيات القرآنية الكثيرة .

وقال ﷺ (ما اجتمع قوم على ذكر الله تعالى فتفرقوا عنه الا قيل لهم قوموا مغفوراً لكم من اجل الذكر) حديث حسن . وقال ﷺ (قال الله تعالى يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي (اي اسررت بثوابك) وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم (اي الملائكة مباهاة

(١) ابو داود سليمان السجستاني توفي سنة ٢٧٥ هـ. [٨٨٨ م.] في البصره

بك واعظاما لقدرك) حديث صحيح . وقال ﷺ (اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل يارسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر) . وقال ﷺ (مامن قوم يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة) . قال عبد الله بن رواحة الصحابي الجليل لرجل من الصحابة الكرام رضي الله عنهم تعالى نؤمن بالله ساعة فقال له اولسنا بؤمنين قال بلى ولكننا نذكر الله تعالى فنزداد ايماناً فغضب الرجل وشكاه لرسول الله ﷺ فقال (يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة) ففي هذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية اكبر دليل على الاجتماع للذكر والجهر به .

وقد امرنا رسول الله ﷺ بعمل الاذكار وبالاجتماع لها وبتكرارها وبالمداومة عليها وبالجهر بها بقوله ﷺ (ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله تعالى فيها الا حسر عليها يوم القيامة) وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان الناس على عهد عمر رضي الله عنه يرفعون اصواتهم بالذكر عند غروب الشمس فربما اسروا فيرسل اليهم عمر رضي الله عنه ارفعوا اصواتكم بالذكر فان الشمس قد دنت للغروب .

ان فراغ القلب للذكر اسلم للدين وايسر للحساب وآمن من روعات يوم القيامة واكثر للثواب واعلى لقدر الذاكر عند الله تعالى قال ﷺ (لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله تعالى لكان ذكر الله افضل) حديث حسن وقال ﷺ (من ذكر الله اجله الله تعالى) وقال ﷺ (مثل الذي يذكر ربه والذي لايذكر ربه مثل الحي والميت) رواه البخاري ومسلم .

(الضرب بالدف)

ان الضرب بالدف ذي الجلاجل جائز في مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه لان النبي ﷺ حين دخل المدينة المنورة استقبلته النساء وضربن بالدف وانشدن (طلع البدر علينا الى آخر الابيات . وان سيدنا ابا بكر

الصديق رضي الله عنه دخل على ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله فوجد عندها جاريتان تغنيان وتضربان بالدف والنبي ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر الصديق رضي الله عنه فكشف رسول الله عن وجهه الشريف وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد) ان حديث الضرب بالدف مطلق غير مقيد بجلاجل او غير جلاجل ، فالحديث المطلق يبقى على اطلاقه ويشمل الدف الذي فيه جلاجل وغير جلاجل حتى يأتي حديث آخر بعده يخصصه . واما الضرب بالدف الذي له جلاجل حرام في مذهب الحنفي فلم اره حراماً فيه بل [١] رأيت في الجزء الثاني من حاشية ابن عابدين في باب النكاح عبارة الحاشية هذا نصها قال ﷺ (بين الحلال والحرام الدف والصوت) اي . بالغناء الجائز قال الفقهاء المراد بالدف ما لا جلاجل له

لعبارة فقهاء الحنفية لا تدل على التحريم لان التحريم لا يكون الا بنص آية او حديث ينصان على التحريم كما ان الحديث الشريف مطلق غير مقيد بجلاجل او بغيرها وليس فيه مايشعر بان الذي فيه جلاجل حرام . ان ضرب الدف يسن لكل حادث سرور فالاذكار حادث سرور بربهم وباجتماع اخوانهم بهم على طاعة الله تعالى .

(التمايل والتواجد)

ان التمايل والتواجد في الاذكار جائز ويعبر عنه عندهم بالرقص فانه نشأ من الذاكرين عن صدق قلب بذكر الله تعالى وصحة ارتباط برجال الله واعتصام بحبل الله وحب لله ولرسول الله فلا انكار على فاعله اذا خلا عن التثني والتكسر ويجب تحسين الظن بفاعله .

قيل للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ان قوماً اذا سمعوا الذكر يقومون فيرقصون اي يتواجدون فقال دعهم يفرحوا بربهم فان من تجلت عليه المواهب الربانية فرح بها فتمايل وتواجد فميل القاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين) فلا ينكر التمايل والتواجد الا من سلب حلاوة الايمان . قال

(١) محمد أمين ابن عابدين توفي سنة ١٢٥٢ هـ. [١٨٣٦ م.] في الشام.

العلماء العظام والاولياء الكرام رضي الله عنهم انه لابد لكل مسلم من ذكر وورد يواظب عليه . قال تعالى (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) لان الذكر كالمصباح في يده يستضيء به في دنياه واخرته وبسببه تحصل له تجليات الالهية بقلبه بقدر ذكره ووردة .

استدل العلماء الاعلام رضي الله عنهم على جواز التمايل والتواجد بما وقع لجعفر رضي الله عنه لما قال له ﷺ (اشبهت خلقي وخلقي) فرقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه ﷺ وجعلوا ذلك اصلا لجواز رقص الصوفية عندما يجدون لذة التواجد ، واستدلوا ايضا بفعل سيدنا علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم لما تنازعوا في تربية بنت سيدنا حمزة رضي الله عنه فقال ﷺ لسيدنا علي كرم الله وجهه (انت مني وانا منك) فحجل وتواجد وقال لجعفر رضي الله عنه (اشبهت خلقي وخلقي) فحجل وتواجد وراء علي كرم الله وجهه وقال لزيد بن حارثة (انت اخونا ومولانا) فحجل وتواجد وراء جعفر رضي الله عنه واستدلوا ايضا برقص الحبشة في مسجده ﷺ وبين يديه ولم ينكر عليهم وكان رقصهم بالوثبات والتواجد .

واستدلوا ايضا بما رواه الحافظ ابو نعيم عن علي كرم الله وجهه فانه وصف اصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم فقال كانوا اذا ذكروا الله تعالى مادوا كما تميد الاشجار في اليوم الشديد الريح اي يتمايلون ويتواجدون وجرت دموعهم على ثيابهم فقالوا ان هذا دليل على ان الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يتحركون في الذكر حركة شديدة يميناً وشمالاً فثبت بهذا الحديث الشريف اباحة التمايل والتواجد .

(مدائح الصحابة والأولياء)

ان القرآن الكريم مدح رسول الله ﷺ ومدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومدح الاولياء رضي الله عنهم قال تعالى في مدح رسول الله ﷺ (وانك لعلى خلق عظيم) وقال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)

وقال تعالى (الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك) وغفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر اي ان صدر من رسول الله ﷺ ذنب فهو مغفور لكن لم يصدر منه ﷺ ذنب لا قبل النبوة ولا بعدها وانما ذكر الله تعالى ذلك ليعلم الله البشر بتعظيم الله لنبيه المعظم ﷺ وبعلو رتبته عند ربه وان الله تعالى ارسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وكافة للناس اجمعين .

وقال تعالى في مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) وقال تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطاً ، اي عدولاً ، لتكونوا شهداء على الناس) وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) وقال تعالى في مدح الاولياء رضي الله عنهم (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون)

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي قال الله تعالى (من عادى لي ولياً فقد اذنته بالحرب) اي اعلنت عليه الحرب واهلكته..

وقال صلى الله عليه وسلم في مدح نفسه وانه مأمور به شرعاً (انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) واعطاه الشفاعة العظمى يوم القيامة واعطاه المقام المحمود آدم عليه السلام فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله عليه وسلم (انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) وهو المقام المحمود حديث صحيح قال تعالى (عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً) واعطاه ربه لواء الحمد قال صلى الله عليه وسلم (انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي .) حديث صحيح وان الله قرن اسم نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع اسمه تعالى في الصلاة وفي الشهادتين وفي الاذان وفي الدخول في الاسلام فلا يقبل اسلام كافر الا بالتلفظ باسمه صلى الله عليه وسلم مع اسم ربه .

وقال صلى الله عليه وسلم في مدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم (لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم لرجح) وقال صلى الله عليه وسلم (لو كان بعدي نبي لكان عمر) وقال صلى الله وسلم (ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين) وقال صلى الله عليه وسلم (مامن احد من اصحابي يموت بارض الا بعث قائداً ونوراً يوم القيامة) وقال صلى الله عليه وسلم (اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم) وان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرهم بالجنة لعلو مقامهم الكريم عند الله وعند رسول الله واكرامهم على الله وعلى رسول الله .

وقال صلى الله عليه وسلم في مدح الاولياء رضي الله عنهم (من اثنيتم عليه خيراً فقد وجبت لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم (اذكروا محاسن موتاكم) . ان عداوة الاولياء رضي الله عنهم توجب غضب الجبار ودخول النار لذلك مدح المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحوا الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومدحوا الاولياء رضوان الله عليهم نثراً ونظماً وان ذلك مما شاع وذاع وملأ الاسماع وتناقله الخلف عن السلف والفوا وجمعوا في مدحهم المؤلفات الكثيرة التي لاتعد ولا تحصى ولا تستقصى اقتداء بالقرآن وبسيد الاكوان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وان ممن مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم كعب بن زهير رضي الله عنه فانه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة انشدها بين يديه ومطلع القصيدة (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول الى اخرها . ولما وصل الى قوله فيها :

(ان الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الهند مسلول)

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل من سيوف الله مسلول وامره ان يمدح الانصار فانهم اهل لذلك واعطاه بردته الشريفه التي كانت عليه فاشتراها معاوية رضي الله عنه من ورثته بعشرين الف درهم للتبرك بها وصار يتداولها الخلفاء ويتبركون بها ، وان الشاعر النابغة الذبياني مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصيدة فقال رسول الله له (احسنت يا ابا ليلى لايفضض

الله فاك) فما قام سناً ولا ضرساً حتى مات .

(التوسل والاستغاثة بنبي او ولي)

ان التوسل والاستغاثة بنبي او ولي جائز فقد اجمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم والتابعين وائمة مذاهب المسلمين وجميع علماء المسلمين قديماً وحديثاً على جواز نداء نبي او ولي حياً كان او ميتاً والتوسل والاستغاثة به الى الله تعالى لانها من اقوى الاسباب لاجتلاب البركات ونزول الرحمات واستجابة الدعوات وقضاء الحاجات لقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) فالوسيلة هي التوسل والاستغاثة بانسان تقي او بعمل صالح .

جاء اعمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه ان يرد له بصره فامره بالوضوء وبصلاة ركعتين وان يدعو بهذا الدعاء (اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه فيّ) فرد الله عليه بصره واذهب عماه . فهذا الرجل الاعمى استغاث برسول الله بقوله (يامحمد) .

وكذلك استغاث برسول الله سواد بن قارب رضي الله عنه حين انشد ابياتاً مدحه فيها وقال في آخرها :

(فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب)

فلم ينكر عليه رسول الله الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه رواها البيهقي في دلائل النبوة وغيره فان الاستغاثة برسول الله او باحد اتباعه من اولياء الله من كمال الايمان لمكانة رسول الله واولياء الله عند الله لان منزلتهم عالية عند الله لانهم اكرم الناس عند الله لتقواهم قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فكل من كان تقواه عند الله اكثر كان عند الله اقرب وعناية الله تعالى به اتم واعلى فالنبي صلى الله عليه وسلم وكذا الاولياء اتقى المسلمين فالاستغاثة بهم من اقوى اسباب القبول عند الله تعالى .

ان الصحابي الجليل بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه لما اصاب الناس قحط وجدب في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء بلال ووقف

امام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وناداه واستغاث به وقال يارسول الله استسق الله لامتك فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله في النوم وقال له ائت عمر فاقرئه السلام واخبره انهم يسقون .

ومدح اعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم بابيات يستغيث به لقومه من القحط والجدب وقال في آخر الابيات

وليس لنا الا اليك فرارنا وان فرار الناس الا الى الرسل

فالمسلمون قديماً وحديثاً استغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم او باحد الاولياء رضي الله عنهم فاستجاب الله منهم واعطاهم طلبهم اكراماً لهذا النبي او الولي وقد وقع من ذلك شيء كثير لايحصر ونالوا ماطلبوا لا ينكره الا كل مبتدع معاند .

(التبرك بنبي او ولي او بآثارهما)

روى البخاري عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجره الى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين الى ان قال وقام النبي ﷺ وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم فاخذت يده فوضعتها على وجهي فاذا هي ابرد من الثلج واطيب رائحة من المسك وروى بسنده في اخر باب صفته ﷺ الى ان قال فاخرج بلال فضل وضوء رسول الله فوقع عليه الناس يأخذون .

وروى البخاري عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة فأتي بوضوء فتوضأ فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون بوضوئه وفي رواية لمسلم (فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه) وورد في الاحاديث الصحيحة كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومن بعدهم يتبركون بريقه الشريف وبشعره الشريف .

كان عند خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره ﷺ وضعها في قلنسوته فاذا تعسر عليه النصر لبسها فيسرع اليه النصر وفتح البلاد وكان

ﷺ اذا توضأ اقتتلوا على وضوئه يتبركون به . وفي البخاري ازدحموا على الحلاق عند حلق شعره الشريف واقتسموه .

وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يستشفون بفضالة ماادخروه من ملابسه ﷺ وان كل ذلك توجه الى الله تعالى بآثاره الشريفة . وعن اسماء بنت سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه انها اخرجت لهم جبة لرسول الله ﷺ وقالت هذه كانت عند ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها رواه البخاري ومسلم وروى البخاري عن عروة الثقفي انه قال في نصيحته لقريش حين كان سفيراً بينهم وبين رسول الله ﷺ في صلح الحديبية يافوبي والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي فما رأيت احداً يعظم احداً مثل مايعظم اصحاب محمد محمداً انه لايتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم ودلكوا بها وجوههم ولا توضأ وضوء الا اقتتلوا على وضوئه يتبركون به .وفي صحيح مسلم وشمائل الترمذي انه ﷺ كان اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتونه بآناء الا غمس يده الشريفة فيه وربما كان في غداة باردة فيغمس يده الشريفة في الماء ولا يردهم خائبين وهذا باب واسع جداً ومرجعه طلب البركة برسول الله ﷺ وبآثار رسول الله ولم ينكره عليهم رسول الله ولا انكره عليهم اصحاب رسول الله ولا احد من ائمة المذاهب الاربعة ولا احد من عموم علماء المسلمين الا المبتدعين .

عن جابر رضي الله عنه قال جاء رسول الله ﷺ يعودني وانا مريض فتوضأ وصب ماء وضوئه علي رواه البخاري ومسلم . وكان ﷺ اذا حلق شعره الشريف اعطاه الى ابي طلحة رضي الله عنه وقال له قسمه بين الناس للتبرك به ، رواه البخاري ومسلم والامام احمد .

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يضع يده على مقعد رسول ﷺ من المنبر ثم يضعها على وجهه وهذا تبرك بما مس ثيابه الشريفة رواه ابن سعد والقاضي عياض في كتاب الشفاء قال شارح هذا الحديث وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء عليهم السلام وبالاولياء رضي الله عنهم وبآثارهم وهذا جائز شرعاً لقوله تعالى (اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأتي بصيراً)

فانه تبرك ابوه بالقميص وكان سبب رد بصره اليه .

فنقول اذا جاز التبرك والتمسح بيدي النبي ﷺ وبعساقه وبشعره وبالماء الذي وضع يده الشريفة فيه ولم يكن ذلك شركا ولا عبادة له ﷺ جاز التبرك بقبره الشريف الذي حوى جسده الشريف لانه تبرك بآثاره . ايها المبتدعون هل تقولون ان الصحابة الكرام رضي الله عنهم اشركوا بفعلهم هذا واقرهم رسول الله على شركهم ام انتم مخطئون .

ومما يدل على جواز التبرك بقبره ﷺ والتمسح به اضطجاعه في قبر فاطمة بنت اسد ورفع الله عنها عذاب القبر ببركة تمسكه في القبر فقبرها صار روضة وبركة ورحمة بسبب نزوله فيه فكيف لايكون قبره الشريف الذي حوى جسده الشريف الى يوم القيامة روضة وبركة ورحمة ويتبرك المسلمون به ويتمسحون به لينالوا من بركته ورحمته .

(التبرك بقبر نبي او ولي)

يجوز التبرك بقبر نبي او ولي والتمسح به قال في كتاب وفاء الوفا في الجزء الثاني منه نقلا عن ابن شيبة عن عبد العزيز بن عمر ان في حديث لما توفيت فاطمة بنت اسد رضي الله عنها ام سيدنا علي كرم الله وجهه نزل رسول الله ﷺ فاضطجع في لحدها وقال (الله الذي يحيي ويميت وهو حي لايموت اغفر لامي فاطمة بنت اسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين قبلي فانك ارحم الراحمين) رواه الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح وابن حبان والحاكم وابو نعيم والديلمي بسند حسن ثم نزع قميصه عن جسده واعرم ان تكفن فيه وقال (ماعفي احد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت اسد) قيل يارسول الله ولا القاسم (اي ولده) قال ولا ابراهيم (اي ولده الرضيع) وكان اصغر من القاسم فقيل يارسول الله رأيناك صنعت شيئين نزعك قميصك وتمسكك في لحدها .

فقال ﷺ اما القميص فاريد ان لاتمسها النار ابداً ان شاء الله تعالى واما تمكي في لحدها فاردت ان يوسع الله عليها قبرها . فهذا صريح في حصول

البركة لقبرها باضطجاعه فيه وتمكه فيه بحيث صار موجباً لرفع ضغطة القبر عنها التي لم يسلم منها ولده الرضيع ولحصول البركة لها بمماسة قميصه ﷺ لجسدها بنجاتها من النار واللبس من حلل الجنة .

وقد ثبت شرعاً حرمة الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم وتعظيمهم عند الله تعالى وعند المسلمين احياءً واموتاً قال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) هذا التعظيم لاماكن ترابية وجبلية في مكة فكيف للانبياء عليهم السلام وللاولياء رضي الله عنهم فيكون تعظيمهم اكثر بكثير من تعظيم الكعبة الشرفة فكيف بالاماكن الترابية والجبلية وهي عرفات ومزدلفة ، ومنى التي هي في احترامنا وتعظيمنا لها دون احترامنا وتعظيمنا للكعبة الشرفة بكثير .

فالكعبة الشرفة افضل واعظم عند الله من عرفات ومزدلفة ومنى وان المسلم افضل من الكعبة بكثير فكيف بالانبياء والاولياء وكيف نعظم عرفات ومزدلفة ومنى ولا نعظم قبور الانبياء والاولياء عليهم السلام ، فالانبياء عليهم السلام والاولياء اذا دفنوا بمكان فان هذا المكان اكتسب شرفاً وبركة ورحمة وفضلا ويستحق التعظيم كما استحق جلد الشاة التعظيم حين صار جلداً للمصحف فلايجوز وطء القبر ولا الجلوس عليه ولا اهانته كما ان جلد المصحف نال البركة والتقبيل بمجاورة المصحف ووجب تعظيمه وتحرم اهانته وتنجيسه ، فمن احترام المصحف احترام جلده .

فكذلك من احترام الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم احترام قبورهم الشرفة باجسادهم الشريفة فان تعظيم قبور الانبياء والاولياء وفضلها على غيرها وبركتها ثابت شرعاً وانها مهبط الرحمات الالهية كتعظيم المقام الذي هو صخرة تشرفت بقدم ابراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة الشرفة وبأثر قدمه الشريف ، ويكفي في بركة القبور ونزول الرحمة عليها انكباب الصحابي الجليل ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه على قبر رسول الله ﷺ حين زاره ووضع وجهه على قبره ﷺ فرآه مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة فقال له ماتصنع قال جئت رسول الله ﷺ زائراً ولم ازر الحجر رواه الامام احمد .

(١) خالد بن زيد ابو ايوب الانصاري توفي سنة ٥٠ هـ. [٦٧٠ م.] في استنبول

وان بلال الحبشي رضي الله عنه مؤذن رسول الله توطن دمشق فرأى في المنام رسول الله ﷺ فقال له ماهذه الجفوة يابلال فركب ناقته وقصد المدينة فلما دخلها أتى قبر رسول الله ﷺ وصار يبكي ومرّغ وجهه على القبر الشريف الى اخر القصة التي رواها الحافظ ابن عساكر والحافظ المقدسي والحافظ ابو الحجاج وغيرهم، وانكباب السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها على قبره الشريف ووضعت وجهها الشريف على القبر الشريف ومرغته بتراب القبر وانشدت :

ماذا على من شم تربة احمد ... ان لا يشم مدى الدهور غواليا(١)
صُبّت عليّ مصائب لو انها ... صُبت على الايام صرن لياليا

فكيف ننكر بعد هذا ان لمس قبره الشريف الذي تبرك القبر وتشرف بملامسة جسده ﷺ ومجاورته له وهذا موجب للبركة والرحمة وخيري الدنيا والآخرة وكيف يجعله المبتدعون شركاً وكفراً ولولا خزلانهم وحرمانهم من بركاته صلى الله عليه وسلم ان عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما اوصيا ان يدفنا عند قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه وذلك قصداً الى التبرك بجواره وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بدفن ابنه ابراهيم عنده ، ويكفي في احترام القبور وشرفها وفضلها على غيرها وبركتها ونزول الرحمات عليها ايضا سيدة الصديق ابي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بأن يدفنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقياس المبتدعين تعظيم قبور الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم بتعظيم الاصنام التي ليس لها عند الله حرمة وتعظيم بل نهانا الله تعالى عن تعظيمها قياس فاسد وجهل فاضح وقالوا تعظيم القبور شرك كتعظيم الاصنام ، فان تعظيم قبره صلى الله عليه وسلم والتبرك به اجمع المسلمون في مشارق الارض ومغاربها في جميع الاعصار والامصار من زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم للآن على جوازه ولم يخالفهم احد من علماء المسلمين الا المبتدعون .

(١) غواليا : نوع من المطر ذكر ذلك الخطيب بن جملة

(التمسح بقبر نبي او ولي)

[١] قال علامة زمانه ابن عقيل ابو الوفاء عالم الحنابلة في زمانه في مؤلفه التذكرة الموجود بمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٨٧) في الفقه الحنبلي (.. وان اهبيت تمسح بالمنبر والحنانة) وهي الجذع الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم ، وان ابن عقيل هذا عالم جليل له كتاب الفنون يقال انه ثمانمائة مجلد ويقول الذهبي عنه انه لم يصنف في الدنيا اكبر منه

وفي كتاب الحكايات المنثورة للحافظ ضياء الدين المقدسي الحنبلي الموجود في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٩٨) انه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي يقول انه خرج في عضده شيء يشبه الدمل فاعيته مداواته ثم مسح به قبر الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فبرىء ولم يعد اليه وهذا الكتاب بخط الحافظ المذكور ومن خطه نقلت هذه العبارة ، فأي حنبلي يستطيع ان يقول انهم اشركوا وانهم يعبدون القبور والضرائح .

وسئل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه عن تقبيل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبيل قبره الشريف فلم ير بأساً كما يسن تقبيل المصحف الشريف والتبرك بجلده الذي هو ليس من المصحف الشريف بل قال الاحترام والتعظيم حين جاور المصحف كما مر دليل الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فيما رواه ابن سعد والقاضي عياض عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده على مقعد رسول الله ﷺ من المنبر ثم يضعها على وجهه وهذا تبرك بما مس ثيابه الشريفة .

وفي تاريخ مكة لقطب الدين الحنفي صحيفة (٢٤) بهامش خلاصة الكلام المسمى باعلام بيت الله الحرام . ان ابراهيم عليه السلام لما جاء الى مكة لزيارة ابنه اسماعيل عليه السلام وامه جاءته زوجة اسماعيل بحجر هو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر فغسلت زوجة اسماعيل شقيه الايمن والايسر والقاءت الماء على رأسه وبدنه وانصرف ابراهيم عليه السلام .

(١) ابو الوفاء ابن عقيل توفي سنة ٥١٣ هـ. [١١١٩ م.] في بغداد

فلما جاء اسماعيل عليه السلام وجد زائحة ابيه فسأل زوجته فاخبرته بمجيئه وقالت هذا موضع قدميه فقبل موضع قدميه من الحجر وحفظ الحجر يتبرك به الى ان بنى عليه فيما بعد ابراهيم عليه السلام الكعبة .

(واذا سألت فاسأل الله)

قال المبتدعون لايجوز سؤال التوسل والاستغاثه والشفاعة من غير الله تعالى لقوله ﷺ (واذا سألت فاسأل الله) فنقول للمبتدعين ليس معنى الحديث كما قلتم بل معناه اذا اردت سؤال شيء من اموال الناس فلاتسألهم اياه بل فاسأل الله ان يعطيك اياه ولا تسأل غيره تعالى لقوله ﷺ (من لم يسأل الله يغضب عليه فليسأل احدكم ربه حاجته حتى يسأله اذا انقطع)

ولقوله ﷺ (ان الله يحب الملحين في الدعاء) اي يسألونه الامور الدنيوية فقط ولقوله ﷺ (من سأل الناس تكثراً فانما يسأل حجر جهنم) فاحتجاج المبتدعين على منع التوسل والاستغاثة برسول الله ﷺ اخذوه من قوله ﷺ (واذا سألت فاسأل الله) وجعلوه دليلا لهم فهذا منهم تلبيس على المسلمين ومغالطة ومخادعة لهم وخطأ كبير .

فلو صح قولهم بانه لايسأل احد احداً غير الله تعالى لما جاز ان يسأل جاهل عالماً ولا مريض طبيباً ولا غريق منقذاً ينقذه من الغرق ولا يطلب احد حاجة من انسان وهذا من المبتدعين كلام باطل لم يقله جاهل لأن سؤال غير الله ورد في كثير من آيات القرآن وفي الاحاديث الصحيحة . قال تعالى (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) .

وقال تعالى (وسئل القرية التي كنا فيها) وقال تعالى (فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) وقال تعالى (فسئل به خبيراً) الى آخر الآيات القرآنية الكثيرة وقال ﷺ (سلوا اهل الشرف ، اي اهل التقى ، عن العلم فان كان عندهم علم فاكتبوه فانهم لايكذبون) .

وقد سأل كثير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم رسول الله ﷺ كما جاء ذلك بالاحاديث الصحيحة ، سأله احدهم ان يرد له عينه . وسأله احدهم

ان يذهب العمى من عينيه ويبصر بهما ، وسأله احدهم شفاءه ، وسأل احدهم ان يشفع له ، وسأله احدهم ان يكون رفيقه في الجنة ، وسألوه ان يزيل عنهم القحط والجدب ، وسألوه نزول المطر ، وسألوه انشقاق القمر وسألوه وسألوه وهو كثير جداً في كتب الاحاديث الصحيحة .

فهذا من المبتدعين تلبيس ومخادعة ومخالطة وجهل في حمل الحديث الشريف على غير ما اراده رسول الله ﷺ فان رسول الله اراد بهذا الحديث الشريف منع الناس من سؤال الناس اموالهم لا السؤال في امور الآخرة والعبادات لأن الله تعالى امرنا ان نسأل غير الله في العبادات حتى نتعلم العلم من اهل العلم كما مر ذلك .

فانظروا يا مسلمون الى تحريف المبتدعين الكلم عن مواضعه والى مغالطاتهم ومخادعاتهم كيف يحتالون على المسلمين بدخول البدع عليهم وقد رأيتم بطلان اقوالهم وبدعهم بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

(الاصل الاباحة فيما لا نص فيه)

نقول للمبتدعين (تعلموا قبل ان تتكلموا) قال علماء الاصول المشرعون ان الاصل الاباحة فيما لا نص فيه ، وايضا ان جواز الاشياء لا يتوقف على ورود الامر بها بل على عدم النهي عنها كما هو مقرر في علم الاصول فكل ما لم يرد فيه نص بالحظر فهو مباح .

وايضاً علمنا رسول ﷺ في سنته الصحيحة ان ما امرنا به فعلناه ولم نتركه وما نهانا عنه اجتنبناه ولم نفعله وماسكت عنه فهو عفو مباح . وايضا ان الحرام او المكروه لابد فيه من نص شرعي ينص على حرمته او كراهته من آية او حديث فاذا لم يكن فيه نص شرعي فهو مباح كما قرره علماء الاصول

وايضا اذا لم يرد في شيء نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروهاً . وايضاً ان عدم فعل النبي ﷺ لشيء ليس بدليل على حرمته او كراهته لان القاعدة الشرعية التي ذكرها علماء الاصول وهي (عدم الفعل ليس بدليل) وقد

ذكرها في الجزء الاول من كتاب براءة الاشعريين صحيفة (١٨٦) فلو كنتم [١]
يامبتدعون تعلمون ذلك لرتم في طريق علماء اهل السنة والجماعة واتبعتم مصابيح
الهدى ائمة المذاهب الاربعة وتركتم البدع والابتداع .

وايضاً نقول في الرد عليكم وعلى ابطال قولكم تقولون للمسلمين ان رسول
الله ﷺ لم يفعله وتجعلونه دليلا لكم ، فلو كان كل شيء لم يفعله رسول الله بدعة
ومنكراً وضلالة وحراما لكان جميع ما كلنا ومشروبنا وملبوساتنا وسفرنا
ومنامنا وجميع حركاتنا وسكناتنا واعمالنا منكرات وبدعاً وضلالات ومحرمات
لانها لم يفعلها رسول الله ﷺ فمناها على زعمكم الفاسد ان جميع المسلمين في
مشارق الارض ومغاربها عاصون ومذنبون ومرتكبو المحرمات وهذا القول
منكم قول باطل مخالف لقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)
ولقوله ﷺ (من قال هلك الناس فهو اهلكهم) بضم الكاف وفتحها
ولقوله ﷺ (ان امتي لاتجتمع على ضلالة فاذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد
الاعظم) ولقوله ﷺ (ان الله لايجمع هذه الامة على ضلالة ابدا وان يد
الله مع الجماعة) .

فالله تعالى ورسوله المعظم ﷺ قالا ان الامة الاسلامية لا تجتمع على
ضلالة ابداً وانتم خالفتم الله ورسوله وقلتم ان المسلمين كافرون لتوسلهم برسول
الله ﷺ .

(زيغ المبتدعين وبدعهم)

ان هذا الزمان زمن سوء قد كثر فيه المبتدعون وكثرت بدعهم يدعون
الناس اليها ورأوا ان بدعهم لاتروج بين المسلمين الا بالطعن في ائمة المذاهب
الاربعة رضي الله عنهم وفي الاولياء رضي الله عنهم فانهم في سعيهم القبيح
وزيغهم الصريح هدموا منار الاجماع ومالوا الى الشقاق والنزاع والابتداع
وجحدوا فضائل الأئمة الاعلام وكرامات الاولياء العظام الذين طهرت سرائرهم
واضاءت بنور النبوة بصائرهم واقبلوا على الله بخالص النيات وبالاعمال الصالحات
فمن عاداهم فقد عادى الله ومن آذاهم فقد آذى الله وباء بسخط من الله كيف لا

(١) مؤلف كتاب براءة الاشعريين ابو حامد بن مرزوق الدمشقي

وهم احباء الله الناشرون لدين الله المشتغلون بجمع قلوب الناس على الله فهم اهل الله ورجال الله وصفوة خلق الله اجتمعوا على ذكر الله وعلى مدح رسول الله ﷺ ومدح الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومدح اولياء الله رضي الله عنهم مع المراقبة لله والاخلاص لله والتجرد عن غير الله بدفاء نيـــة وحسن طوية يريدون بذلك وجه الله ومدد رسول الله .

فالمعارض لهم هو من اهل الزيغ والعدوان ومن اهل الضلال والطغيان ورفيق الشيطان وعدو الرحمن وقد حاز زينه نور قلبه وهل تهجمه على ائمـة المذاهب العظام وعلى الاولياء الكرام الا من ضلاله وزندقتـه وخبث طويته فنعوذ بالله من شرورهم انهم عرفوا ماعليه العلماء والاولياء رضي الله عنهم من القرب من الله ومن رسول الله ﷺ فعادوهم وطعنوا فيهم ولم يبالوا بمعاداتهم مع علمهم ان معاداتهم تغضب الله تعالى لقوله ﷺ قال الله تعالى (من عادلي وليا فقد آذنته بالحرب) فعلامة السعادة محبة العلماء والاولياء رضي الله عنهم لقوله صلى الله عليه وسلم (كن عالما او متعلما او مستمعا او محبا ولا تكن الخامسة فتهلك) .

فكان المبتدعون الخامسة فلو انهم حسنوا الظن كما امرهم الشرع الشريف بالسلف والخلف من العلماء والاولياء رضي الله عنهم لكان خيرا لهم وعبادة لهم عند ربهم لقوله صلى الله عليه وسلم (حسن الظن من حسن العبادة) فان تحقير العلماء والاولياء رضي الله عنهم من المزالق التي توقع في الكفر والعياذ بالله تعالى وجانا الله من شرور المبتدعين الذين غلبت عليهم شقوتهم وكانوا قوما ضالين .

(سرعة اغاثة المستغيث برسول الله)

من توسل او استغاث برسول الله او بولي من اولياء الله فان الله يغيثه اكراما لحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويستجيب دعاءه ويقضي حاجته والدليل على ذلك شيئان :

(١) صلاح الآباء ينفع الابناء كما ورد ذلك في القرآن قال تعالى (وكان ابوهما صالحا) فكيف بصلاح الانبياء عليهم السلام والاولياء رضي الله عنهم وقربهم من ربهم فانه ينفع المستغيث بهم فمن حب الله لرسول الله او لولي من اولياء الله استجابة دعاء المتوسل برسول الله او بولي من اولياء الله.

(٢) ان رسول الله واولياء الله مقربون عند الله ولهم جاه عظيم ومنزلة عالية عند الله لايخيب من استغاث بهم الى الله لحديث الاعمى الصحيح فانه لما شكا لرسول الله ذهاب بصره وانه في حاجة اليه.

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل (اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في) فلما يقتصر رسول الله على ان يقول له قل (اللهم اني اسألك على ان ترد الى بصري) تعليما منه لأمته ان دعاءهم لله من غير توسل برسول الله غير مقبول عند الله بل قال له رسول الله قل (اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة) بل لم يكتف رسول الله بهذا التوجه الى الله برسول الله حتى علم رسول الله هذا الاعمى ان يتوجه الى رسول الله وحده بالدعاء والنداء والاستغاثة به ويخاطبه ويقول (يامحمد اتوجه بك الى ربي في قضاء حاجتي) مبالغة في كمال الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم وفي ذلك اوضح البيان للأمة الاسلامية بان الاقبال على رسول الله والاستغاثة حين التوجه لله بالدعاء وطلب الحوائج منه تعالى ليس شركا ولاحراما بل هو عبادة وضمان لقبول الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم وموجب للاجابة وابعد من رد طلبه وحرمان اجابته لأن رسول الله قد نال عند الله كمال التعظيم والتفخيم والقبول فمن تعظيم الله لرسول الله امر الله عباده المسلمين بالتحيات وان يسلموا فيها على نبيهم المعظم سلام المشاهد الحاضر معهم فيقولون (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته).

ثم امرهم ان يجمعوا بين ذكر الله وذكر رسول الله في الشهادتين ثم يختموا

صلاتهم في الصلاة الابراهيمية بالصلاة والبركاة عليه وعلى آله ليكون ذلك خاتمة صلاتهم وفاتحة لباب قبولها وقبول دعائهم فالصلاة لاتصح ولا تقبل الا بالصلاة والسلام على رسول الله .

ان رسول الله امر الرجل الاعمى لازالة العمى عن عيونه بأن ينادیه ويقول (يامحمد اني اتوجه بك الى ربي) فكذلك يكون توجه العبد الى ربه بالتوسل والاستغاثة برسول الله او بولي من اولياء الله فى ازالة امراضهم وقضاء حوائجهم حيث جعلهم الله تعالى اطباء الارواح والاجسام .

وقد انقذوا الكثير من العباد من امراضهم وبلائهم وقضوا حوائجهم لان ارواحهم الكبيرة ونفوسهم الطاهرة الزكية افاضت النور الالهي لنفع العباد فمن اراد الانتفاع بهـذا النور فليتوسل برسول الله او بولي من اولياء الله نفعه الله ومن امتنع واستكبر حرمه الله منه قال تعالى (وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون) .

فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله سراجاً منيراً قال تعالى (وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيراً) فكل من استغاث برسول الله شمله هذا النور المحمدي واغاثه الله تعالى . ان هذا البحث في التوسل والاستغاثة استطرادي لمناسبة هذه الرسالة المختصرة فلو اردنا ان نتكلم في التوسل واقسامه ، توسل به صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق ، وتوسل به في حياته ، وتوسل به بعد مماته للأنا منها مجلداً لكن شعارنا الاختصار .

(ابن تيمية[1] وابن القيم وابن كثير)

ان المبتدعين يعظمون نفوسهم فيقولون نحن انصار السنة نحن سلفيون نحن مجددون كما يقولون عن شيخهم ابن تيمية انه شيخ الاسلام يخدعون بذلك الناس ليقولوا فيه مثل قولهم والحال انهم مبتدعون من الفرق الضالة لشذوذهم عن ائمة المذاهب الاربعة وعن جماهير علماء المسلمين ولطعنهم في ذات

(١) احمد ابن تيمية الحراني توفي سنة ٧٢٨ هـ [١٣٢٨ م.] في سجن الشام

الله وفي رسول الله وفي اصحاب رسول الله وفي ائمة المذاهب الاربعة وفي عظماء العلماء والاولياء وكفروهم كما كفروا عموم المسلمين لتوسلهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ان شيخهم ابن تيمية قال عنه علامة زمانه علاء الدين البخاري ان ابن تيمية كافر كما قال علامة زمانه زين الدين الحنبلي انه يعتقد كفر ابن تيمية ويقول ان الامام السبكي رضي الله عنه معذور بتكفير ابن تيمية لانه كفر الامة الاسلامية وشبهها باليهود والنصارى في تفسيره عند قوله تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله)

وقال علماء المذاهب ان ابن تيمية زنديق لانه يزدري بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصاحبيه وان كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم لله تعالى .

وقال علامة زمانه ابن حجر رضي الله عنه ان ابن تيمية عبد خذله الله واضله واعماه واصمه واذله . وقام ضده علماء اهل عصره من علماء المذاهب الاربعة فضللوه وكفره كثير منهم فلو كان ابن تيمية عالماً وللعلم وقاراً لحجزه علمه عن تكفير مسلم واحد فضلا عن تكفير امة اسلامية بأسرها ، ولو كان في قلبه خوف من الله لما اقدم على تكفير مسلم واحد ، ولو كان عنده حياء والحياء من الايمان لمنعه حياؤه عن تكفير المسلمين وفيهم العلماء والفضلاء والاولياء والمفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون والعباد والزهاد .

قال العلماء ان ابن تيمية تبع مذهب الخوارج في تكفير الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وقال الأئمة الحفاظ ان ابن تيمية من الخوارج كذاب اشر افاك لطعنه في الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بانهم حكموا وافتوا بخلاف السنه ، من كتاب براءة الاشعريين جزء الثاني صحيفة (١٨٩) .

وقالوا ان حامد الفقي كامامه مأجور من كتاب براءة الاشعريين جزء الاول صحيفة (٢٨٠) وقدوة هذين وامامهما في التجسيم اليهود الذين اسلموا

29 = 28

ظاهراً من كتاب براءة الاشعريين جزء الاول صحيفة (١٠) الى ان قال انه يطعن في الاسلام وفي عظماء الاسلام ومع ذلك يخدم الاستعمار تحت ستار الاصلاح من كتاب براءة الاشعريين جزء الاول صحيفة (٢٤) .

ومن اراد اطلاعاً اكثر واوسع فليراجع كتاب براءة الاشعريين الجزءين وكتاب التعقيب وكتاب مقالات الكوثري فانه لايشك في كفره ، فمن قال عن ابن تيمية شيخ الاسلام فهو من اتباعه واذا لم يكن من اتباعه فهو جاهل في حاله جهول لاعلم عنده فليتعلم ثم يتكلم ، ان ابن تيمية لكثرة ضلالاته سجن مراراً ومات في السجن وعليه مايستحق من الله .

(ابن القيم وابن كثير)

ان الحكومة جرست ابن القيم وابن كثير وطافوا بهما في دمشق لانهما متعصبان لشيخهما ابن تيمية ومدافعان عن شذوذياته ومشبهان له بخلقه وان ابن القيم مكفر للاشاعرة ومتهم بالجهمية والمعطلة وكثير الطعن في ائمة المذاهب الاربعة من كتاب التعقيب صحيفة (٣) وانه ينتصر لابن تيمية وحبس معه بعد ان اهين وطيف به على جمل وضربوه فلما مات ابن تيمية في السجن اخرجوه من السجن ثم امتحنوه فحبسوه وجرسوه هو وابن كثير مرة ثانية وطيفبهما في دمشق وعلى باب الجوزية .

ثم بعد مدة احضروا ابن القيم الى مجلس القاضي واراذوا ضرب عنقه فقال لهم ان القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وقبول توبتي واعيد للسجن بعد ان عزر وضرب واركبوه حماراً وطافوا به في البلد وفي الصالحية وردوه الى السجن وان نسخة من شيخه ابن تيمية .

[١] اه باختصار وانا المؤلف انصح المسلمين بعدم قراءة تفسير ابن كثير
[٢] وقراءة كتب ابن تيمية وكتب ابن القيم خوفا على دينهم وعقيدتهم لان في كتبهم ضلالات كثيرة لايعلمها الجاهلون بل يعلمها الراسخون في العلم

(١) اسماعيل ابن كثير الشافعي توفي سنة ٧٧٤ هـ. [١٣٧٢ م.] في الشام
(٢) محمد ابن القيم الجوزي الحنبلي توفي سنة ٧٥١ هـ. [١٣٥٠ م.]

(الاحتفال بالمولد النبوي والقيام عند ذكر ولادته ﷺ)

قال المبتدعون ان عمل المولد النبوي والقيام عند ذكر ولادته ﷺ بدع ومنكرات وحرام فعلها ودليلهم انه ﷺ لم يفعله :

الجواب : نقول للمبتدعين اثنا عشر شيئاً تبطل قولكم بانه بدعة منكرة وحرام فعله . (١) ان عدم الفعل ليس بدليل وقد مر هذا البحث في هذه الرسالة في بحث (الاصل الاباحة فيما لانص فيه) (٢) ان الحرام او المكروه لابد فيه من نص شرعي ينص على حرمته او كراهته (٣) اذا كان كل شيء لم يفعله رسول الله ﷺ بدعة منكرة وحرام .

فالنبي ﷺ لم يأكل ما كانا ولم يشرب شرابنا ولم يلبس لباسنا ولم ينم منامنا ولم يعمل اعمالنا فجميع حركاتنا وسكناتنا لم يفعلها رسول الله ﷺ فيكون كل هذا حرام علينا فعله فمعناه على قول المبتدعين جميع المسلمين اجتمعوا على ضلال وارتكبوا المحرمات وهذا قول باطل لم يقله جاهل لانه مخالف للقرآن - قال تعالى (يريد الله بكم اليسر) ومخالف لاحاديث رسول الله الصحيحة قال ﷺ (ان امتي لم تجتمع على ضلالة الخ) حديث صحيح .

وقال ايضا (ان الله لايجمع امتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ الى النار) رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤) تعارف المسلمون جميعهم في مشارق الارض ومغاربهم في جميع الاعصار والامصار واستمر تعارفهم للآن تعارفا عاما على الاحتفال بالمولد النبوي وبالقيام عند ذكر ولادته ﷺ وهذا امر شرعي يستحب العمل به لقوله تعالى (وامر بالعروف) فليصبح هذا العرف العام من مصادر التشريع كتعارفهم على اسم (الولد) يشمل الانثى والذكر (٥) اذا استحسن المسلمون شيئاً فهو عندالله حسن لقوله ﷺ (مارآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن) رواه الامام احمد .

فالمسلمون استحسنوا عمل المولد النبوي واستحسنوا القيام عند ذكر ولادته فهو حسن عند الله تعالى حتى قال الامامان العز بن عبد السلام سلطان [١] العلماء وابن الصلاح وتبعهما العلماء ان القيام عند ذكر ولادته اصبح واجباً [٢] لأن المسلمين تعارفوا عليه وان عدم القيام يدل على الاستخفاف برسول الله

(١) عز الدين بن عبد السلام توفي سنة ٦٦٠ هـ. [١٢٦١ م.]

(٢) عثمان ابن الصلاح الشافعي توفي سنة ٦٤٣ هـ. [١٢٤٥ م.]

والازدراء وعدم التعظيم له ﷺ وهذا كفر (٦) ان المسلمين فعلوا المولد النبوي بعد وفاته ﷺ كما فعلوا جمع القرآن وجمع الاحاديث النبوية فهل يكون جمع القرآن وجمع الاحاديث بدعة وحراما لأنه لم يفعلها رسول الله ﷺ ولولا هذا الجمع لضاع القرآن والاحاديث وضاع الدين معها . (٧) ان المسلمين ذكروا قصة المولد النبوي اقتداء بالقرآن الكريم الذي ذكر لنا قصة مولد موسى وعيسى ويحيى ومريم عليهم السلام وما جرى عند ولادتهم من الآيات والمعجزات وذكر لنا القرآن جميع سيرتهم وفضائلهم بعد تمامهم فهؤلاء سنن الهية ومستحبات ربانية لا بدع شيطانية .

(٨) ان حب المسلمين لنبيهم المعظم ﷺ اوجب عليهم الاحتفال بيوم ولادته ﷺ لان هذا الحب ينفعهم في الدنيا والآخرة عند الله تعالى وعند رسوله المعظم ﷺ .

قال ﷺ (لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال ﷺ (يحشر المؤمن مع من احب) ان جبل احد في المدينة المنورة فرح حين طلع على ظهره رسول الله وابو بكر الصديق وعمر وعثمان واهتز طربا وافتخر على الجبال فقال ﷺ (احد جبل يحبنا ونحبه) فهذا نص صريح وبرهان صحيح ودليل واضح على ان من احب رسول الله ﷺ وفرح بيوم ولادته فان رسول الله يحبه كما احب جبل احد (٩) كما ان الحب ينفع صاحبه كذلك البغض يضر صاحبه ويدخله النار لقوله ﷺ (حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر .)

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه (من عادى لي ولياً فقد اذنته بالحرب) ان الله تعالى اعلن الحرب على من اذى ولياً فكيف بمن اذى نبياً فكيف بمن اذى سيد الانبياء والمرسلين فالويل له من غضب الجبار ودخول النار (١٠) قال ﷺ (من اسدا كم معروفاً فكافئوه) وقال ايضا (ومن صنع اليكم معروفاً فكافئوه) فالنبي ﷺ صنع مع امته معروفاً واسداهم نعما .

فاتم يامبتدعون قابلتم احسانه اليكم بانه انقذكم من الكفر الى الايمان ومن الجهل بالله الى معرفة الله بالاساءة اليه والى ابويه وقابلتم نعمه عليكم ورحمته بكم الى العداوة والبغضاء والطعن فيه فرسول الله ﷺ نور انار الكائنات

نور رحمته التي عمت المخلوقات وانجلت به الظلمات في الحياة وفي الممات .

تسن السيادة لرسول الله ﷺ كما يسن القيام له ﷺ عند ذكر ولادته وقد رجح كثير من العلماء الاعلام المحققين سلوك الادب مع رسول الله ﷺ على امتثال امره اخذاً ودليلا من قوله ﷺ في الحديث الصحيح (مامنعك يا ابا بكر ان تثبت اذ امرتك) فقال سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ حين كان رسول الله مريضا وامر سيدنا ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يصلي بالناس فلما امّ سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالناس فوجد صلى الله عليه وسلم من نفسه نشاطاً للصلاة جماعة فاراد الاقتداء بسيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه فاحس ابو بكر رضي الله عنه باقتداء رسول الله به فتأخر سيدنا ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن مكان الامامة واخلاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا حجة للمبتدعين على منع تسييده صلى الله عليه وسلم حينما سألوه كيف نصلي عليك فقال (قولوا اللهم صل على محمد) فالصلاة عليه شيء وتسييده شيء آخر هما شيئان فسؤالهم كان عن الصلاة فقط لا عن تسييده فلو سألوه عن تسييده لاجابهم بان يسيدوه كما هو صلى الله عليه وسلم سيد نفسه بقوله (انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ..) حديث صحيح فانه سيد نفسه اعلاما لأمته بان يسيدوه لأنه من جملة ما امر بتبليغه ومع هذا فالاحرى بالمبتدعين ان كانوا محبين لسيد المرسلين ان يسلكوا مسلك الادب والاحترام والتعظيم كما فعل سيدنا ابي الصديق رضي الله عنه فقد احسن وبرهن على حبه الصميم لنبيه العظيم صلى الله عليه وسلم .

واما حديث (لاتسودوني في الصلاة فحديث باطل لااصل له (١٢) القيام له صلى الله عليه وسلم مثل السيادة له صلى الله عليه وسلم فقد روى عنه انه امر اصحابه ان لايقوموا له اذا مر بهم ثم مر يوما بشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه فقام له وانشد :

قيامي للعزيز علي* فرض وترك الفرض ماهو مستقيم
عجبت لمن له عقل وفهم يرى هذا الجمال ولا يقوم

28/7/86

بسم الله المحمود أزلاً وأبداً، المشكور أولاً وآخراً وبه نستعين
لقوله صلى الله عليه وسلم (وإذا استعنت فاستعن بالله فهو المستعان)
الحمد لله الذي أمر نبيه بكلب زيادة العلم بقوله تعالى (وقل رب زدني علما)
وأمر عباده بالسؤال بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) صدق
الله العظيم
والصلاة والسلام على أشرف الأنام المنزل عليه القرآن النبي الكريم القايل (كلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة) والقايل ايضا (أربعة قوام الدين، عالم مستعمل
لعلمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا يمر بمعروف، وفقير لا يبيع آخرته
بدنياه)
وبعد فيا إخوة الاسلام الأنصار دين الله تعالى وسنة رسوله الكريم
أحييكم بتحية الاسلام، وأشكركم شكرا لا تعد ولا تحصى على تشركم كتب دين
الأسلام على الناس في كل البلاد ودعوتهم الى صريق الجنة، أدام الله أعماركم مع
العافية والصحة، على هذه النصيحة، وبارك فيكم وفي أعمالكم وأموالكم وأولادكم
وجعلكم مرورثة جنة الفردوس بعد طول أعماركم
واعلموا ايها الأخوان أني محتاج اليكم بفضكم وكرمكم أن ترسلوا الي
(الفقه على المذاهب الاربعة الجزء الاول
(الفقه على المذاهب الاربعة الجزء الثاني
(الفقه على المذاهب الاربعة الجزء الثالث
(مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام
هذه مطلوباتي منكم يا إخوة الاسلام فاعينوني يعنكم الله فهو يعون
العبد ما دام العبد في عون أخيه، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا
هذا وارلكم شكري بيركل بقشيش ما دام روح في جسدي، والسلام على
الذين تعاونوا على البر والتقوى

الراسل مدير مدرسة المذاهب
الاسلامية، الامام الحاج وتر علي
ص.ب ٢٠٨١٧٥١ ابدجان ٥١
ساحل العاج.

MR OUATTARA ALI
01 BP 2087 ABIDJAN 01
CÔTE D'IVOIRE
من الامام الحاج وتر علي المدير
بأبدجان ساحل العاج

35

شواهد الحق

في الاستغاثة بسيد الخلق

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

لخادم السنة وقامع البدعة فقيد الإسلام

الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني

رئيس محكمة الحقوق العليا ببيروت سابقا

رحمه الله ونفع بعلومه آمين

أما بعد ، فيقول الفقير يوسف بن إسماعيل النبهاني غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه : قد حدث في هذا الزمان الذي قل فيه العلم وذل ، وكثر فيه الجهل وجل جماعة حمق من طلبة العلم لعب بهم الشيطان فحملهم على دعوى الاجتهاد المطلق حتى زعموا أنهم كالشافعي ومالك وأحمد والنعمان عليهم الرحمة والرضوان ، مع أن أكثرهم من ضعاف الطلبة الملحقين بالعوام ولا يجوز أن يقال إنهم من علماء الإسلام . وقد نشأ من دعواهم هذه السقيمة وأوصافهم الأخرى الذميمة مضار عليهم وعلى بعض جهلة المسلمين عظيمة ، فكتبت هذه الرسالة القويمة لأنبه الناس على دعاويهم الباطلة ومساويهم العاطلة نصيحة لهم وللمسلمين وخدمة لهذا الدين المبين ، وسميتها [السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة] وها أنا أشرع بذلك فأقول : إن دعوى الاجتهاد في هذا الزمان منهم ومن غيرهم مطلقا مهما كان عالما هي دعوى كاذبة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها . وقد ذكرت في كتابي [حجة الله على العالمين] في الرد على من يدعي الاجتهاد في هذا الزمان . ونقلت عبارات العلماء في ذلك كالإمام الشعراني والإمام

ابن حجر الهيتمي والإمام المناوي وغيرهم بما يقنع كل ذي طبع سليم وفهم مستقيم عنده أدنى إنصاف . وها أنا أنقل بعض ذلك فأقول : اعلم أنه قد انقطع الاجتهاد منذ مئات من السنين باتفاق علماء المذاهب الذين يعول عليهم وهم سادات الأمة وحماة دينها ولم يبق لكل مسلم إلا أن يتبع مذهبا من هذه المذاهب الأربعة لعجزه عن فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما بنفسه فيكون قد اتبع كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مقلدا في فهمهما ذلك الإمام ومن اتبعه من أئمة مذهبه الذين اطلعوا على كلامه جيلا بعد جيل، وطبقوه على أدلة الكتاب والسنة قبيلا بعد قبيل، فما رأوه موافقا لها من أحكام المذهب وأكثره كذلك قبلوه وأثبتوه واعتمدوه ، وما رأوه مخالفا وهو النزر القليل زيفوه وضعفوه جاعلين نصب نظرهم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس بدون محاباة لإمامهم ولمن وافقه على قوله الضعيف ممن جاء بعده من أئمتهم ، فالأمة المحمدية — ولله الحمد — لم تخرج باقتدائها هؤلاء الأئمة عن اتباعها لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم إلا مختل العقل والدين إلا من طريق الولاية كما قاله الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله عنه . قال الإمام المناوي في أول شرحه الكبير على الجامع الصغير من عبارة طويلة : قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي : لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحدة وكتبوا له سؤالا فيه مسائل أطلق الأصحاب فيها وجهين وطلبوا منه إن كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الأوجه وعلى الدليل على قواعد المجتهدين ، فرد السؤال من غير كتابة واعتذر بأن له أشغالا تمنعه من النظر في ذلك . قال الشهاب : فتأمل صعوبة هذه المرتبة أعني اجتهاد الفتوى الذي هو أدنى مراتب الاجتهاد يظهر لك أن مدعيها فضلا عن مدعي الاجتهاد المطلق في حيرة من أمره وفساد في فكره ، وأنه ممن ركب متن عمياء ، وخبط خبط عشواء . قال : ومن تصور مرتبة الاجتهاد المطلق استحيا من الله أن ينسبها لأحد من أهل هذه الأزمنة ، بل قال ابن الصلاح ومن تبعه إنها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة ، ولابن الصلاح نحو الثلاثمائة سنة : أي لأنه من أهل القرن السادس ، فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة ، أي بالنظر إلى عصر ابن حجر وهو من أهل القرن العاشر ، فيكون لها الآن منقطعة نحو ألف سنة إذ نحن في العام السابع عشر من القرن الرابع عشر وهو عام تأليفي لكتاب [حجة الله على العالمين] قال : بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليين أنه لم يوجد بعد عصر

الشافعي مجتهد مستقل . ثم قال الشهاب ابن حجر : وإذا كان بين الأئمة نزاع طويل في أن إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالي وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أولا؟ فما ظنك بغيرهما ، بل قال الأئمة في الروياني صاحب البحر : إنه لم يكن من أصحاب الوجوه . هذا مع قوله : لو ضاعت نصوص الشافعي لأمليتها من صدري ، فإذا لم يتأهل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي ، فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عبارتهم على وجهها أن يدعي ما هو أعلى من ذلك ، وهو الاجتهاد المطلق (سبحانك هذا بهتان عظيم) اهـ .

وفي الأنوار عن الإمام الرافعي الشافعي : القوم كالمجمعين على أنه لا مجتهد اليوم .

وقال عالم الأقطار الشامية ابن أبي الدم بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق : هذه الشرائط يعز وجودها في زماننا في شخص من العلماء ، بل لا يوجد في البسيطة اليوم مجتهد مطلق بل ولا مجتهد في مذهب إمام تعتبر أقواله وجوها مخرجة على مذهب إمامه ، ما ذاك إلا أن الله أعجز الخلائق عن هذا إعلاما لعباده بتصرم الزمان وقرب الساعة ، وأن ذلك من أشراطها .

وقد قال شيخ الأصحاب القفال : الفتوى قسمان أحدهما من جمع شرائط الاجتهاد وهذا لا يوجد . والثاني من ينتحل مذهب واحد من الأئمة كالشافعي وعرف مذهبه وصار حاذقا فيه بحيث لا يشذ عنه شيء من أصوله ، فإذا سئل عن حادثة فإن عرف لصاحبه نصا أجاب عليه وإلا يجتهد فيها على مذهبه ويخرجها على أصوله ، وهذا أعز من الكبريت الأحمر .

فإذا كان هذا قول القفال مع جلالة قدره وكون تلامذته وغلمانه أصحاب وجوه في المذهب ، فكيف بعلماء عصرنا ؟ ومن جملة غلمانه القاضي حسين ، والفوراني ، ووالد إمام الحرمين ، والصيدلاني ، والبوشنجي وغيرهم ، وبموتهم وموت أصحاب أبي حامد انقطع الاجتهاد وتخريج الوجوه من مذهب الشافعي ، وغايتهم نقله وحفظه . فأما في هذا الزمان فقد خلت الدنيا منهم وشغر الزمان عنهم ، إلى هنا كلام ابن أبي الدم. وقد صرح حجة الإسلام الغزالي بخلو عصره من مجتهد حيث قال في الإحياء في تقسيمه للمناظرات مانصه : أما من ليس له رتبة الاجتهاد ، وهو حكم كل أهل العصر فإنما يفتي فيه ناقلا عن مذهب صاحبه ، فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه . وقال في الوسيط : هذه الشروط ؛ يعني شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي قد تعذرت في عصرنا ، انتهت عبارة الشرح الكبير للمناوي باختصار ، ومن أراد الاطلاع على أبسط

من هذا فى هذ االبحث فليراجعها ويراجع حاشية ابن قاسم على جمع الجوامع ، وفتاوى ابن حجر ، وفتاوى الشيخ محمد بن سليمان الكردى ، وغيرها من كتب الأصول والفقه يجد العلماء قد اتفقوا على انقطاع الاجتهاد المذهبى فضلا عن الاجتهاد المطلق . قال العلامة الكردى المذكور بعد أن نقل عن الأئمة انقطاع الاجتهاد منذ عصور طويلة وقول الفخر الرازى والإمامين : الرافعى والنووى : الناس كالمجمعين اليوم على أنه لامجتهد ، حكم من لم يبلغ رتبة الاجتهاد إذا رأى حديثا صحيحا ولم تسمح نفسه بمخالفته أن يفتش عمن أخذ به من المجتهدين فيقلده فيه كما نبه عليه الإمام العمدة المحقق القدوة النووى فى الروضة ، إذ الاستنباط من الكتاب والسنة لايجوز إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد كما نصوا عليه ، انتهت عبارة فتاوى الكردى .

إذا علمت ذلك تعلم أن مايهذى به الآن بعض طلبة العلم من بلوغهم درجة الاجتهاد المطلق ؛ وأنهم تأهلوا لاستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة بأنفسهم ، ولم يبق لهم حاجة إلى تقليد أحد من الأئمة الأربعة حتى تركوا مذاهبهم التى نشئوا عليها ، وصاروا يعترضون بأفهامهم السقيمة على المذاهب ويقولون نحن لانعمل بآراء الرجال وما أشبه ذلك من عبارات المغرورين الجهال . هو من الوساوس الشيطانية والدعاوى النفسانية التى حملهم عليها قلة العقل والدين ورضاهم عن نفوسهم وجهلهم بما انطوت عليه من العيوب ، وقد انعكس عليهم ما أرادوه من هذا الهوس والحماقة والوقاحة ، فلم يحصلوا مطلوبهم من علو المنزلة عند الناس ومقتهم الله وكره فيهم خلقه ، فصاروا عندهم مرذولين يهزءون بهم :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه مالايرى

وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس إلى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن وصحيح البخارى . فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين ، فإياك يا أخى ثم إياك من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى ، والزم مذهبك وقلد أى إمام شئت من الأئمة الأربعة بدون تتبع الرخص والتلفيق فى الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لايقول بها إمام منهم فإن ذلك ممنوع . وممن يدعون الاجتهاد علماء صالحون ، ولكنهم مغفلون يعرفون شيئا من الحديث والعربية وبعض العلوم المتداولة معرفة متوسطة تجوز فى مثل هذا العصر السافل إطلاق لفظ العالم على أحدهم وهم مع ذلك بينهم وبين درجة الاجتهاد فى أحكام الدين كما بين الشرطة والسلاطين إن لم نقل كما بين الملائكة والشياطين ، ولكن لغفلتهم وقلة عقولهم ورضاهم عن نفوسهم وظنهم فيها الكمال ظنا ظاهر الزلل ، واضح

الخطأ والخطل ، سوّل لهم الشيطان أنهم أهل لهذه الدعاوى الكاذبة ، وإنما دخل عليهم هذا اللعين من باب دعوى التقوى والتحرى فى الدين ، وأنه لايجوز لهم لسلامة دينهم تقليد أحد من المجتهدين ، وأن الواجب عليهم أن يأخذوا دينهم من الكتاب والسنة رأسا بدون واسطة أحد . وقد قرءوا فى بعض الكتب ذم الرأى والتحريض على اتباع الكتاب والسنة فاتخذوه حجة لما ثبت فى نفوسهم من ذلك ، وما علموا من غفلتهم أن الرأى المذموم هو الرأى مع وجود النص من القرآن أو الحديث فى تلك المسألة بعينها ، وهذا لايقول به أحد من المجتهدين وتابعيهم . كيف وقد روى عن كل واحد منهم قوله : إذا صح الحديث فهو مذهبى : وهذا إمامنا الشافعى كثيرا مايكرر فى الرسالة والأم كما قرأته بنفسى فيهما قوله رضى الله عنه « وهل لأحد قول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فداه أبى وأمى » فالذى يقول هذا القول ويؤيده بالفعل فى كتبه بالاستدلال بالكتاب والسنة ما أمكن الاستدلال بهما ووجد فيهما دليل على المسألة . هل يقال فى حقه إنه يقول فى دين الله بالرأى ، حاشاه من ذلك ، وهكذا باقى الأئمة رضى الله عنهم حتى الإمام أبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم الذين اشتهروا بأصحاب الرأى يقدمون العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد لمسألة دليل غيره على القياس كما قاله الإمام الشعرانى .

ومن راجع تخريج أحاديث الهداية للإمام الزيلعى يتحقق أن مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه هو أيضا مذهب أهل الحديث كباقى المذاهب ؛ إذ القاعدة عند جميعهم الاستدلال على المسألة من القرآن ، فإن لم يوجد فيه دليل لها فمن الحديث ، فإن لم يوجد فمن الإجماع ، فإن لم يوجد فحينئذ يقيسون المسألة على أقرب المسائل إليها وأشبهها بها مما ثبت دليله بالكتاب أو السنة أو الإجماع ، وهو : أى القياس كما قال الإمام الشافعى رضى الله عنه فى الرسالة أن يكون الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم حرم الشىء منصوصا أو أحله لمعنى ، فإذا وجدنا ما فى مثل ذلك المعنى فيما لم ينص فيه بعينه كتاب الله ولا سنة أحللناه أو حرمناه لأنه فى معنى الحلال أو الحرام ، فاعلم ذلك وقلد من شئت من أئمة المذاهب الأربعة واجعلهم بينك وبين الله تعالى فإنهم كلهم هداة مهتدون ، ولا تدع للشيطان عليك سبيلا فإنه يضلك عن الهدى ويوقعك فى مواقع الردى ويعينك على ذلك معرفتك الحق لأهله وعدم رضاك عن نفسك واعترافك بقصورها ونظرك فى العلماء الأعلام من أئمة الإسلام من عصرك إلى عصر الأئمة المجتهدين وتقليدهم إياهم وعدم خروجهم عن مذاهبهم مع أنهم كانوا من أفراد العالم فى العلم وما ادعى أحد منهم الاجتهاد المطلق ، فكيف تدعيه أنت وأمثالك من القاصرين

المغرورين الذين صاروا سخرية للناس وملعبة للشياطين ، فاترك ماأنت عليه من الهوس والهذيان ، وقلد من شئت من أئمة المذاهب الأربعة كسائر علماء الأمة وعوامها من عصرهم إلى الآن ، فذلك هو سبيل المؤمنين الذى اتباعه ألزم وأولى . وقد قال الله تعالى — ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى —

وعليك إذا كنت أهلا لقراءة الأحاديث النبوية لتعرف أدلة مذهبك وتفعل بأحاديث الترغيب والترهيب وتعرف عظمة دين الإسلام وتفرعاته وعقائده وكمالات الله تعالى وأسماءه وصفاته وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفضائله ومعجزاته وأحوال الدنيا والآخرة والبعث والنشور والجنة والنار وأخبار الملائكة والجن والأمم السالفة وفضل النبيين وكتبهم ، وتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه عليهم ومناقب آله وأصحابه وأشراط الساعة وسائر العلوم والآداب الدنيوية والأخروية ؛ فقد جمعت أحاديثه صلى الله عليه وسلم علم الأولين والآخرين .

إذا علمت ذلك تعلم شدة جهل من يقول : إذا لم نأخذ الأحكام الشرعية من الأحاديث فما فائدتها ؟ فهذه فوائد لاتعد ولا تحصى وهى معظم دين الإسلام .

أما أحاديث الأحكام الواردة فى نحو الصلاة والصيام والحج والزكاة والمعاملات وهي على ماقال بعضهم نحو الخمسمائة حديث ، فإذا رأيت منها حديثا صحيحا لايوافق مذهبك فقلد بالأخذ بذلك الحديث من أخذ به من الأئمة ولا تجد حديثا صحيحا إلا وقد أخذ به إمام منهم ، ولعل إمامك اطلع عليه ولكن عارضه حديث أصح عنده منه أو متأخر صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم عنه نسخه أو غير ذلك مما يعلمه المجتهدون ، وإذا أردت أنت العمل به فحسن ، ولكن يلزمك تقليد الإمام الذى أخذ به لأنه لم يأخذ به إلا وقد انتفى عنده المانع من العمل به مع اطلاعه هو على مالم تطلع عليه أنت من أدلة الأحكام وتأهله لذلك ، وإذا عملت بحكم مذهبك فلاحرج عليك فإنه لابد أن يكون عن دليل قام عند إمامك ، وإن لم تطلع عليه أنت ، فإن الأئمة لم يخرجوا عن الكتاب والسنة قيد شعرة ماوجدوا فيهما دليلا على المسألة ، بل هم أفضل من ذلك وأتقى وأروع ، وإنما هم بمذاهبهم شرحوا الكتاب والسنة ، وبينوا للناس معانيهما وأحكامهما وقربوها لأفهامهم وضبطوها ضبطا ولا إعانة الله لهم عليه لما كان فى وسع البشر الإتيان بمثله ، ولذلك كانت مذاهبهم هى من دلائل نبوة سيد المرسلين وصحة دينه المبين صلى الله عليه وسلم .

واختلاف الأئمة رضى الله عنهم ليس هو فى أصول الدين وعقائد التوحيد التى

يترتب على الاختلاف فيها محظور ، ولم يختلفوا أيضا فى معظم الأحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة والتى تواترت أحاديثها واستفاضت أخبارها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما اختلافهم فى بعض الفروع بحسب ماقام عند كل منهم من قوة الدليل ، فكان اختلافهم هذا رحمة للأمة تقلد أيهم شاءت بدون حرج ولا تضييق كما قال صلى الله عليه وسلم « اختلاف أمتى رحمة » رواه البيهقى وغيره كما فى الجامع الصغير . قال المناوى فى شرحه الكبير : اختلافهم توسعة على الناس بجعل المذاهب كشرائع متعددة بعث النبى بكلها لئلا تضيق بهم الأمور ولم يكلفوا ما لا طاقة لهم به توسعة فى شريعته السمحة السهلة ؛ فاختلاف المذاهب نعمة كبيرة وفضيلة جسيمة خصت بها هذه الأمة وقد وعد بوقوع ذلك فوقع من معجزاته صلى الله عليه وسلم انتهى .

ثم نقلت فى كتابى المذكور كلاما نفيسا فى هذا الشأن عن جماعة من العلماء ولا سيما الإمام الشعرانى ، فقد نقلت عنه فى ذلك جملا جميلة منها قوله رضى الله عنه فى كتاب الميزان الكبرى : سمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول مرارا : عين الشريعة كالبحر فمن أى الجوانب اغترفت منه فهو واحد . وسمعته أيضا يقول : إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التى احتوت عليها الشريعة ، ومعرفتكم بمعانيها وطرقها ، فإذا أحطتم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الأمر الذى أنكرتموه فيها ، فحينئذ لكم الإنكار والخير لكم وأنى لكم بذلك ؟ فقد روى الطبرانى مرفوعا « إن شريعتى جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة ماسلك أحد طريقة منها إلا نجا » وقال رضى الله عنه فى الميزان الخضرية : واعمل بالأحاديث التى صحت عند الأئمة ولو لم يأخذ بها إمامك تحز الخير بكلتا يديك ، ولا تقل إن إمامى لم يأخذ بها فلا أعمل بها لأن الأئمة كلهم أسرى فى يدى الشريعة لايخرجون عنها ، وقد تبرءوا كلهم من القول فى دين الله بالرأى الذى لم يكن مندرجا تحت أصل من أدلة الشريعة .

فيجب عليك يا أخى أن تحمل إمامك فى كل حديث لم يأخذ به أنه لم يظفر به أو ظفر به ولكن لم يصح عنده ، والمذهب الواحد لايحتوى على جميع أحاديث الشريعة أبدا ، وقد قال إمامك : إذا صح الحديث فهو مذهبى ، بل ربما ترك أتباعه من المقلدين أحاديث كثيرة صحت بعده ، وكان الأولى لهم الأخذ بها عملا بوصية إمامهم ، فإن اعتقادنا فى الأئمة أن أحدهم لو عاش وظفر بذلك الحديث الذى صح بعده لأخذ به . ثم قال : واعلم أنه لاينافى ماذكرناه إلزام العلماء للعامة بالتزام مذهب معين وإن

كان لم يرد بذلك شرع بخصوصه لأنهم ما ألزموهم بذلك إلا رحمة بهم من باب ارتكاب أخف المفسدتين ، فلولا إلزامهم العامى بمذهب معين لضل عن طريق الهدى لعجزه عن المشى بغير دليل اه . وقوله اعمل بالأحاديث التى صحت عند الأئمة يؤيد كلام النووى السابق من أن من أراد العمل بالحديث الصحيح يقلد الإمام الذى أخذ به اه ما اخترت نقله من كتابي [حجة الله على العالمين] ومن أراد الزيادة فليراجعه وليراجع شرح المناوى الكبير على الجامع الصغير ، والله ولى التيسير .

إذا تقرر ذلك فاعلم أن الجنون فنون ، وأن من أقبح فنونه جنون هؤلاء الطلبة الحمقى الذين ظهروا فى هذا الزمان السيء وجعلهم الشيطان ملعبة فحملهم على دعوى الاجتهاد وفهم الكتاب والسنة وأخذ الأحكام منهما بدون حاجة إلى تقليد أحد من أئمة الدين ، وصاروا يقولون : هم رجال ونحن رجال ، وبعضهم إلى الآن لا يحسن الاستنجاء فضلا عما هو فوق ذلك من أوصاف العلماء ، وأين هم من الأئمة الذين أجهدوا نفوسهم فى العلوم التى تلزم لفهم الكتاب والسنة ورووا أكثر معانيهما خلفا عن سلف إلى الصحابة الذين شافههم النبى صلى الله عليه وسلم ببعضها ؟ والبعض فهموه بمقتضى أذواقهم وطباعهم السليمة وعربيتهم الصحيحة التى نزل القرآن بها وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم وبحسب قوة استعدادهم وقوة النور الذى قذفه الله فى قلوبهم .

أما نحن الآن فلابد لنا فى تفسير كتاب الله تعالى وفهم كلام نبيه صلى الله عليه وسلم من الاطلاع على ماقالوه رواية عنه صلى الله عليه وسلم أو من عند أنفسهم ، وكذلك من جاء بعدهم من أئمة السلف الذين كانوا لا يتكلمون فى ذلك إلا عن علم صحيح لا بمجرد الظن والتخمين مع قرب عهدهم من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلامة طبائعهم وكثرة تقواهم وشدة تحريهم الصواب وحبهم الحق ورغبتهم فى الازدياد من العلم النافع ، وهو ماروى عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وأفنوا أعمارهم فى ذلك .

وإذا ادعينا أنا مثلهم فيما ذكر وأنا فى مقدرتنا أن نفهم الكتاب والسنة مثل فهمهم ففضلا عن كوننا نكذب ونأثم بذلك نحمل عقلاء الناس على أن يهزءوا بنا ويجعلونا مسخرة على خلاف مانتوهم فى نفوسنا ، فلا يدعى ذلك منا إلا ضعفاء العقول والأفهام الذين هم عوام أو شبه العوام . وإذا لم يكونوا أنعاما حقيقة فهم كالأنعام وقد عرفوا من وفرة العقول وصحيح الأفهام ، وجعلوا مدار دينهم ودنياهم على زخرفة البدع وبهرجة الكلام ، فهؤلاء لا ينقاد العاقل إليهم ولا يعول فى أموره الدنيوية فضلا عن

الدينية عليهم . والداء العضال هو عجب المرء بنفسه ورضاه عنها ، ولو أنصف وعقل وطرد هواه وحكم عقله وتقواه لعرف الحق لأهله ولم يدّع ما ليس له ، وبالله عليك أيها المنصف هل يجوز لأمثالنا إذا ذكر الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد وأمثالهم ، ومن هو أعلى منهم كالتابعين والصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، ومن هو دونهم كأئمة الفقهاء والمفسرين والمحدثين أن يقول : هم رجال ونحن رجال ؟ أف لهذه الدعوة الباطلة الكاذبة وأهلها ؛ والله إني حينما أراهم أو أسمع بهم أستقذر من سيرتهم أكثر مما أستقذر من إحدى القاذورات إذا مررت بها ، وقد تمكن من بعضهم الشيطان إلى درجة حصل بها اليأس من إصلاحهم فإن أحدهم مع جهله ونقص دينه وعقله يعتقد في نفسه أنه علم هدى وإمام مقتدى وأن هذه الأمة قد ضلت وأنه يريد أن يهديها ، فإذا رأى أحدا من الطغام الجاهلين ، أو الزنادقة المارقين يسحسن حالته ويوافق ضلالته ، يتحقق في نفسه أنه في هذا الزمان بمنزلة أبي حنيفة النعمان ، ويستولي على بصيرته ظلام الضلال ويتأكد أنه غير مخطئ بقوله : هم رجال ونحن رجال ، وهؤلاء الطلبة السفلة مع كونهم يوجد منهم في أكثر الأمصار إلا أنهم قليلون ممقوتون ثقلاء مستثقلون عند أكثر الناس وهم يعلمون ذلك ويتسترون بشأنهم ، وإذا ذاكرهم عالم ينكرون لديه ماينسب إليهم ويظهرون له أنهم على ماعليه الناس من اتباع المذاهب والاقتداء بأئمة الدين ، ويكتمون ذلك إلا على من يأمنون غائلته ، وما أحسن ما أنشده في هذا المعنى الإمام الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين :

والستر دون الفاحشات ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

وقد أثبت الشيطان في نفوسهم الخاسرة وأذهانهم القاصرة أنهم مع هذه الحالة السيئة على الحق وأن علماء الإسلام المتقدمين منهم والمتأخرين ، بل الأمة بأسرها ممن لم يكن على ماهم عليه من الضلال مبطلون . فانظر إلى هذه الحماقة والجنون المفسد لدينهم ودنياهم واحمد الله تعالى إذ لم يجعلك منهم ، ووالله ثم والله إني لم أجتمع بأحد من هؤلاء الحمقى المجتهدين إلا تبينت فيه قلة العقل والدين وقلة الحياء والأدب وكثرة الغرور والجهل وفساد الذوق والفهم مع الرقاعة والسماجة والجراءة والإصرار على الباطل الصريح . ومنابذة الحق الظاهر الصحيح ، وما أسمجه إذا كان مع ذلك معتقدا في نفسه الصلاح وأنه يتحرى لدينه بالاجتهاد لئلا يضل مع هذه الأمة التي ضلت بزعمه بتقليد الأئمة ، وهذا القليل منهم وأكثرهم فساق متجاهرون بأنواع الفسق لا يستحيون من الله ولا من الناس ، يقولون بألسنتهم : لا نأخذ ديننا إلا من الكتاب والسنة ، وهم لا دين

لهم من حيث الأعمال ، فهم غارقون فى بحار الجهل والفسق والضلال ، قد امتزجت أرواحهم الخبيثة بالباطل ، ولا يرضيهم الحق بحال من الأحوال .

ومن هؤلاء المجانين قسم يمتاز عن غيره بالرقاعة والسماجة وفساد الذوق وقلة العقل والدين ، وهم الذين يلهجون دائما بألسنتهم وأقلامهم بحسن أحوال هذا العصر وأنه عصر العلم والمعرفة والفضل والأدب والتهذيب وكل خير ، فتراهم يقولون قد مضى عصر الجهل والتوحش والآن نحن فى عصر العلم والتمدن وينسبون كل شيء يستحسنونه ويريدون مدحه إلى هذا العصر السعيد بزعمهم ؛ فيقولون : العلوم العصرية ، والأفكار العصرية ، والأخلاق العصرية ، والتمدنات العصرية ؛ وتارة يقولون إن الناس قد تمدنوا وتنوروا وتفتحت عيونهم ، وزالت تلك الهمجية والتوحش ، وما أشبه ذلك من العبارات الباردة الكاذبة التى هى من أعظم الأدلة على أن الناطق بها ، ولا سيما إذا كان من المسلمين من أثقل الثقلاء وأجهل الجهلاء ، ليس له ذوق سليم ، ولا فكر مستقيم ، ولا يفهم الفرق بين الباطل والحق . ووجه ذلك أن الحسن عندنا معاشر المسلمين ما وافق الشرع ، والقبيح ما خالف الشرع ، والعصر الذى يستحسنه الشرع هو الذى تجرى فيه أحكامه ويغلب على الناس فيه الدين وإطاعة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه . ولذلك ورد فى حديث البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرنى » وفى رواية « قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وذلك لأن الدين فى تلك الأعصر الثلاثة كان فى غاية القوة فكانت خير القرون ، وإنما كانت خيريتها على الترتيب لأن قوة الدين فيها كذلك على الترتيب .

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على ضعف الدين فى آخر الزمان ؛ وها نحن نشاهد مصداقها الآن ؛ هذه الصلاة لا يشك أحد بأنها من أعظم أركان الدين ، وتاركها كافر على بعض المذاهب ، ومن أفسق الفساق عند باقيها ؛ ومع ذلك نرى كثيرا من فساق المسلمين ، وأخص منهم هؤلاء المجتهدين المجانين تاركين لها بلا مبالاة ولا خوف ولا حياء ، وإذا أنكر عليهم عالم أو صالح يهزءون به ولا يؤثر فيهم إنكاره شيئا ، وقس عليها غيرها من الفروض الدينية والأمور الشرعية ، وانظر إلى علماء الدين تجدهم غالبا أذل الناس وأقلهم مالا وأسوأهم حالا ، ولذلك حصل الزهد فى طلب العلوم الدينية مع كونها أصل السعادة الأبدية . وزاد الطين بلة أن من يطلب العلم لأسباب تحمله على الطلب مهما كان من شأنها دنيوية أو أخروية ، ربما اجتمع على بعض هؤلاء

المخذولين وتعلم منهم بعض مبادي العلوم أو شاركهم في الدروس على المشايخ فينفثون فيه سم دعاويهم الباطلة فلا يمضي عليه مدة يسيرة إلا وقد وقع في شباكهم وصار منهم إماما مجتهدا يعترض على أئمة الأمة وعلمائها ومحدثيها وفقهائها وصوفيتها وصلحائها ؛ ويصير بحالة سيئة كان بقاؤه على الجهل أحسن منها ، والأمر في ذلك بازدياد ، كما ورد في حديث البخاري عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شرّ منه حتى تلقوا ربكم » وهذا مما لا خفاء فيه ، فإن كل واحد منا إذا نظر لما شاهده في نفسه من أول عمره في شئون الدين يجد الفرق ظاهرا بين المتقدم والمتأخر من أيام عمره . وقد علمت أن الخيرية الواردة فيما يتعلق بالزمان بقوله صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرني » هي خيرية الدين وقوته فيه ؛ وكذلك يكون معنى الشرية الواردة في شأن الزمان في هذا الحديث ، فشرّيته إنما هي في ضعف الدين فيه

أما البحث عن أسباب قوة الدين وضعفه فله شرح يطول لا يحتمله المقام ، ولا يخفى على ذوي الأفهام ، والمسلم العاقل يجتهد في سلامة دينه بقدر استطاعته .

وقصدي مما ذكرته هنا بيان أن هذا العصر ليس كما يزعمه أولئك الجهلة من أنه أحسن العصور ويتبجحون بذلك في عباراتهم ، والحامل لهم على هذا إنما هو المناسبة القوية بينهم وبينه ، فإنهم بفساد طباعهم حصلت المشاكلة بينهم وبينه فأحبوه وصاروا يتبجحون بمدحه ويفتخرون بأنهم من أهل الأفكار العصرية والأخلاق المرضية . أما أصحاب الأذواق السليمة الدينية ؛ فهم لا تعجبهم هذه الأخلاق بالكلية ؛ لأن مبناها على البهرجة وترك الدين وقلة الحياء وعدم المبالاة بالآداب الشرعية واستحسان القبيح من العوائد الإفرنجية وتقبيح الحسن من العوائد الإسلامية ؛ فهذا العصر في الحقيقة هو ثفالة العصور وعصارة الشرور ، وقرارة الفسوق والفجور ؛ وغير ذلك من مساوي الأمور ، ومع ظهور ذلك نرى هؤلاء الطلبة الأشرار الأغمار ، ومن كان على شاكلتهم من الجهال الأشرار قد فسدت طباعهم واستحالت أحوالهم ؛ فهم لا يزالون يلهجون بمدح هذا العصر وعوائده ، ويتبجحون بكثرة فضائله وفوائده ، ولا يكاد يخلو من ذلك مجلس من مجالسهم ؛ ولا مقالة من كتاباتهم ، ومن عجيب أمرهم وغريب شرهم وضرهم أنهم يحاولون أن يجعلوا الأمور الدينية على مقتضى الأحوال العصرية حتى إني سمعت مرارا من بعضهم لزوم تأليف تفسير للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية . وسمعت من رجل

منهم أنه سيفعل ذلك ويؤلف تفسيرا بهذه الصفة التي توافق هذا العصر وهو في نفسه لا يقدر على فهم متن الآجرومية .

وقال لي بعض من يجتمع عليهم ويسمع كلامهم ، وقد ثبت في ذهنه بعض نزعاتهم هذه وظنها حقا : قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعا عظيما ؛ ولكن بقي عليك شيء واحد نقلت له ماهو؟ قال : أن تؤلف تفسيرا للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية فإن هذه التفاسير الموجودة قد ألفوها على مقتضى أذواق أهل العصور السالفة وقد تغير الحال الآن ، واختلفت أذواق الناس ومشاربهم . فيلزم تأليف تفسير يوافقهم فأجبت بأني لست أهلا لذلك ، وبيني وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة لا يمكنني الوصول إليها ، وتآليفي كلها جمع فوائد وأكثرها في شئون النبي صلى الله عليه وسلم من فضائله ومعجزاته ومدائحه ، ونحو ذلك مما لا رأي لي فيه ، وإنما هو نقل صرف وتفسير القرآن قد فرغ منه العلماء ونقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم من أئمة الدين ، ودونوه في تفاسيرهم هذه الموجودة وهي كافية وافية ، وهي كما وافقت أهل العصور السابقة توافق أهل هذا العصر، فإن الأحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن هي صالحة لكل إنسان ، وقد استوت فيها العصور والأزمان ، وليس للقرآن معان خاصة بأهل العصور السابقة ومعان أخرى خاصة بأهل العصور اللاحقة .

وأما الأذواق والمشارب فهي إن كانت موافقة للشرع فمطلوبها يوجد في هذه التفاسير ، وإن كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن أن يفسر القرآن بمعان توافق هذه الأذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة ، ونحن لا يجوز لنا أن نفسر القرآن بعقولنا ونطبقه على الأذواق العصرية كما يقوله السفهاء المخذولون ، ويتجاسرون على دعوى اقتدارهم على تفسير كلام الله تعالى بأفهامهم السقيمة وعقولهم الناقصة ، فإن تفسير القرآن بالرأي ممنوع شرعا . وأنقل هنا بعض ما قالوه في الفرق بين التفسير والتأويل . قال في الإتقان بعد أن ساق أقوالا كثيرة : وقال قوم إن ماوقع مبينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة ، سمي تفسيرا لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه .

والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم اهـ. فانظر إلى قوله العلماء العاملون تعلم أن فسقة العلماء ليسوا أهلا لذلك وإن كانوا ماهرين في آلات العلوم فضلا عن غير الماهرين فإنهم لفسقهم غير مأمونين على مايستنبطونه

من كلام الله تعالى . فربما يستنبطون المعانى التى تناسب سوء أحوالهم وما هم عليه من الفسق محافظة على بقاء ناموسهم فى أعين الناس .

قال الإمام ابن جرير الطبرى فى أوائل تفسيره : من شرط المفسر صحة الاعتقاد أولا ولزوم السنة ، فإن كان معترضا عليه فى دينه فلا يؤتمن على إخباره عن أسرار الله تعالى لأنه لايؤمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويضر الناس بخداعه ، ثم قال : ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصرهم إلى آخر مانقله عنه الإمام الزبيدى فى أواخر الجزء الرابع من شرح الإحياء ، ولا يخفى أن الديانة والأمانة من جملة شروط المفسر فضلا عن اشتراط إمامته فى علوم كثيرة ذكرها هناك ، ولا أظن أنه يوجد الآن أحد من علماء العصر قد استوفاها بحيث يجوز له أن يفسر كتاب الله تعالى برأيه من دون اعتماد على تفاسير الأئمة السابقين ، وكفى العالم فضلا وإمامة فى هذا الزمان أن يحفظ كلام أئمة السلف الصالح ويورده على وجهه بدون أن يتصرف فيه بفهمه القاصر عن أفهامهم بيقين مع قربهم من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم وتوفر الشروط فيهم من كثرة العلم والعمل دون توفرها فيه ؛ وإذا ادعى مساواتهم كانت المصيبة أعظم . وعلى كل حال اتباع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم هو لموافقة الصواب أقوى وأقوم ، ولدين المؤمن أحوط وأسلم . ولو فرضنا أن غيرهم جمع كافة شروط أئمة التفسير وصار فى كل علم عديم النظير فضلا عن هؤلاء الطلبة المخذولين الذين هم من أعظم المصائب على الإسلام والمسلمين

والحاصل أن هذه الفرقة المخدوعة المخذولة من طلبة زماننا فى غاية الغباوة ونقص العقل والدين وقد عظم ضررهم على أنفسهم وعلى من يخالطهم ويصغى إلى كلامهم من المسلمين ، فإنهم مع جمعهم لعقائد شتى من عقائد أهل الزيغ والبدع والوهابية وغيرهم واستحسانهم ضلالاتهم هم أضر منهم بكثير ، وذلك أن الوهابية قوم أهل بدعة ظهروا بها فى بلاد نجد وانتشر مذهبهم إلى ماحواليهم من البلاد ، ثم تقلص ظلهم وقلوا وذلوا وانحصروا فى أرضهم ، وهم مع كونهم حنابلة أنكر عليهم علماء مذهب الإمام أحمد ماهم عليه من الغلو فى الدين وتضليل المسلمين .

أما هذه الفرقة الحديدة فهى مؤلفة من سائر المذاهب بدون علم ولا تقوى ولا قواعد يستندون إليها كسائر الفرق ، وإنما الجامع بينهم فساد الأفكار والاعتراض على الأئمة الأخيار ، وهم يختلطون بالناس ويكتبون آراءهم الفاسدة وضلالاتهم المضرة فى بعض الجرائد ، وينشرونها فى سائر الجهات باسم علماء وكتاب من أهل السنة والجماعة بحسب زعمهم ؛ فالعلماء العارفون الصلحاء متى اطلعوا على كلامهم يستحقرونه فيعرضون عنه ولا يراجعون قراءته لمخالفته لأحكام الدين ومذاهب أئمة المسلمين ،

فهم لاضرر عليهم منه ، لكن العوام ربما استحسنوا شيئا منه بجهلهم فيدخل عليهم الخلل فى دينهم ويلتبس عليهم باطل هؤلاء بالحق الذى سمعوه من علمائهم ، فتشتبه عليهم الأمور وتزيد الشرور فقد علم أنهم أضر بكثير من الوهابية وأمثالهم من الفرق المعلومة عند الناس .

فالحذر الحذر من هذه الفرقة الجديدة المنابذة لمذاهب أئمة الدين ، المخالفة لجمهور المسلمين ، المتسمة فى ذلك غير سبيل المؤمنين ، وكل من يحب الله ورسوله ودينه يحترس من هؤلاء الطلبة المناحيس فإنهم من أعظم جنود إبليس ، جهزهم فى هذا العصر السيء ليحارب بهم عقائد المسلمين . وقد جعلهم أقوى أعوانه على إضلال المهتدين ومن كان منهم قد حصل شيئا من العلوم العقلية والنقلية كان ضرره على الناس أكثر من ضرر من كان أقل منه تحصيلا ، فقد اتخذ تلك العلوم ذرائع للفساد وإضلال العباد ، وما أحسن مانقله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات عن شيخه الخواص قال : سمعت سيدى إبراهيم المتبولى يقول : زيادة العلم فى الرجل السوء كزيادة الماء فى أصول الشجر الحنظل ، فكلما ازداد ريا ازداد مرارة اهـ .

ومن أوصافهم الذميمة التى يتميزون بها عن غيرهم كثرة مجادلتهم ومخاصمتهم وشدة المحاماة عن باطلهم إذا أمنوا من الضر ، لا سيما من كان منهم فى بلاد تجاهر فساقها بقلة الحياء والدين كبلاد مصر .

روى الإمام أحمد وغيره عن أبى أمامة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا هذه الآية — بل هم قوم خصمون — » .

قال الإمام الحفنى فى حاشيته على الجامع الصغير : قوله « أوتوا الجدل » أى الخصومة بالباطل ، فمتى تبع قوم هوى أنفسهم ابتلاهم الله تعالى بالجدل اهـ . ولا أقول إن هؤلاء الجماعة كفار فإنى لم يبلغنى عنهم شىء من المكفرات ، وإنما أقول إن ماهم فيه من الدعاوى الكاذبة ، والأفكار السقيمة الذميمة والآراء المضرة الوخيمة التى لهجوا بها فى شئون الدين مما تقدم بيانه هى من أشد أنواع الضلال ، وأقبح أنواع الفسق ، وأسوأ أنواع البدع ، وأشر أنواع المعاصى ، وأضرها على أنفسهم وعلى الدين والمسلمين ، إذ هم مع كونهم فى الأصل من أهل السنة والجماعة من مذاهب شتى : بعضهم حنفى ، وبعضهم شافعى ، وبعضهم مالكى ، وبعضهم حنبلى تجردوا من جميع هذه المذاهب وصاروا فرقة ملفقة ، دينها وديدنها الاعتراض على أئمة الأمة وعلمائها

وصوفيتها وصلحائها وأوليائها وأصفيائها . وقد جاوزوا بذلك حدهم وفقدوا رشدهم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا ، ويسوقون للأمة هداية ونفعا ، وما علموا أنهم يكتسبون بذلك قبيح الآثام ويكونون سببا فى إضلال الأنام ، فيستهينون بالعلماء وهم هداة والإسلام فيقل أو يزول بهم انتفاعهم وتسوء أخلاقهم وأوضاعهم ولاسيما فى هذا الزمن الكاسد الذى كسد فيه العلم النافع وأهله .

واعلم أن الدين إنما يؤخذ عن العلماء الأمناء والكتب المعتمدة لاعن هذه الجرائد المنتقدة ، وأن دين الإسلام كما أنه أصح الأديان دراية هو أصح الأديان رواية فقد رواه الأئمة المتقون والحفاظ المتقنون والثقات الصادقون والعلماء العاملون وألفوا الكتب المبحث فى أحوال الرواة خاصة حتى لايدخل على هذين الدين المبين شىء ليس منه من الأحكام المكذوبة المختلقة من وضع أهل الفسق والزندقة الذين رموا الأئمة بما روى عنهم ظهريا ، واتخذوا رواياتهم شيئا فريا وتبهوا عليها وحذروا الناس منها ، ودققوا غاية التدقيق فى رواة الزمان الأول الذين كانوا لايدعى العلم منهم غير العلماء فضلا عن دعوى الاجتهاد المطلق من السفهاء وكان المتهم بالكذب والفسق منهم أصدق وأتقى لله بدرجات كثيرة من هؤلاء المجتهدين الكذابين الجهال الفساق المجانين الذين إن لم يكونوا شياطين فهم من إخوان الشياطين ، وإذا كانت أحكام الدين المروية عن أولئك المتهمين الأولين بهذه الحالة من السقوط وعدم الاعتبار عند أئمة الإسلام فكيف ترى أحكام الدين المروية عن هؤلاء المجرمين الآخرين ، لا شك أن هؤلاء الأشرار أولى بعدم الاعتبار إذ هم أشد فسقا بكثير لما هو مشاهد من ترك كثير منهم الصلوات وارتكابهم أنواع المحرمات .

أما الكذب فهو شعارهم ودثارهم ولو لم يكن منه إلا دعواهم الاجتهاد المطلق وهم فى غاية الجهل والحماقة لكفى ذلك دليلا على أنهم أكذب الناس ، فكيف تؤخذ عنهم أحكام دين الإسلام وتحليل الحلال وتحريم الحرام ، وزد على ذلك طعنهم فى الأئمة السابقين والعلماء العاملين والأولياء الصالحين رضى الله عنهم أجمعين . لعمرى إن أخذ الدين عن النساء والأطفال وأجهل الجهال هو بالاعتبار أولى وأحرى من أخذه عن هؤلاء السفهاء الضلال ، على أنهم لايروون حماقاتهم فى الغالب عن إمام معلوم ، ولا يسندون خزعبلاتهم إلى دليل مفهوم ، ويفتخرون بأنهم يستنبطون الأحكام بزعمهم الكاذب من الكتاب والسنة ولا يتبعون إماما من أئمة الأمة ، فدينهم فى الحقيقة تابع لهواهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون

دينكم » رواه الحاكم عن أنس . قال العزيزى فى شرحه : إن هذا العلم : أى الشرعى صادق بالتفسير والحديث والفقه . وقال بعد قوله عليه الصلاة والسلام « فانظروا عمن تأخذون دينكم » أى لا تأخذوه إلا عمن طابت سيرته وسريرته وتحققتم أمانته اه .

وقال الإمام ابن حجر فى شرح الشمائل عند قول الترمذى عن ابن سيرين قال : هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، وجه الاهتمام بهذا الترغيب فى علم السنة لا سيما عند الارتباك فى البلاء والمحن والاحتياط فى أخذه ، فيتحرى له أهل الدين دون غيرهم اه . وقال الإمام المناوى فى آخر شرحه عليها عند قوله « فانظروا عمن تأخذون دينكم » . أخرج الشافعى عن عروة أنه كان يسمع الحديث فيستحسنه ولا يرويه لكونه لا يثق ببعض رواته امتلا يؤخذ عنه ، وهذا مسوق لبيان الاحتياط فى الرواية والتثبت فى النقل واعتبار من يؤخذ عنه والكشف عن حال رجاله واحدا بعد واحد حتى لا يكون فيهم مجروح ولا منكر الحديث ولا مغفل ولا كذاب ولا من يتطرق إليه طعن فى قول أو فعل ، فمن كان فيه خلل فترك الأخذ عنه واجب لمن عقل اه . وقد روى الخطيب وغيره عن الحبر مرفوعا « لا تأخذوا الحديث إلا عمن تجيزون شهادته » . وروى ابن عساكر عن مالك « لا تحمل العلم عن أهل البدع ولا تحمله عمن لم يعرف بالطلب ولا عمن يكذب فى حديث الناس ، وإن كان فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب » اه كلام المناوى .

وقال شيخ مشايخى الإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجورى المصرى فى آخر حاشيته على الشمائل عند قوله : فانظروا عمن تأخذون دينكم : أى تأملوا عمن تروون دينكم فلا تروه إلا عمن تحققتم أهليته بأن يكون من العدول الثقات المتقنين ، وفى رواية الديلمى عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « العلم دين والصلاة دين ، فانظروا عمن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة فإنكم تسألون يوم القيامة » وفى الجامع الصغير « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وهذا العلم المراد به العلم الشرعى الصادق بالتفسير والحديث والفقه ، ولا شك أن هذه الثلاثة هى الدين وما عداها تابع لها اه .

وقد علمت حال دين هؤلاء المبتدعين الفساق وما هم عليه من الضلال المبين ومخالفة سبيل المؤمنين ، فمن شاء أن أن يكون منهم فليأخذ دينه عنهم ، ومن شاء أن يسلم دينه وعقيدته من الشك والارتياب ومخالفة ما عليه المسلمون من أهل المذاهب الأربعة فى سائر الأعصار والأحقاب ، فليجتنبهم كل الاجتناب ويحافظ كل

50 51

المحافظة على اتباع أحكام مذهبه والاقتداء بعلماء أهل السنة والجماعة الهداة المهديين من أهل المذاهب الأربعة سوى من اشتهر منهم ببدعة كابن تيمية ومن وافقه على سقطاته التى خالف بها جمهور علماء الدين وأئمة المسلمين ، وصار بذلك أحدوثة فى العالمين وهو إمام هؤلاء الطلبة المبتدعين فيما خالفوا فيه مذاهب المسلمين من منع الاستغاثة والسفر لزيارة سيد المرسلين وسائر الأنبياء والصالحين صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

ولكون شأن هؤلاء المخذولين المغرورين مبنيا على زخرفة الألفاظ والتظاهر بأن مقصودهم نصرة الدين وهداية الأمة وخدمة الإسلام والمسلمين صارت حالتهم تعجب بعض المغفلين من طلبة العلم ، فلم تمض عليهم مدة سمعوا فيها زخارفهم وتمويهاتهم وطالعوا كتاباتهم حتى صاروا من جملتهم ، ومن شأن هؤلاء الفساق المفتونين أن جعلوا ديدنهم تتبع عثرات العلماء يستخرجونها من كتبهم ويقولون : فلان الفقيه مثلا قال فى كتابه كذا ، ويعترضون عليه ويسوقون الاعتراض على جميع الفقهاء من جميع المذاهب ليس على ذلك الفقيه فقط ويرون عبارة مستهجنة لمحدث مثلا فينقلونها ويعترضون عليها وعلى سائر المحدثين معه ، ويرون عبارة غامضة لصوفى فيشنعون عليه وعلى سائر الصوفية معه ، ويرون فى أحد التفاسير حديثا موضوعا أو قصة إسرائيلية ، فيشنعون على ذلك المفسر وسائر المفسرين ، وهكذا عملهم فى جميع طوائف علماء الدين . ومن العجب أنه يوجد منهم جماعة فى كثير من البلاد الإسلامية كأن الشيطان نفث فى قلوبهم هذه الضلالات والترهات فى آن واحد ، وصارت أخبار بعضهم تتصل ببعض بحيث أنهم ينتصر بعضهم لبعض على البعد كأنهم أهل مذهب واحد ولا مذهب فى الحقيقة ، بل هم مثل البهائم السائمة ، وأكثرهم جهال ضلال تاركون للصلاة والعبادات غارقون بأنواع الفسادات . دينهم كلام فى كلام ، ويقينهم مركب من الشكوك والأوهام ، كل واحد منهم يزعم فى نفسه أنه إمام لا يحتاج إلى تقليد أحد من أئمة الإسلام ، وضالتهم المنشودة وطلبتهم المقصودة مسألة يشوشون بها أفكار عوام المسلمين ويعترضون بها على أئمة الدين ، فإذا وجدوا مسألة من هذا القبيل لعالم قديم زل بها وقد نبه العلماء على خطئه فيها وأنها زلة من زلاته وهفوة من هفواته تراهم ينشرونها ويثنون على ذلك العالم غاية الثناء من الجهة التى ذمه بها العلماء .

ومن ذلك ماوقع للإمام ابن تيمية رحمه الله وعفا عنه من المسائل التى زاغ بها عن الصواب ودخل إلى لومه العلماء بسببها من كل باب ، فترى هؤلاء الطغام حريصين

على نشرها غاية الحرص ، فيجتهدون للحصول على الكتب التى اشتملت عليها من أقاصى البلاد ويطبعونها وينشرونها لإضلال العباد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وقد طبعوا إلى الآن عدة كتب منها . فمنها ماصرح به بشرك المستغيثين بسيد المرسلين وسائر النبيين وعباد الله الصالحين ، ومنها كتاب سماه [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان] جعل فيه من القسم الثانى جماعة من أكابر الأولياء كسيدى محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه ونفعنا ببركاته حتى كفره ، وهو سلطان العارفين وإمام العلماء العاملين . ثم كلما وقع فى يدهم كتاب من هذا القبيل يسارعون إلى طبعه ونشره ومن ذلك كتاب ابن القيم المسمى [إغاثة اللهفان فى مصايد الشيطان] تبع فيه شيخه ابن تيمية على زلاته ، وشنع كل التشنيع على الزائرين والمستغيثين بخير الأنام وغيره من الأنبياء والأولياء الكرام ، ومثله ابن عبد الهادى فى كتابه [الصارم المبكى [1] فى الرد على السبكى] وهو بئس الكتاب ، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، والحمد لله الذى عافانا مما ابتلاهم به من الزيغ فى ذلك عن جادة هواه ، و « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » وها أنا أختم هذه الرسالة بأبيات من قصيدة : طيبة الغراء فى مدح سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم . وسعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد تناسب هذا المقام ويحصل بها حسن الختام ، وهى قولى فى الهمزية مخاطبا له صلى الله عليه وسلم :

فتقبل واعطف وكن لى شفيعا ... يوم تحتاج فضلك الشفعاء
وأجرنى وعترتى من زمانى ... فدواهيه كلها دهياء
عاد فيه الدين المبين كما قل ... ت غريبا وأهله غرباء
فتداركه قبل أن تخطر الـ ... أخطار فاليوم مسه الإعياء
وتكرم بشده فقواه ... نالها بالشدائد استرخاء
صار للشرك فى أذاه اشتراك ... حين ماللنفاق عنه انتفاء
كم أبو جهل استطال على الدي ... ن وكم ذا أزرت به الجهلاء
ولكم فى ثيابه ابن سلول ... شاكه من نفاقه سلاء
ما اغترارى بمن تلون منهم ... والأفاعى أشرها الرقطاء

---

(١) (قوله المبكى) هكذا تكرر من المؤلف تسمية هذا الكتاب بذلك ، والمشهور المنكى ، فلعل المؤلف اطلع على صحة ذلك فليتأمل امر مصححه .

221

تاريخ المذاهب الإسلامية

الجزء الأول

في السياسة والعقائد

تأليف

الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

الوهابية

٣ — ظهرت الوهابية في الصحراء العربية، نتيجة للإفراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم، وطلب القربى من الله بزيارتهم، ونتيجة لكثرة البدع التي ليست من الدين، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية، والأعمال الدنيوية.

فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا، وأحيت مذهب ابن تيمية.

ومنشىء الوهابية هو محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧ ميلادية، وقد درس مؤلفات ابن تيمية فراقت في نظره، وتعمق فيها، وأخرجها من

53

حيز النظر إلى حيز العمل ، وإنهم فى الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية ، ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد . ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية لأنها لم تشتهر فى عهده ويتلخص ذلك فيما يأتى :

١ — لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الإسلام فى القرآن والسنة وكما ذكر ابن تيمية ، بل أرادوا أن تكون العادات أيضاً غير خارجة على نطاق الإسلام فيلتزم المسلمون ماالتزم ، ولذا حرموا الدخان . وشددوا فى التحريم ، حتى إن العامة منهم يعتبرون المدخن كالمشرك . فكانوا يشبهون الخوارج الذين كانوا يكفرون مرتكب الذنب .

٢ — وكانوا فى أول أمرهم يحرمون على أنفسهم القهوة وما يماثلها ، ولكن يظهر أن ذلك تساهلوا فيها فيما بعد .

٣ — أن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة ، بل عمدت إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم يحاربون البدع ، وهى منكر تجب محاربته ، ويجب الأخذ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك لتحقيق قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم » ولقد قاد الفكرة الوهابية فى ميدان الحرب والصراع محمد بن سعود ، جد الأسرة السعودية الحاكمة للأراضى العربية ، وقد كان صهراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب واعتنق مذهبه . وتحمس له . وأخذ يدعو إلى الفكرة بقوة السيف ، وأعلن أنه يفعل ذلك لإقامة السنة وإماتة البدعة . ولعل هذه الدعوة الدينية التى أخذت طابع العنف كانت تحمل معها تمرداً على حكم العثمانيين . ومهما يكن من أمر فقد استمرت الدعوة مؤيدة بقوة السلاح ، فجردت الدولة العثمانية لها القوة ، ولكنها لم تنتصر عليها ، ولم تقو على القضاء على قوتها حتى تصدى والى مصر محمد على لها فانقض على الوهابيين بجيشه القوى ، وهزمهم فى عدة

معارك ، وعندئذ انقبضت القوة المسلحة ، واقتصرت على القبائل العربية ، وكانت الرياض وما حولها مركزاً لهذه الدعوة المستمرة التي كانت تعنف إن وجدت قوة وتنقبض إن وجدت مقاومة عنيفة .

٤ — أنها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً ، حتى لقد أطلق عليها بعض الكتاب الأوربيين وصف « هدامي المعابد » ولعل ذلك الوصف فيه بعض المبالغة ، لأن الأضرحة ليست معابد ، ولكن يظهر أنهم كانوا يهدمون المسجد مع الضريح أخذاً من الخبر الذي استنكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم عمل بني إسرائيل إذا اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد

٥ — ولم يقف عنفهم عند هذا فإنهم جاءوا إلى القبور الظاهرة فهدموها — ولما آل إليهم السلطان في البلاد الحجازية هدموا كل قبور الصحابة وسووها بالأرض، ولم يبق منها الآن إلا إشارات تومىء إلى موضع القبر ، وقد أجازوا زيارتها والاقتصار في الزيارة على تحية صاحب القبر ، يقول الزائر « السلام عليك » .

٦ — أنهم تعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية ولا ما يؤدي إلى وثنية ، وأعلنوا استنكارها . مثل التصوير الفوتوغرافي . ولذا وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي يكتبها علماؤهم وإن كان أمراؤهم لا يلتفتون في هذا إلى أقوالهم ويضربون بها عرض الحائط .

٧ — أنهم توسعوا في معنى البدعة توسعاً غريباً حتى إنهم ليزعمون أن وضع ستائر على الروضة الشريفة أمر بدعي ، ولذلك منعوا تجديد الستائر التي عليها ، حتى صارت أسمالا بالية تقذى بها الأعين ، لولا النور الذي يضفى على من يكون في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، أو يحس أنه في هذا المكان كان منزل الوحي على سيد المرسلين .

وإنا لنجد فوق ذلك منهم من يعد قول المسلم سيدنا محمد بدعة لا تجوز

ويغلون فى ذلك غلواً شديداً ، وفى سبيل دعوتهم يعنفون فى القول ، حتى إن أكثر الناس لينفرون منهم أشد النفور .

٨ — وفى الحق أن الوهابيين قد حققوا آراء ابن تيمية وتحمسوا لها تحمساً شديداً ، وما شرحناه من رأى ابن تيمية عند الكلام على مذهب الذين سموا أنفسهم سلفيين قد أخذوا به ، ولكنهم توسعوا فى معنى البدعة ، فتوهموا أموراً لا صلة لها بالعبادات بدعاً ، مع أن البدع على التحقيق هى الأمور التى يفعلها العباد على أنها من العبادات ، ويتقربون بها إلى الله تعالى ولم يجىء بها أصل دينى ، فوضع ستائر على الروضة الشريفة مثلا لم يقل أحد إن ذلك فيه عبادة بأى نوع من أنواعها ؛ إنما يفعلون ذلك تزييناً لها لتسر الناظرين رؤيتها . كالشأن فى زخارف المسجد النبوى ، فكان غريباً أن يستنكروا تلك الستائر ولا يستنكروا تلك الزخارف ، لأن هذا تفريق بين المتماثلين .

وإنه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون فى آرائهم الصواب الذى لا يقبل الخطأ ، وفى آراء غيرهم الخطأ الذى لا يقبل التصويب ، بل إنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً من الوثنية ، وهم فى هذا يقاربون الخوارج الذين كانوا يكفرون مخالفيهم ويقاتلونهم كما ذكرنا . ولقد كان ذلك لا ضرر منه أيام أن كانوا قابعين فى الصحراء لا يتجاوزونها ولكن وقد اختلطوا بغيرهم لما آل الأمر فى البلاد الحجازية إلى آل سعود فإن الأمر يكون خطيراً ولذلك تصدى لهم الملك الراحل عبد العزيز آل سعود وجعل آراءهم لأنفسهم دون غيرهم ، وسار فى هذا شوطاً بعيداً ، حتى إنه صنع ستائر للروضة بدل تلك الأستار البالية . ولكنه أجل وضع الجديد فى موضع القديم ، حتى يتم تجديد المسجد النبوى . وقد مات قبل ذلك ، والمرجو أن ينفذ خليفته ما كان قد اعتزم .

البهائيـــة

٤ — هذا مذهب كان منشئه من الإثنا عشرية ، وإن ذكرنا لذلك المذهب فى هذا الكتاب لا يصح أن يتخذ دليلا على أنه مذهب إسلامى — ولكن لأنه مذهب نشأ بين المسلمين ومنشئه كان منتمياً لمذهب إسلامى — وجب علينا ذكره مع خروجه عن المبادىء الإسلامية التى أجمع عليها المسلمون ، والتى تعتبر المقومات الحقيقية لهذا الدين الحكيم .

وإن منشىء هذا المذهب قد ولد بإيران حوالى سنة ١٢٥٢ هـ الموافق سنة ١٨٢٠ ميلادية ، وهو ميرزا على محمد الشيرازى ، وقد كان اثنا عشرياً . ولكنه تجاوز حدود ذلك المذهب ، وجمع بينه وبين آراء منحرفة فى المذهب الإسماعيلى وفكرة الحلول التى قالها السبئيون . فجاء من هذا بمزيج واضح البعد عن العقيدة الإسلامية .

إنه من المقرر أن المذهب الإثنا عشرى فيه الإمام المستور ، فإن الإمام الثانى عشر غيب فى سر من رأى ، وهم ينتظرون حضوره ، وإن ميرزا على محمد اعتقد هذا ابتداء كما كان يعتقد كل الإماميين الإثنا عشريين ، وهم أكثر أهل فارس الذى نشأ فيه ذلك الشباب ، وقد أظهر نبوغاً وغيرة على المذاهب جعلت الأنظار تتجه إليه ، وقد كان منصرفا إلى دراسات نفسية وتأملات فلسفية ، فكان تشجيع الناس له سبباً فى أن خرج على الناس بفكرة أنه وحده الناطق بعلم ذلك الإمام المستور ، وأنه الباب إليه إذ أن ذلك الإمام المستور على مقتضى المذهب كغيره من أئمة الإثنا عشرية أوتى بمقتضى الوصاية التى اختص بها ممن سبقه — علماً يتبع ، وهو مصدر الهداية والمعرفة .

بهذا الفرض الذى فرض به أنه أوتى علم الإمام المستور الذى أصبح عند أتباعه حجة فيما يقول لا معقب لقوله ، كشأن الإمام تماماً . فوجد من أتباعه طاعة مطلقة وتلقياً لكل ما يقوله بالقبول .

ولقد غالى من بعد ذلك فأطرح فكرة أنه ينقل علم الإمام ، وادعى أنه المهدى الذى سيظهر بعد ألف سنة من غيبة الإمام الذى غيب سنة ٢٦٠ هـ . وادعى أن الله حل فيه . وأنه هو الذى به يظهر الله لخلقه . وأنه السبيل لظهور موسى وعيسى فى آخر الزمان ، فلم يكتف برجوع عيسى . كما هو الاعتقاد العام بل أضاف إليه موسى وذكر أنه هو السبيل إلى عودتهما .

ولما ادعى لنفسه ما ادعى وجد مصدقين متخذين لما يقول لانجذابهم لشخصه ، ولكن ناوأه كل علماء الدين لا فرق فى ذلك بين إمامى وغير إمامى لأن ما زعمه لنفسه من منزلة مناقض تمام المناقضة للحقائق الإسلامية والعقائد التى جاء بها القرآن . ولم يرعو بمناوأة العلماء ، بل أخذ ينفر الناس منهم ويرميهم بالنفاق والمطامع الدنيوية وتملق ذوى السلطان فوجد مستمعين لكل ما يقول ، وقد اتبعوه من غير أى حجة ولا سلطان من الحق .

٥ — وبعد أن ادعى لنفسه ما ادعى أخذ يعلن أموراً اعتقادية أخرى عملية .

(ا) فمن الأمور الاعتقادية عدم إيمانه باليوم الآخر ، وأن هناك جنة يثاب بها المؤمن ، وناراً يعاقب بها ، وأن ذلك بعد الحساب ، ويعترف أن ما يسمى بلقاء الله واليوم الآخر ليس إلا رموزاً لحياة روحية متجددة .

(ب) ومن الأمور الاعتقادية التى دعا إليها الإيمان بأنه المثل الحقيقى لكل الأنبياء السابقين ، وأنه تتجمع فيه كل الرسالات الإلهية ، وأنه لهذا يلتقى عنده كل أهل الديانات ، ففى البابية ، تلتقى اليهود والنصرانية والإسلام ، ولا فارق بينها .

(حـ) اعتقاده بالحلول ، وحلول الله فيه بالفعل .

(د) عدم اعتباره الرسالة المحمدية آخر الرسالات ، فقد أعلن أن الله قد حل فيه ، وأنه سيحل فى آخرين من بعده ، فلم يحتكر لنفسه حلول الألوهية .

(هـ) وكان يذكر الحروف المجمعة . وما يحسب لكل حرف من أرقام . ويبنى على جميع أرقام الحروف ادعاءات غريبة ، وكان للأرقام تأثير فى نظره ولرقم ١٩ بالذات منزلة خاصة عالية .

وقد ادعى أموراً عملية غيرت وبدلت فى الأحكام الإسلامية والفرائض ، ومن ذلك ما يأتى :

(ا) جعل المرأة فى مرتبة الرجل تماماً فى الميراث وغيره ، وبذلك أنكر بعض الأحكام القرآنية الصريحة التى يعد إنكارها كفراً .

(ب) دعا إلى المساواة المطلقة بين الناس وأن لا فرق بين جنس ودين ولون ، وإن ذلك فى جملته يتفق مع الحقائق الإسلامية .

٦ — وقد أودع هذه الآراء كتاباً كتبه وقد سماه البيان .

وإن هذه الآراء كما رأيت فى جملتها انحراف عن الإسلام ، بل إنكار لحقائقه وإحياء لفكرة الحلول التى ادعاها عبد الله بن سبأ لعلى بن أبى طالب وذلك كفر صريح ، ولذلك تصدت لهم الدولة . فطاردت ميرزا على وأتباعه ، وشردتهم ، وأعدمت صاحب الدعوة سنة ١٨٥ فهو لم يعمر إلا ثلاثين سنة .

ولكنه مات وكان قد اصطفى من مريديه اثنين هم صبح أزل ، والثانى بهاء الله . وقد نفى كلاهما من فارس فاتخذ أولهما قبرص له مقاماً ، واتخذ الثانى أدرنة . وأتباع الأول كانوا عدداً قليلا . وأتباع الثانى كانوا الكثرة فى هذا المذهب ، ونسب المذهب إلى بهاء الله فقيل البهائية وقد ينسب إلى الأصل فيقال البابية ، وهو الاسم الذى اختاره صاحب هذه الدعوة ، وإن أساس الاختلاف بين الرجلين هو أن الأول ، وهو صبح أزل أراد أن تبقى البابية كما تركها صاحبها ، ويقتصر على الدعوة إليها ، أما الثانى فقد أعطى لنفسه ما كان قد أعطاه ميرزا على لنفسه ، بل أكثر ، فقرر حلول الإله فيه . وأنه المظهر الكامل . وأن أستاذه بشر به . وأن وجود ميرزا على كان تمهيداً له . كما كان وجود يحيى تمهيداً لوجود المسيح فى نظر النصارى ،

ويقول جولد سهير فى كتابه العقيدة والشريعة : وفى شخص بهاء عادت الروح الإلهية للظهور لكى تنجز على الوجه الأكمل العمل الذى مهد له الداعية الذى بعث قبله ، فبهاء الله أعظم من الباب لأن الباب هو القائم ، والبهاء هو القيوم أى يظل ويبقى ... وقد فضل بهاء أن يتسمى باسم مظهر ، أو منظر الله الذى يجتلى فى طلعته جمال الذات الإلهية ، والذى يعكس محاسنها كصفحة المرآة ، وهو نفسه جمال الله الذى يشرق ويتألق بين السموات والأرض كما يتألق الحجر الكريم المصقول ، وبهاء الله هو الصورة المنبعثة الصادرة عن الجوهر ، ومعرفة هذا الجوهر لا تتأتى إلا عن طريقه . وقد رأى فيه أتباعه أنه كان فوق البشر ، وأضفوا عليه كثيراً من الصفات الإلهية (١) .

٧ — وإنه مادام أساس الاتباع من هؤلاء المفتونين هو عبادة الأشخاص ، فقد اختارت الكثرة منهم اتباع بهاء هذا ولقد اشتد النزاع بين بهاء وبين صبح أزل وكانا قريبين ، فهذا فى أدرنة وذاك فى قبرص . فنفت الدولة العثمانية بهاء إلى عكا .

وفى عكا أخذ يدون مذهبه فى الشرك ، فعارض القرآن ، وعارض البيان الذى ألفه أستاذه ، وأخذ يكتب الكتب بالعربية وبالفارسية ، وأشهر ما كتب هو الكتاب الأقدس وقد زعم أن كل ما اشتمل عليه الكتاب موحى به ، وأنه قديم بقدم الذات العلية ، وأعلن أن كتبه كلها لا تمثل كل علمه الإلهى ، بل هناك ما احتفظ به لصفوة أصحابه ، لأن غيرهم لا يطيق هذه العلوم الباطنية .

واعتبر ما يدعو إليه ديانة جديدة ليست هى الإسلام ، وهنا يفترق عن أستاذه ، فأستاذه كان يزعم أنه يجدد الإسلام بما انتحل من أفكار ، وأنه

---

(١) العقيدة والشريعة ص ٢٤٤ ترجمة الأساتذة محمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق ، وعلى حسن عبد العزيز .

لم يخرج عنه ، ولكنه أصلح ما اشتمل عليه ، والإسلام فى نظره دين متجدد أما هذا الآخر ، فقد أنصف الإسلام أكثر من صاحبه لأنه أعلن أن ما يدعو إليه ديانة جديدة ليست هى الإسلام ، وبذلك طهر الإسلام من رجس أقواله وقد زعم أن ديانته عالمية ، تجمع الأديان كلها ، والأجناس كلها ؛ وهى تدعو إلى محو الأقليمية والوطنية ، فالأرض للجميع ووطن الجميع .

ولهذا المعنى العالمى فى عقيدته ، ولما اتخذه لنفسه من مظهر إلهى ، أرسل كتبه إلى الحكام فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد ادعى فى هذه الرسائل حلول الإله فيه ، وكان ما يكتبه يسميه سوراً ، كما تسمى أجزاء القرآن سوراً وادعى أنه يعلم الغيب وقد كان يعلن غيبيات تقع فى المستقبل ، ويصادف أن كان يصح بعضها فقال إن حكومة نابليون الثالث ستسقط ، فسقطت بعد أربع سنوات ، فكان هذا داعياً لأن يصدقه الكثيرون بسبب مبالغة أتباعه مع أنه لم يعين زمن السقوط ، ولعل ذلك فراسة منه ما دام لم يعين ، وهل صدق فى كل نبوءة قالها ؟ لم يدع أحد ذلك ، حتى أشد أتباعه حماسة له .

وقد حث أتباعه على تعلم اللغات الأجنبية لتعم دعوته .

٨ — وأهم ما دعا إليه « البهاء » .

(ا) نبذ كل القيود الإسلامية . فأصبح بمقتضى هذا مذهبه غير مرتبط بالإسلام بأى نوع من أنواع الارتباط ، وبهذا يفترق عن أستاذه ميرازا على كما أشرنا ، إذا اعتبر الشريعة قد انقضى عهدها .

(ب) أنه جعل المساواة بين البشر مهما اختلفت الألوان والأديان والأجناس لب تعاليمه ، فكانت تلك المساواة هى القطب الذى تدور عليه دعايته . وكان ذلك بلا ريب يجتذب الأنظار إليه فى عالم فرقته العنصرية والطبقات والتعصب الدينى .

(ج) عالج نظام الأسرة ، وخالف المقررات الإسلامية فيها ، فمنع تعدد

الزوجات إلا فى صور استثنائية ، وفى هذه الصور الاستثنائية لا يبيح الجمع إلا بين اثنتين ، ومنع الطلاق إلا فى حال الضرورة التى لا يمكن أحد الزوجين فيها أن يعاشر الآخر . ولم يعتبر المطلقة ذات عدة تنتظر فيها فلا تتزوج بعد الطلاق . حتى تنتهى بل لها أن تتزوج .

(د) نسخت صلاة الجماعة نسخاً مطلقاً إلا فى صلاة الجنائز ؛ فالصلاة لا تكون إلا فرادى .

(هـ) ليست الكعبة هى القبلة التى ارتضاها لأصحابه ، بل القبلة هى المكان الذى يقيم فيه البهاء ، لأنه ما دام الإله يحل فيه ، فالقبلة حيث يحل الإله ، فإذا غير مكانه غير البهائيون قبلتهم تبعاً له .

(و) أبقوا على الطهارة المعنوية والجثمانية التى أتى بها الإسلام ، فأبقوا الوضوء للصلاة والغسل من الجنابة .

(ز) ألغى كل ما جاء فى الإسلام من أحكام الحلال والحرام فى البيوع والأطعمة وغيرها ، وأحل العقل فى الحكم محل الشرع الإسلامى .

ولو أدرك الحق لوجد أن كل ما أحله الإسلام يحله العقل ، وكل ما حرمه الإسلام يحرمه العقل ، ولفهم كلام الأعرابى الذى قيل له لم آمنت بمحمد فقال : ما رأيت محمداً يقول فى أمر افعل ، والعقل يقول لا تفعل ، وما رأيت محمداً يقول فى أمر لا تفعل والعقل يقول افعل ، ولكنه يريد الهدم ، والهدام سلاحه المعول فقط ، والمعول يهدم كل شىء .

(ح) ومع أن « بهاء الله » هو وأستاذه من قبل ينادیان بالمساواة المطلقة بين البشر ، لا يقر هو الديمقراطية ، فلا يبيح خلع الملك ، ولعله رأى ذلك لأنه لا يتفق مع مذهبه ، إذ أن مذهبه يقوم على حلول الإله فى الأشخاص ، إذ قد حل فيه ، فلابد أن يفرض مع هذا أن يكون للأشخاص سلطة قدسية ، وإن لم يحل فيهم الإله ، فكان متسقاً مع منطقه أن يفرض أن سلطان الملوك مقدس لا يمس أو يكاد يكون مقدساً .

62

وفى الوقت الذى يفرض فى المالوك ذلك السلطان الذى يكاد يكون مقدساً ينكر أن يكون لعلماء الدين أى سلطة على النفوس ، وإذا كان أستاذه قد حارب علماء الدين الذين ناوءوه وأبطلوا قوله ، فقد حارب هو الكهنوتية كلها عن غير تخصيص بالإسلام ؛ لأن دعوته تعم ، فحارب كهنوتية اليهودية والنصرانية أيضاً .

٩ — ولقد انتهى عهد — بهاء الله — بموته فى ١٦ مايو سنة ١٨٩٢ ، وقد خلفه فى القيام على مذهبه ابنه عباس أفندى المسمى عبد البهاء أو غصن أعظم ولم يعارض فى خلافته أحد لإخلاصهم لأبيه ، وعباس هذا كان على إلمام كامل بالمدنية الأوربية والثقافة الغربية لذلك حور تعاليم أبيه بما يتقارب مع العقل الغربى ، فأبعد منها فكرة الحلول الإلهى ، ولم يدع خوارق تجرى على يديه كما ادعى أبوه ؛ ولأنه كان يميل كل الميل إلى الثقافة الغربية اتجه إلى الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى يدرسها . فإذا كان المعلم الأول لهذا المذهب قد خطا خطوة فى هدم تعاليم الإسلام باسم تجديده فالذى وليه أتم ما بدأ بأن أنكر كل تعاليم الإسلام ونبذها ، والذى أعقبهما خطا خطوة ثالثة — فلم يكتف بنبذ الإسلام بل اتجه إلى الكتب اليهودية والنصرانية يأخذ منها بدل أن يعتمد على القرآن أو يأخذ منه .

١٠ — وإنه لهذا قد اتسعت الدعاية البهائية بين النصارى واليهود ، والمجوس ، وكثر الاتباع من أنصار هذه الديانات ، وليأس عباس وأبيه قبله من أن يتبعهما كثيرون من المسلمين وجهوا وجهتهم شطر أهل الديانات الأخرى ، ولذلك كثر أتباع هذا المذهب فى النصارى واليهود والمجوس ، حول فارس والبلاد التى تصاقبها وقد أسس بعض هؤلاء بناء لهم فى بلاد التركستان يعقدون فيه اجتماعات ، وكثر أتباع هذا المذهب فى البلاد الأمريكية وأوربا ، ويقول صاحب كتاب العقيدة والشريعة : « لقد وجد نبى عكا أى بهاء الله فى أمريكا وفى أوربا كما يقولون من يقبل على اعتناق ديانته فى حماسة

ولهفة حتى بين المسيحيين وأن ما أقيم لهم من المشروعات الأدبية قد ساعد البهائية على أن ترسخ قواعدها : فلها مجلة « نجم الغرب » التي تصدر فى تسعة عشر عدداً فى السنة ، وقد أنشئت سنة ١٩١٠ (١) وجعلت أعدادها تسعة عشر عدداً ، لأنهم يعتقدون أن عدد ١٩ عدد شديد التأثير . إذ أن الأعداد لها قوة تأثيرية كما بينا فى مذهب « ميرزا على » .

ويقول أيضاً صاحب كتاب العقيدة والشريعة : « قد انتشرت البهائية فى بقاع شاسعة من الولايات المتحدة ، واتخذت مركزها فى شيكاغو » (٢).

وقد أوغلوا فى الدعوة إلى ديانتهم فى المسيحية ، وادعوا أن كتب العهد القديم والجديد بشرت بالبهاء وابنه ويقول فى ذلك جولد سهير ، قد تقدمت البهائية بظهور عباس أفندى خطوة أخرى فى استعانتها بالتوراة والإنجيل فأسفارهما سبق أن بشرت بظهور عباس من قبل ، وهو المقصود بالإمارة والألقاب الفاخرة العجيبة التى وردت فى عدد — ٦ — من الإصحاح التاسع عشر من سفر أشعياء : « لأنه يولد لنا ولد ، ويعطى أبنا ، وتكون الرياسة على كتفه . ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إليها أبديا رئيس السلام (٣) » .

١١ — هذه هى البهائية كما بينت وأعلنت ، ونرجو أن نكون قد صورناها كحقيقتها من غير تزيد عليها . ولا تحريف لها ، فإن من رأينا أن تكتب المذهب كما يتصوره أهله أو المتحمسون له ، وإن الأوربيين قد تحمسوا له لأن فيه هدما للديانة الإسلامية .

وإن هذا المذهب كما رأينا أوهام فى أوهام ، ولكنه راج بين الأمريكان والأوربيين . ونادر من المسلمين من ارتد عن دينه إليه ومع ذلك يدعى

---

(١) العقيدة والشريعة ص ٢٥٠ .
(٢) الكتاب المذكور .
(٣) العقيدة والشريعة .

الأوربيون أن أتباعه فى المسلمون كثيرون ، ولكنهم يتخذون التقية ، أى لا يظهرون بمذهبهم أمام الناس حتى لا يضطهدوا وهى دعوى لا دليل عليها لأنا لا نستطيع الكشف عن الضمائر . ولا هم أوتوا علم السرائر ، ولعلهم فيما قالوه يعبرون عن امانيهم لأن أمانيهم هى حل العقيدة الإسلامية وهدم تعاليم الإسلام بين أهله ، ولكن أنى لهم ذلك وهو دين الحقيقة الخالد إلى يوم القيامة ، وليموتوا بغيظهم .

١٣ — وإنه مما يذكر فى هذا المقام أن القضاء الإدارى المصرى قد قرر أن هذه البهائية ليست ديانة سماوية . بل ليست ديانة مطلقا وإنما هى آراء قصد بها هدم الإسلام ، ونشر الفوضى والإلحاد بين المسلمين . ولذلك قد جاء فى فتوى لمجلس الدولة بشأن توثيق عقود زواج ثلاثة بهائيين ، بعد الاطلاع على المادة الأولى من القانون الخاص بالجمعيات الخيرية ، والمؤسسات الاجتماعية وبعد أن تبين أن تعاليم الطائفة البهائية ، كما هو ظاهر من كتبها وما سبق أن استظهرته محكمة القضاء الإدارى بمجلس الدولة فى حكم سابق من أنها ترمى إلى بث عقائد فاسدة تناقض أصول الدين الإسلامى وعقائده وتنتهى إلى تشكيك المسلمين فى آيات كتبهم ونبيهم بل إنها تخالف الأديان السماوية ومن حيث أن محاولة نشر هذه العقائد الفاسدة وإذاعة كتبها وتعاليمها فى بلد دينه الرسمى الإسلام . وما يترتب على ذلك من تكدير للسلم العام وإثارة الخواطر وإهاجة الشعور : لما يؤدى إليه فعلا من تعرض للأديان القائمة ، وإثارة للمؤمنين به مما يدفع أغراض هذه المؤسسة بعد مشروعيتها ومخالفتها للنظام والأمن العام ، واستناداً إلى ما بينته وزارة الداخلية من أنها لا تعترف بالطوائف المذكورة كطائفة دينية — من كل ما تقدم ترى إدارة الفتوى والتشريع بمجلس الدولة أن ذلك يعد بالعقد المراد بوثيقة عن الصحة . ويدمغه بالباطل لمخالفة أغراض هذه المؤسسة للنظام القائم بمصر .

والأصل فى هذه الفتوى كما يبدو من عبارتها أن محامياً تقدم بطلب توثيق عقود زواج نصوا فيها على أن ديانتهم البهائية . فامتنع الموثق ليعلم هل لهذه الطائفة وجود ، وهل لها نظام للأحوال الشخصية معترف به قانوناً من الدولة ؛ فأجابت وزارة الداخلية بالسلب ، وقامت مصلحة التوثيق ببحث حال هؤلاء ، فانتهت إلى أن البهائية مذهب هدام وخصوصاً للإسلام ، وليست بدين معترف به من الدولة ، وأنها لا تصلح أن تكون ديانة ، ولذا لا تظفر بالحماية ، ولا يمكن مصلحة التوثيق أن توثق إلا إذا كان للبهائية صبغة طائفية تسوغ التوثيق . وقد أشارت مصلحة التوثيق إلى أن توثيق الطوائف التى ليس لها مجالس ملية بالنسبة لعقود الزواج كان أمام المحاكم الشرعية ، ومصلحة التوثيق قائمة مقام المحاكم الملغاة فى ذلك ، وقد تولت اختصاصها الذى مازال قائماً متميزاً .

ولكن بعد أن دمغوا بهذا تقدموا باعتبار أنهم جمعية خيرية روحية وطالبوا بتطبيق قانون المؤسسات ، وقد كانت الفتوى دامغة هذا أيضاً .

١٣ — والحق أن البهائية يشتد نشاطها فى الديار الإسلامية فى عهود الدعوات الانحلالية التى يغذيها أعداء هذا الدين ، فقويت عقب الحرب العالمية الأولى ، وقويت عقب الحرب العالمية الثانية ، وهى الآن ترفع رأسها . ولا بد من قطعه ؛ أو عودته إلى شيكاغو موطن دعايته .

334

سبيل التفقه

في

أصول الفقه

(ملخص من متن المنار)

341

"ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون"

سبيل التفقه

في

أصول الفقه

(ملخص من متن المنار)

مع حواشي مفيدة

تأليف

الشيخ التقي عبد الرحمن بن معصوم الدنكوي

المتوفى ١٩٥٩ م

عني بنسخ هذا الكتاب وطبعه

في المدرسة الإسلامية في مسجد بوزي

لينشيا-- قانسو

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

342

مختصر المنار فى أصول الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على رسوله محمد و آله وصحبه ومن والاه.

اعلم أن أصول الشرع الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

أما الكتاب فالقرآن المنزل على الرسول المكتوب فى المصاحف المنقول عنه متواترا، وهو نظم ومعنى، وأقسامهما أربعة، الأول فى وجوه النظم لغة وصيغة،

مُقَدِّمَة

أصول الفقه علم يعرف به أحوال الأدلة والأحكام الشرعيتين من حيث أنه لها دخلا فى إثبات الثانية بالأولى. وموضوعه الأدلة والأحكام. وفائدته معرفة الأحكام اهـ مرقاة. وفى البزدوى: ان العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، والأصل فيه هو التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة التي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون، وهو الذى كان عليه أدركنا مشائخنا وكان على ذلك سلفنا أعنى أبا حنيفة رح وأبا يوسف رح ومحمد رح وعامة أصحابهم رحمهم الله تعالى. وعلم الشرائع والأحكام وهو علم الفروع وهو الفقه، وهو ثلاثة أقسام: علم المشروع بنفسه، والثاني إتقان المعرفة به ومعرفة النصوص بمعانيها وضبط الأصول بفروعها، والثالث هو العمل به حتى لايصير نفس العلم مقصودا. فإذا تمت هذه الأوجه كان فقيها اهـ.

ـه ولما كان موضوع هذا العلم الأدلة والأحكام جميعا لأن الأول المثبِت والثاني المثبَت بدأ بالأدلة وأتى الأحكام فى الآخر. و لم يقل أصول الفقه لأنه صادق أيضا على أصول الكلام. والمراد بالكتاب بعضه وهو خمس مائة آية اهـ وجه الضبط أن الدليل إما وحي أو غيره، والوحي إما متلو فالكتاب وإلا فالسنة، وغير الوحي إن كان قول الكل فالإجماع وإلا فالقياس، والاستحسان ونحوه ملحق بالقياس اهـ .

عـه أراد بالنظم العبارات وبالمعنى مدلولاتها، فالقرآن اسم للنظم والمعنى معا لا

وهي خاص وعام ومشترك ومؤوّل. والثاني في وجوه البيان به وهي ظاهر ونصّ ومفسّر ومحكم، ويقابلها خفيّ ومشكل ومجمل ومتشابه. والثالث في وجوه استعماله وهي حقيقة ومجاز وصريح وكناية، والرابع في معرفة وجوه الوقوف على المراد، وهي الاستدلال بعبارة النص ودلالته و إشارته واقتضائه. وهنا قسم خامس يشمل الكل وهي معرفة مواضعها ومعانيها وترتيبها و أحكامها.

أما الخاص فما وضع لمعنى معلوم على الانفراد جنسا أو نوعا أو عينا. وحكمه أن يتناول المخصوص قطعا ولا يحتمل البيان، فلا يجوز إلحاق التعديل بأمر الركوع والسجود على سبيل الفرض، وبطل شرط الولاء والترتيب والتسمية والنية في آية الوضوء.

للمعنى فقط، وهو الصحيح من قول إمامنا أبي حنيفة رح لحصول الإعجاز فيهما وتعلقه بالفصاحة والبلاغة. ولذا قال البيانيون: البلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى بالتركيب اهـ فلا يجوز تبديل نظم القرآن بلغة أخرى كخلع ثوب وإبداله بثوب آخر مع كون اللابس واحدا. وهذا يسمى ترجمة حرفية نظمية بخلاف الترجمة المعنوية التفسيرية، وهي عبارة عن بيان معنى الكلام وشرحه بلغة أخرى من غير تقييد بحرفية النظم ومراعاة أسلوب الأصل وترتيبه فافهم. وينبغي أن يكون ذلك مقرونا ببيان حكم التشريع ومقاصده حتى تتجلى للأعجمي محاسن الدين الحنيف وأسرار الشرع المنيف، وبذلك تتم حاجته وتمكن دعوته. وإنما لم تجز ترجمة القرآن العربي باللسان العجمي ترجمة حرفية لأنه لاتتحمل بلاغة القرآن المجيد لغة سوى العرب، فترجمته بلغة أخرى كفارسية او تركية فضلا عن إنكليزية وصينية مقدمة لرفع القرآن المذكور في الأخبار، فتفكروا يا أولى الأبصار. وقد زعم المترجمون أن الترجمة الحرفية ضرورية لتبليغ الدعوة الإسلامية لأنها لو كانت كذلك لنص القرآن والحديث على مطلوبيتها أو أشارا إلى مرغوبيتها، ولفعلها الصحابة رضي الله عنهم حين فتحوا بلاد الروم والفارس، وصرح بها الفقهاء رحمهم الله بالاستنباط والقياس بل ورد المنع منهم بإشارة وتصريح، قال الله تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا". وقال تعالى: "ولو جعلناه قرآنا

ومنه الأمر ويختص بصيغة لازمة، فلا يكون الفعل موجبا وموجَبه الوجوب سواء كان بعد الحظر أو قبله، ولا يقتضى التكرار ولا يحتمله سواء تعلق بشرط أو اختص بوصف، فيقع بناؤه على أقل جنسه ويحتمل كله حتى إذا قال لها طلقي نفسك انه يقع على الواحد إلا أن ينوى الثلاث. وحكمه نوعان: أداء وهو تسليم عين الواجب به، وقضاء وهو تسليم مثله، ويتبادلان مجازا فيجوز الأداء بنية القضاء وبالعكس، ويجبان بسبب واحد عند الجمهور. وأنواع الأداء ثلاثة: كامل كالصلوة

أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أ أعجمي وعربي". وقال النبي عليه السلام: "من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار". وقال فى الفتح عن الكافي: إن اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع اهـ رد المحتار. وذلك لأن الترجمة لاتفيد أهلها ولاتحفظ شكلها بل تبعد الأعاجم عن اعتقاد روعة القرآن وجلاله المهيب حيث يرون معانيه محقرة فى ثوب لغتهم الأعجمية، فمن أراد ترجمته بالحرف فإنما أراد تغيير إعجازه وتبديل مقاصده وتحويل قبلته وهدم عربيته وحلّ الجامعة الإسلامية العربية وتفكيك الوحدة الشاملة الدينية، ولا أدرى من أيّ ناحية يريدون ترجمته، والحال أن أقسام نظم القرآن ومعناه بلغت ثمانين يضرب الأربعة الخامسة فى العشرين السابقة، أَمِنْ ناحية المجاز والكناية؟ أم من ناحية المشترك والمجمل؟ أم من ناحية المشكل والمتشابه؟ فليأتوا بحديث منه إن كانوا صادقين. فالخير الآن كله فى الانصراف عن ترجمته إلى ترجمة أحكامه الشرعية، كما بُيّنت فى الكتب الفقهية مع التعظيم للكتاب والتوقير للسنة. ألاترى أن المترجمين حينما يحاولون ترجمة كتاب من وضع البشر تجد تراجمهم مختلفة فى الألفاظ والأساليب وتحديد غرض المؤلف والإحاطة بمراده حتى انك تكاد تحكم بأنها لم تصدر عن مورد واحد، فكيف فى ترجمة الكتاب الذى أنزله العليم الحكيم لإعجاز الفصحاء والبلغاء، فو الله إنا لنغار على حمى الكتاب العزيز أن يستبيحه كل جهول لايميز بين الفاعل والمفعول ولا يدرى ما فسر به الأثبات الفحول. اللهم إنا نبرأ إليك من جراءة هؤلاء على كتابك ونسألك أن توفقنا لتفسيره الذى ترضى به إنك سميع الدعاء.

بجماعة، وقاصر كالصلوة منفردا، وشبيه بالقضاء كفعل اللاحق بعد فراغ الإمام. وأنواع القضاء ثلاثة أيضا، بمثل معقول كالصوم للصوم، وبمثل غير معقول كالفدية للصوم، وقضاء فى معنى الأداء كقضاء تكبيرات العيدين فى الركوع ووجوب الفدية فى الصلوة للاحتياط كالتصدق بالقيمة عند فوات أيام التضحية. والحسن لازم للمأمور به، وهو إما لعينه حقيقة وهو إما أن لا يقبل السقوط كالتصديق أو يقبله كالصلوة و إما ملحقا به حكما كالزكوة، أو لغيره وهو إما أن لايتأدى بنفس المأمور به كالوضوء أو يتأدى به كالجهاد. ثم الأمر نوعان مطلق عن الوقت كالزكوة وصدقة الفطر فلا يوجب الأداء على الفور، ومقيد به وهو أنواع، الأول

وأما ترجمة الحديث فما اتفق على منع روايته بالمعنى كالمشكل والمشترك والمجمل والمتشابه وجوامع الكلم او المصنفات المسموعة كما نص على ذلك النووي فى صحيح مسلم تمتنع ترجمته، وماعدا ذلك فالأصح جواز روايته بالمعنى لعارف بما لا يحيل المعاني فتصح ترجمته بناء على ذلك اهـ كذا فى فيض الخبير للسيد علوي رح.

ﷺ هذا جواب عن سؤال مقدر وهو أن الفدية فى الصوم ثبتت بنص غير معقول، فكيف أوجبتم الفدية فى الصلوة بلا نص قياسا على الصوم؟ فأجاب بأن وجوب الفدية فيها للاحتياط. بيانه أن ما ثبت من الفدية عن الصوم يحتمل أن يكون معلولا بالعجز وإن لم يعقل، فتجب الفدية فى الصلوة لأنه نظيره فى كون كل واحد منهما عبادة بدنية، وأن لايكون معلولا فتكون الفدية حسنة مندوبة تمحو السيئة، فقلنا بوجوبها احتياطا. ولهذا قال محمد فى الزيادات فى فدية الصلوة تجزيه إن شاء الله تعالى اهـ شرح المنار. وقال الطحطاوى فى حاشيته على مراقي الفلاح: اعلم أنه ورد النص فى الصوم بإسقاطه بالفدية، واتفقت كلمة المشائخ على أن الصلوة كالصوم استحسانا لكونه أهم منه، وإنما الخلاف بينهم فى أن صلاة يوم كصومه أو كل فريضة كصوم يوم وهو المعتمد. إذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول إن إسقاط الصلاة لا أصل له، إذ هذا إبطال للمتفق عليه بين أهل المذهب اهـ فلاتسمع فى مثل هذا قول السفهاء، ولاتغلق عن المرحوم باب هذا الرجاء الذى

أن يكون الوقت ظرفا للمؤدى وشرطا للأداء وسببا للوجوب كوقت الصلوة، ومن حكمه اشتراط نية التعيين ولا يسقط لضيق الوقت ولا يتعين إلا بالأداء كالحانث. والثاني أن يكون الوقت معيارا له وسببا لوجوبه كشهر رمضان، ومن حكمه نفي غيره فيه فيصاب بمطلق الاسم ومع الخطأ في الوصف إلا في المسافر ينوي واجبا آخر عند الإمام رح بخلاف المريض. والثالث أن يكون معيارا له لاسببا كقضاء رمضان والنذر المطلق. ويشترط فيه التعيين والتبييت ولا يحتمل الفوات. والرابع أن يكون مشكلا يشبه المعيار والظرف كالحج، ومن حكمه تعيين أدائه في أشهر الحج متى اتفق. والكفار مخاطبون بالأمر بالإيمان وبالمشروع من العقوبات والمعاملات لا بأداء ما يحتمل السقوط من العبادات.

فتحه الفقهاء، وأيضا لا تنظر إلى تقاصر بعض العوام عن العبادة بالاعتماد على الفدية وإغاثة الورثة بعد الموت، ولا إلى تقاعدهم عن التوبة والوصية خصوصا في حقوق العباد حتى يئسوا بالفوت، قال رسول الله ﷺ: "ماحق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه يبيت ليلتين (وفي رواية ثلاث ليال) إلا ووصيته مكتوبة عنده" رواه الشيخان وغيرهما. فاعلم أن الوصية واجبة على من عليه حق من حقوق الله تعالى أو من حقوق الناس، ومن ليس عليه حق لاتجب عليه بل تستحب. ومحل الوصية بالمال مطلقا الثلث، فيستوفيه في الواجبة إن احتيج إليه وينقص منه في المستحبة، فلنوص أولا بقضاء الديون وردّ الودائع والأمانات والمضمونات وإرضاء الخصوم في الحقوق البدنية والضرب والجرح والاستخدام بغير حق، والقلبية كالشتم والاستهزاء ونحوهما، ثم بالصلاة ولنحسبها ولنعيّن لكل فرض وواجب نصف صاع من برّ أو صاعا من شعير أو قيمة أحدهما، فإن وفّى الثُلُثُ فبها وإلا فلنوص بالدور. ثم اعلم أن الوصية بالدور ليس كالوصية بالإعطاء أول مرة، فإن فيها قضاء الواجب ويجب تنفيذه على الوصي أو الوارث، بخلاف الوصية بالدور فإنها وصية بالتبرع وليس يجب تنفيذه وليس فيها قضاء ما وجب عليه، ولكن إذا لم يف الثُلُثُ فالمأمول من سعة رحمة الله تعالى أن يعذره ويقبل منه . وكذا بالصوم وسجدة التلاوة والنوافل التي أفسدها ولم يقضها،

ومنه النهي وينقسم في صفة القبح كالأمر في صفة الحسن إلى ما قبح لعينه وضعا كالكفر، وشرعا كبيع الحرّ، أو لغيره وصفا كالصوم يوم النحر ومجاورا كالبيع وقت النداء. والنهي عن الأفعال الحسية كالزنا من الأول، وعن الأمور الشرعية كالصلاة محدثا من الثاني.

وأما **العام** فما يتناول أفرادا متفقة الحدود على سبيل الشمول، وحكمه إيجاب الحكم فيما يتناوله قطعا حتى يجوز نسخ الخاص به كحديث العرنيين في طهارة بول الإبل، نسخ بقوله عليه السلام: "استنزهوا عن البول". والعموم إما بالصيغة والمعنى كرجال أو بالمعنى وحده كقوم.

و أما **المشترك** فما يتناول أفرادا مختلفة الحدود على سبيل البدل كالقرء للحيض والطهر، وحكمه التوقف فيه بشرط التأمل ليترجح بعض وجوهه للعمل به ولا عموم له.

وكذا بالزكوة والفطرة التي على نفسه وعلى من تجب عليه فطرته والعشر والنذور والأضاحي. وكذا عن الجناية على الحرم أو الإحرام، وكفارة قتل خطأ وظهار وإفطار وأيمان والنفقة الواجبة والاعتكاف المنذور. ثم من بعد ذلك يدفع عن الحقوق المجهولة أربابها بدنية أو مالية، ثم يكثر من التطوع لتكثر الحسنات التي يرضى بها الخصوم. ثم اعلم أن يجب عند الدور الاحتراز عن عدة أمور: الإسراع بالقبول قبل تمام الإيجاب، وبقاء الصرة بيد الوصي أو الفقير، وإحضار قاصر أو معتوه فإن هبته غير صحيحة، وإحضار غني، واستقراض الصرة من غير مالكها، واستعارة شئ بل بشراء، وتوكيل باستقراض إلا بوجه الرسالة، وهزل الوصي وحيلته عند دفع الصرة للفقير بل يجب ان يدفعها عازما على تمليكها منه حقيقة، وكسر خاطر الفقير بعد ذلك بل يرضيه بما تطيب به نفسه، هذا. وأما الوصايا المستحبة من التبرعات المحضة فغني عن البيان، ولكن ينبغي أن يعلم أن التصدق في حال الصحة أفضل وأكثر ثوابا من التصدق بعد الموت، قال رسول الله ﷺ: "لأن يتصدق المرء في حياته وضحته بدرهم خيرا له من أن يتصدق عند موته بمائة" رواه أبو داود. ولا يوصي بوصايا

٩

وأما **المؤوّل** فما ترجح من المشترك بعض وجوهه بغالب الرأى كحملنا القرء على الحيض، وحكمه العمل به على احتمال الغلط.

وأما **الظاهر** فما ظهر المراد منه بصيغته، وحكمه وجوب العمل بما ظهر منه على سبيل القطع حتى صح إثبات الحدود به.

وأما **النصّ** فما ازداد وضوحا على الظاهر بمعنى من المتكلم، وحكمه وجوب العمل بما وضح على احتمال تأويل كقوله تعالى: "وأحل الله البيع وحرم الربا"، فإنه ظاهرٌ فى تحليل البيع وتحريم الربا، ونصٌّ فى التفرقة بينهما.

وأما **المفسّر** فما ازداد وضوحا على النص من غير احتمال تأويل، وحكمه وجوب العمل به على احتمال النسخ كقوله تعالى: "فسجد الملائكة كلهم أجمعون".

باطلة كدفع شئ إلى من يقرأ عند قبره القرآن العظيم، واتخاذ الطعام والضيافة بعد موته، وتطنين قبره وتجصيصه ونحوه. كذا فى المحيط والخلاصة والاختيار. وإنما أطنبنا الكلام فى هذا وان لم يوافق المقام لغلبة غفلة أهل العلم فضلا عن العوام عن هذه المسائل وغيرها من الأحكام، فإذا شئت الزيادة فطالع جلاء القلوب وشفاء العليل ومنة الجليل وغيرها من كتب الفروع.

عه والتفسير فى اللغة: الإيضاح والتبيين، وفى الاصطلاح علم يبحث فيه عن علوم القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، والتأويل مرادف للتفسير عند البعض، ومنه قوله تعالى "وما يعلم تأويله الا الله"، وقال البعض: التفسير أعم مطلقا. وقال البعض: متباينان. فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا. والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع، أو التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية والتأويل عن طريق الدراية، أو التفسير بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل بيانها بطريق الإشارة وقيل غير ذلك، لكن التفسير على نوعين: أحدهما تفسير لا يجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما يحتويه نظم القرآن من نكات بلاغية وإشارات فنية. والثاني تفسير يجاوز هذه الحدود

وأما **المحكم** فما أحكم المراد به عن احتمال النسخ والتبديل، وحكمه وجوب العمل به من غير احتمال كقوله تعالى: "ان الله بكل شئ عليم".

وأما **الخفيّ** فما خفى المراد بعارض غير الصيغة لا ينال الا بالطلب، وحكمه النظر فيه هل خفاؤه لمزية او نقصان كآية السرقة فى حق الطرّار والنباش.

وأما **المشكل** فهو الداخل فى إشكاله، وحكمه اعتقاد حقية المراد إلى أن يتبين بالطلب والتأمل ككلمة أنّىٰ فى قوله تعالى: "فأتوا حرثكم أنّىٰ شئتم".

ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليمه وحكمة الله فيما شرع للناس فى هذا القران على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله، وهذا هو الخليق باسم التفسير. وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أن التفسير أربعة: حلال وحرام لايعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب بألسنتها، وتفسير تفسره العلماء، وتفسير لايعلمه الا الله اهـ فأما ما لايعذر أحد بجهله فهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم أنه مراد الله تعالى. وأما الذى تعرفه العرب بألسنتها فهو ما يرجع إلى لسانهم من اللغة والإعراب. وأما الذى يعلمه العلماء فهو الذى يغلب عليه إطلاق التأويل وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذى لايجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الدلائل والشواهد دون مجرد الرأي. وأما الذى لايعلمه الا الله تعالى فهو ما يجرى مجرى الغيوب كالساعة والروح والحروف المقطعة وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلامساغ للاجتهاد فى تفسيره إلابالتوقيف بنصّ أو إجماع على تأويله. وقال السيوطى: القرآن إنما نزل بلسان عربي فى زمن أفصح العرب فكانوا يعلمون ظواهره و أحكامه، وأما دقائق باطنه فلا تظهر لهم إلا بعد البحث والنظر وسؤالهم النبي ﷺ اهـ فتبين أن فائدة التفسير هي التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله تعالى فى العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، لكن غالب مسلمة اليوم قد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها وأنغام يلحنونها فى المآتم والمقابر والدور وبمصاحف يتبركون بها فى البيوت، ونسوا بركته

وأما المجمل فما اشتبه المراد به فاحتاج إلى الاستفسار، وحكمه التوقف فيه مع اعتقاد الحقية إلى أن يتبين ببيان المجمل كالصلوة والزكوة.

وأما المتشابه فما انقطع رجاء معرفة المراد منه، وحكمه التوقف فيه أبدا مع اعتقاد الحقية كالمقطّعات فى أوائل السور مثل الٓمٓ وحٰمٓ وكآيات الصفات التي دل القاطع على أن ظواهرها غير مرادة مثل: "الرحمن على العرش استوى"، و"يد الله فوق أيديهم".

العظمى. كذا فى المناهل. أقول كما اكتفى القارئ بمجرد اللحن والنغم، وغير القارئ بمجرد التبرك بالمصحف وما فيه من الرقم، كذلك اكتفى المدرس بمجرد الاشتغال بعبارة المفسر والمناقشة فيها بالأسئلة والأجوبة والإلزام دون نظم القرآن وما فيه من المواعظ والعبر والأحكام، والمتعلم بمجرد ألفاظ التفسير وتراجمه ومبناه بلا التفات إلى عبارة القرآن ومعناه. ولذا تراهم لايميزون بين آية القرآن وبين عبارة الإنسان، ولا يعرفون تجويد القرآن وإعرابه، فكيف يعرفون أقسام القرآن وقواعد تفسيره ورسم كتابه، بل غرضهم منه درسا وتدريسا مجرد الفخر، ومن ثم يقرأ ضعاف الطلبة عدة أجزاء من تفسير البيضاوي ثم يقرؤون بعض تفسير حسين الفارسي فيتفاخرون بكونهم عارفي لغتي العرب والعجم، ولم يذوقوا قط حلاوة القرآن من تفسيره، ولم ينظروا إلى ما فيه من أحكام وحِكَم. فليعلم جميع المسلمين عالمهم ومتعلمهم وعوامهم أن بركة القرآن العظمى إنما هي فى تدبره وتفهمه وفى الجلوس إليه والاستفادة من هديه وآدابه والاستيقان بآياته وقصصه وأمثاله، ثم فى الوقوف عند أوامره ومراضيه والبعد عن مساخطه ونواهيه. والله تعالى يقول: "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب".

عند قوله وأما المتشابه الخ قال السيوطى فى الإتقان اختلف هل المتشابه مما يمكن الإطلاع على علمه أو لايعلمه الا الله على قولين، وعلى الأول طائفة يسيرة منهم مجاهد وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنه فى قوله والراسخون فى العلم، قال أنا ممن يعلم تأويله. وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة فذهبوا إلى الثانى

وأما **الحقيقة** فاسم لما أريد به ما وضع له.

وأما **المجاز** فاسم لما أريد به غيرما وضع له، ومن حكمهما استحالة اجتماعهما مرادين بلفظ واحد، فلا يلحق غير الخمر بالخمر، ولا يراد اللمس باليد في قوله تعالى: "أو لامستم النساء"، لأن الحقيقة في الأول والمجاز في الثاني مراد،

وهو أصح الروايات عن ابن عباس ﷺ. وفيه من المتشابه آيات الصفات، قال في فتح الباري: وقسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب إلى ستة أقوال، قولان لمن يجريها على ظاهرها، أحدهما من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة ويتفرع من قولهم عدة آراء، والثاني من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لاتشبه الذوات فصفاته لاتشبه الصفات فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لايجريها على ظاهرها، أحدهما يقول لانؤول شيئا منها بل نقول الله أعلم بمراده، والآخر يؤول فيقول مثلا معنى الاستواء الاستيلاء واليد القدرة ونحو ذلك، وقولان لمن لايجزم بأنها صفة، أحدهما يقول يجوز ان تكون صفة وظاهرها غير مراد ويجوزان لاتكون صفة، والآخر يقول لايخاض في شئ من هذا بل يجب الإيمان به لأنه من المتشابه به الذى لايدرك معناه اهـ. وفي تحفة الأمالى للقاري رح: اعلم أن الله تعالى منزه عن الحدوث وصفة الأجسام، وكل ما ورد في القرآن والأحاديث مما ينبئ عن الجهة والفوقية والاستقرار والإتيان والنزول فلا نخوض في تأويله بل نؤمن بما هو مدلول تلك الألفاظ على المعنى الذي أراد سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة والجسمية، شرح المشكوة للشارح اهـ. وفي نزهة المجالس: وجميع ما جاء من الآيات والأحاديث التي يقتضى ظاهرها إثبات الجارحة والمكان مؤول عند أهل الحق والتأويل إما بقلوبهم وهم أهل السلامة، وإما بألسنتهم وهم أهل التأويل. وقال الغزالي رح في إلجام العوام: فأقول حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور: التقديس- تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها، ثم التصديق- الإيمان بما قاله ﷺ وان ما ذكره حق على الوجه الذي قاله وأراده، ثم الاعتراف بالعجز- هو أن يقر بأن معرفة

فلا يبقى الآخر مرادا، ومتى أمكن العمل بالحقيقة سقط المجاز، فيكون العقد لما ينعقد دون العزم، والنكاح للوطي دون العقد، وإن كانت الحقيقة متعذرة يرجع إلى المجاز كما إذا حلف لا يأكل من هذه النخلة. وترك الحقيقة بدلالة العادة

مراده ليثبت على قدر طاقته، ثم السكوت - هو أن لايسأل عن معناه ولايخوض فيه، ثم الإمساك - هو أن لايتصرف فى تلك الألفاظ بالتصريف وغيره، ثم الكف- هو أن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه، ثم التسليم لأهل المعرفة- هو أن لايعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله ﷺ أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء، فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام لاينبغى أن يظن بالسلف الخلاف فى شئ منها. ثم قال فى تفصيل الإمساك: وهو أن لايتصرف فى تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل وغيرهما بل لاينطق الا بذلك اللفظ، فيجب على عموم الخلق الجمود على ألفاظ هذه الأخبار. والإمساك عن التصرف فيها من ستة أوجه: التفسير والتأويل والتصريف والتفريع والجمع والتفريق، الأول أعنى به تبديل اللفظ بلغة أخرى تقوم مقامه فى العربية أو معناه بالفارسية أو التركية بل لايجوز النطق إلا باللفظ الوارد. وقال فى تفصيل التأويل: ولايبعد ذكر وجه ثالث وهو أن ينظر إلى قرائن حال السامع والمستمع، فإن علم أنه ينتفع به ذكره وإن علم أنه يتضرر تركه، وإن ظن أحد الأمرين كان ظنه كالعلم فى إباحة الذكر. وكم من إنسان لايتحرك داعيته باطنا إلى معرفة هذه المعاني ولايحيك فى نفسه إشكال من ظواهرها فذكر التأويل معه مشوّش. وكم من إنسان يحيك فى نفسه إشكال الظاهر حتى يكاد أن يسوء اعتقاده فى الرسول عليه السلام وينكر قوله الموهم، فمثل هذا لو ذكر معه الاحتمال المظنون بل مجرد الاحتمال الذى ينبو عنه اللفظ انتفع به، ولا بأس بذكره معه فإنه دواء لدائه وإن كان داء فى غيره، ولكن لاينبغى أن يذكر على رأس المنبر لأن ذلك يحرك الدواعى الساكنة من أكثر المستمعين وقد كانوا عنه غافلين وعن إشكاله منفكين. ولما كان زمن السلف الاول زمان سكون القلب بالغوا في الكف عن التأويل، أما الآن فقد فشا ذلك فى بعض البلاد، فالعذر فى إظهار شئ من ذلك رجاء لإماطة الأوهام الباطلة عن

كالنذر بالصلاة والحج، واللفظ فى نفسه كما إذا حلف لا يأكل لحما فلا يتناول لحم السمك، وسياق النظم كقوله: طلّق امرأتي إن كنت رجلا، حتى لا يكون توكيلا، ومعنى يرجع إلي المتكلم كما فى يمين الفور، ومحل الكلام كقوله عليه

القلوب أظهر، واللوم عن قائله أقل. وقال فى بيان الكف: أما الكف فهو كف الباطن عن التفكر فى هذه الأمور فذلك واجب عليه كما وجب عليه إمساك اللسان عن السؤال والتصرف، وهذا أثقل الوظائف وأشدها وهو واجب كما وجب على العاجز الزمن أن لا يخوض غمرة البحار وإن كان يتقاضاه طبعه لإخراج درهما اهـ . وقال فى الإحياء: فالصواب إذاً أن لايتعرض لجاري الفكر فى ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر العقول لاتحتمله، بل القدر اليسير الذى صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدّس عن المكان ومنزّه عن الأقطار و الجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه، قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته، بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا، إذ قيل لهم أنه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله، حتى قال بعض الحمقى من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله، لظن المسكين أن الجلالة والعظمة فى هذه الأعضاء. وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لايساويه فى صفاته فلا يفهم العظمة فيه اهـ. وفى شرح الإحياء: يقولون نحن نأخذ بالظاهر ونجرى الآيات الموهمة تشبيها والأخبار المقتضية حدا وعضوا على الظاهر، ولايجوزأن نطرق التأويل إلى شئ من ذلك، ويتمسكون بقول الله تعالى: "وما يعلم تأويله الا الله". وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون، فمن أصغى إلى ظاهرها يتبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدرى اهـ . وفى اليواقيت: قال الشيخ كمال الدين رح: وإنما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما يعقله الناس اهـ. وقال الغزالى رح: ولكن تقديسه الذى هو نفي للمحال عنه

السلام: "إنما الأعمال بالنيات" "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان".

وأما الصريح فما ظهر المراد به بينا حقيقة كان او مجازا كقوله أنت طالق، وحكمه ثبوت موجبه مستغنيا عن العزيمة .

ينبغي ان يكون مفصلا فإن المنفى هي الجسمية ولوازمها اهـ. فاحذر كل الحذر من قول الجهوية كما تحذر من قول الجهمية. قال فى بحر الكلام: قالت الجهمية لعنهم الله إن الله تعالى بكل مكان، واحتجوا بقوله تعالى: "وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله" ونحوه. وقال فى حاشية الدسوقي على السنوسية: ثم اختلف الجهوية القائلون إنه فى جهة، فقال بعضهم إنه فى جهة السماء، وهؤلاء فى كفرهم قولان، وقال بعضهم إنه فى جهة غير جهة العلو وهؤلاء كفار اتفاقا اهـ. فإن قلت إذا امتنع تبديل اللفظ الوارد فى المتشابهات بلفظ آخر على مذهب السلف كما قاله الغزالى رح فكيف يصدقه العجمي وهو لا يعرف معناه، فإن التصديق بعد التصور، والإيمان إنما هو بعد التفهم ، ولذا قال بعض الناس لابد لصحة إيمان العجمي بالآيات المتشابهات من ترجمة بلغته مثلا فارسية أو تركية أو صينية، وطعنوا على مانع الترجمة بعدم صحة إيمانه؟ قلت إن التصديق بالأمور الجملية ليس بمحال كما إذا قيل فى البيت شئ أمكن تصديقه وإن لم يعرف ما ذلك الشئ. قال فى اليواقيت: ثم إنهم اتفقوا سلفا وخلفا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لايقدح فى اعتقادنا المراد منه مجملا اهـ. ثم أقول إن جميع علماء أهل السنة والجماعة لم يقولوا أصلا بوجوب التبليغ لمعاني المتشابهات الظاهرة إلى غير العربي بالترجمة بحسب لسانهم بل قالوا بوجوب الدفع عما فهمه العربي من ظواهرها بالمبالغة فى التقديس ونفى التشبيه حتى يقولوا كل ما خطر ببالك وهجس فى ضميرك وتصور فى خاطرك فالله تعالى خالقه وهو منزّه عنه، بل إذا طلبوا معانيها بالسؤال يجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر رضي الله عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهات اهـ. فإن قلت قال إمامكم أبوحنيفة رح في الفقه الأكبر: وكل ما ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى عزت أسماؤه وتعالت صفاته فجاز القول به سوى اليد بالفارسية ويجوز أن يقال بروى خداى بلا تشبيه ولاكيفية، فإذا منعتم الترجمة خالفتم إمامكم

وأما **الكناية** فما لم يظهر المراد به إلا بقرينة حقيقة كان أو مجازا، مثل ألفاظ الضمير، وحكمها أن لا يجب العمل بها إلا بنية أو يقوم مقامها مثل دلالة الحال. وكنايات الطلاق سميت بها مجازا حتى كانت بوائن إلا اعتدى واستبرئي رحمك وأنت واحدة. والأصل في الكلام الصريح، ففي الكناية قصور، ويظهر التفاوت فيما يدرأ بالشبهات.

وأما **الاستدلال بعبارة النص** فهو العمل بظاهر ما سيق الكلام له.

وأما **الاستدلال بإشارته** فهو العمل بما ثبت بنظمه لغة كقوله تعالى: "وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن". سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أن النسب إلى

مع قولكم بوجوب تقليده؟ قلت اعلم أن إمامنا الأعظم رح ما قال أصلا بوجوب الترجمة للعوام كما قلتم، وإنما قال بجواز اتباع ترجمة ذكرها العلماء بالفارسية فيما سوى اليد، وأيضا لم يقل بجواز الترجمة مطلقا ولا بوجوبها على أحد قط. ثم انظر إلى قول علي القاري رح في شرحه: ثم رأيت السلف أجمعوا على عدم تأويل اليد وتبعهم الاشعري في ذلك، بخلاف سائر الصفات فان فيها خلافا عنهم بين التأويل والتفويض اهـ. فظهر من هذا أن الترجمة إنما جازت لكونها مقدمة التأويل. ولذا استثنى اليد فالتعبير والتربية ليس بطريق أهل التفويض، أفلا تعجبون ممن ادعى اتباع السلف المفوضين فبالغ في منع التأويل ثم تشمر في إيجاب الترجمة والتعبير والتفصيل وطرح التفويض رأسا، بل رأى التفويض من قبيل التعطيل. وأفوّض أمري إلى الله وهو يحق الحق ويهدي السبيل.

عه وكنايات الطلاق الخ، جواب عن سؤال مقدّر وهو أن هذه الألفاظ كنايات، والكناية ما استتر المراد منه ولا يفهم إلا بقرينة، والمراد المستتر ههنا هو الطلاق فيجب أن يقع به الرجعي فإنّ أنت بائن وبتّة مثلا عند النية يصير بمنزلة أنت طالق وبه يقع الرجعي، والجواب أن إطلاق لفظ الكناية عليها مجاز، لأن معانيها غير مستترة بل ظاهرة على أحد إلا أن محل البينونة هي الوصلة وهي متنوعة على أنواع كوصلة النكاح ووصلة القرابة وغيرهما، فاستعير لها لفظ الكناية. وقى بعض شروح الفروع: الكنايات في باب الطلاق لفظ يحتمل

الآباء، وهما سواء في إيجاب الحكم إلا أن الأول أحق عند التعارض وللإشارة عموم كما للعبارة.

وأما الثابت بدلالته فما ثبت بمعناه لغة لا اجتهادا كالنهي عن التأفيف يوقف به على حرمة الضرب. والثابت به كالثابت بالإشارة إلا عند التعارض، والثابت به لا يحتمل التخصيص.

وأما الثابت باقتضائه فما لا يعمل النص إلا بشرط تقدمه عليه كقوله: اعتق عبدك عني بألف.

الطلاق وغيره فلا يحتاج إلى الجواب كما في حاشية المنار. وقال في عمدة الرعاية فالصريح اللفظ الذي لم يستعمل إلا فيه أو يستعمل فيه غالبا حقيقة كان أو مجازا، والكناية ما بخلافه. وقال ركن الطلاق هو التلفظ بلفظ يدل عليه فلا يقع بمجرد العزم والنية، ويلحق به ما يقوم مقامه كالإشارة المفهمة والكتابة. وفي إطلاق اللفظ إشارة إلى عدم اعتبار خصوصية اللغة العربية بل يعمها وغيرها من الفارسية والهندية وغيرهما. وفي إطلاق الاستعمال إشارة إلى أنه لايشترط كونه موضوعا له وإنما العبرة للاستعمال. وقال ولابد في الكل من إضافته إلى زوجته على سبيل الخطاب أو غيره سواء كانت صريحة أو مدلولة بالقرائن. وقال يستوي فيه الجد والهزل لحديث " ثلاث جِدُّ هنّ جِدٌّ وهزلُهنّ جِدٌّ: الطلاق والنكاح والعتاق" أخرجه الطبراني اهـ. وقال في رد المحتار: تنبيه، قال في الشرنبلالية: وقع السؤال عن التطليق بلغة الترك هل هو رجعي باعتبار القصد أو بائن باعتبار مدلول سن بوش او بوش أول، لأن معناه خالية أو خلية فينظر اهـ. قلت أفتى الرحيمي تلميذ الخير الرملي بأنه رجعي الخ. وفي المتن: ونحو خلية برية حرام بائن. ثم قال و أورد أنه إذا وقع الطلاق بهذه الألفاظ بلائية ينبغي أن يكون كالصريح في أعقابه الرجعة، و أجيب بأن المتعارف إنما هو إيقاع البائن لا الرجعي، وقال ثم اعلم أن ما ذكره من الإيراد والجواب مذكور في البزازية أيضا، ومقتضى الجواب وقوع الرجعي به في زماننا لأنه لم يتعارف إيقاع البائن به، فإن العاصي الجاهل الذي يحلف بقوله على الحرام لا أفعل كذا لا يميز بين البائن والرجعي فحيث كان الوقوع بهذا اللفظ

فصل

التنصيص على الشئ لا يدل على التخصيص كما قال البعض مستدلا بقوله عليه السلام: "الماء من الماء"، على عدم وجوب الاغتسال بالاكسال.

والمطلق لا يحمل على المقيد كما حمل الشافعي رح كفارة الظهار واليمين على كفارة القتل فى قيد إيمان الرقبة.

والقِران فى النظم لا يوجب القِران فى الحكم كما قيل لا تجب الزكوة على الصبي لاقترانها بالصلوة.

والأمر بالشئ يقتضي كراهة ضده وضد النهى فى معنى سنة واجبة كالأمر بالقيام فى الصلوة حتى إذا قعد ثم قام لا تفسد صلاته ولكنه يكره لا كما قال البعض الأمر بالشئ نهى عن ضده وبالعكس.

للعرف يقع المتعارف وهو الصريح، وإن كان الحرام فى الأصل كناية، لأنه لما غلب فى استعماله فى الطلاق لم يبق كناية، ولذا لم يتوقف على النية أو دلالة الحال. وقال سرّحتُكِ كناية لكنه فى عرف الفرس غلب استعماله فى الصريح، فإذا قال رها كردم أى سرحتك يقع به الرجعى مع أن أصله كناية أيضا اهـ بتغير يسير. أقول قد اتضح من هذه الأقوال أن قول العامة فى عرفنا أهل الصين للمرأة بالخطاب غَـ بُـوْ يُوْ نِى أى لا اريدك، أو قوله فى الغيبة غَـ بُوْ يُوْ تَا أى لا أريد ها طلاق صريح، ولو لم يكن لفظ لاأريدك ولا أشيئك فى عرف العرب من ألفاظ الطلاق كما فى بعض الكتب. فظهر جهل من قال بعدم وقوع الطلاق به غافلا عن مغنى مراد القائل بمجرد النظر إلى ترجمة اللفظ العربي. ولذا قيل إن المفتى فى الوقائع لابد له من ضرب اجتهاد ومعرفة بأحوال الناس اهـ كما فى الشامي. وفى مقدمة العمدة: قلت يعمل بمثل ما عملوا به من اعتبار تغير العرف وأحوال الناس وما هو الأرفق وما ظهر عليه التعامل وما قوى وجهه، ولايخلو الوجود عمن يميز هذا حقيقة لا ظنا، وعلى من لم يميز أن يرجع لمن يميز لبراءة ذمته اهـ. فاعلم أن لفظ الطلاق فى عرفنا ليس إلا

فصل

المشروعات على نوعين:

عزيمة، وهى أربعة أنواع:

فالأول فرض وهو ما ثبت بدليل لا شبهة فيه كالإيمان والأركان الأربعة، وحكمه اللزوم علما وعملا، فيكفر جاحده ويفسق تاركه بغير عذر.

والثاني واجب وهو ما ثبت بدليل فيه شبهة كصدقة الفطر والأضحية، وحكمه اللزوم عملا لا علما، فيفسق تاركه ولا يكفر جاحده.

هذا، ولايشك أحد فى كون هذا اللفظ (غَمْ بُو يَوْ نِى) مفيدا للطلاق ومعبرا عنه، ولايمكن الزوج أن ينكره بصرفه إلى شئ آخر إلا بقرينة مقالية مثل قول المرأة له: أ تريدني فى هذا العمل؟ فقال لا أريدك، أوحالية مثل أن ذهبت المرأة إلى جنب الزوج لإعانته فى العمل فقال لا أريدك أى فى هذا العمل. ومثل قول الصبي لامرأته: نِى چُو تِى أى اخرجى، ونِى ذِوْ كَيْ أى اذهبى، ونِى قُ كَيْ أى تدحرجى، ونِى نِيَانْ كِيَالِى تِى أى اذهبى إلى بيت أمك ونحوه هى من ألفاظ الكناية، والناس عنه غافلون، ولا يزالون يتلفظون بهذه الألفاظ عند الغضب ومذاكرة الطلاق مع نية الطلاق ثم يقولون بعد سكون الغضب لا اعتبار فى حالة الغضب لذلك الكلام وأنا لا أريد الطلاق آنفا وهم يظنون أن لايقع الطلاق بمثل هذه الألفاظ قط، والحال أنه وقع الطلاق البائن مرة بعد مرة، لكن قال الفقهاء قوله اخرجى واذهبي وقومي يحتمل ردّا، ونحو خلية برية حرام بائن يصلح سبّا، ونحو اعتدى واستبرئ رحمك وأنت واحدة واختارى وأمرُكِ بيدكِ وسرّحتكِ وفارقتكِ لايحتمل الردّ والسبّ، ففي الرضاء يتوقف الكل على النية، وفى الغضب الأولان، وفى مذاكرة الطلاق الأولُ فقط، كما فى شرح الوقاية. وفى الحاشية: وهذا فى القضاء. وأما ديانة فلا يقع بها الطلاق بدون النية وإن وجدت دلالة الحال. صرح به فى البحر وغيره اهـ. وفى تنوير الأبصار وشرحه: الصريح يلحق الصريح والبائن، والبائن يلحق الصريح بائنا كان الواقع به أو رجعيا بشرط

والثالث سنة وهي الطريقة المسلوكة في الدين، وحكمها المطلوب بإقامتها من غير افتراض ولا وجوب، وهي نوعان: سنة الهدي كالأذان والجماعة، وسنة الزوائد كسير النبي ﷺ في لباسه وأكله ومعاشرته.

والرابع نفل وهو ما زاد على العبادات، وحكمه إثابة فاعله ولا معاقبة لتاركه، ويلزم النفل بالشروع.

والمباح هو ما ليس لفعله ثواب ولا لتركه عقاب.

ورخصة، وهي أربعة أنواع:

الأول ما استبيح مع قيام المحرم، وحكمه كالمكره عنه على إجراء كلمة الكفر، وحكمه أن الأخذ بالعزيمة أولى.

العدة، ولا يلحق البائن البائن إلا إذا كان معلقا بشرط قبل المنجز البائن اهـ. ثم اعلم أن في كل من الصريح والكناية رجعي وبائن، فمن الرجعي قول الصبي غَمْ بُو يَوْ نِي أي لا أريدك، ومن البائن قوله غَمْ كِيُوْ دُوْ بُو يُوْ نِي أي لا أريدك البتة، ويقع الثلاث بقوله غَمْ بُو يُوْ نِي، يِئْ بُو يُوْ دِشْ بُو يُوْ، مما ينبئ عن العدد. وبالجملة لابد للمفتي من النظر في معنى قصده المتكلم لا في مجرد اللفظ المترجم، فإن كثيرا من الناس لم يميزوا بين اللفظ والمعنى، ويسمون اللفظ المترجم معنى بالموافقة في النيابة، ولم يلتفتوا إلى مراد القائل واستعمال العرف. فاعلم أن اللفظ ما يتلفظ به الإنسان عربيا كان أو عجميا، وأن المعنى ما يقصد بشئ صريحا كان أو كناية، فحققه ودققه، فإنه ينفعك في كثير من المواضع كما مرّ في المتشابهات. والله أعلم بالصواب.

عنه قوله كالمكره الخ قال في حاشية المنار: وكان الأوضح أن يقول كإجراء المكره كلمة الكفر اهـ فإنه رخص له الإجراء على اللسان وقلبه مطمئن بالإيمان، لأن حقه في نفسه يفوت عند الامتناع صورة ومعنى، أما صورة فبتخريب البنية، وأما معنى فبزهوق الروح، وفي الإقدام عليها لا يفوت حق الله تعالى معنى، لأن الركن الأصلي وهو التصديق

والثاني ما استبيح مع قيام السبب لا الحكم كالمسافر، وحكمه كالأول لكنه أدنى منه، وهذان من الحقيقة.

والثالث ما وضع عنا من الإصر والأغلال.

والرابع ما سقط عن العباد مع كونه مشروعا فى الجملة كقصر الصلاة فى السفر، وهذان من المجاز فيها.

فصل

وللأحكام المشروعة بالأمر والنهى بأقسامهما أسباب تضاف إليها من حدوث العالم للإيمان، والوقت للصلوة، وملك المال للزكوة، وأيام شهر رمضان للصوم، والرأس الذى يمونه ويلي عليه لصدقة الفطر، والبيت للحج، والأرض النامية تحقيقا أو تقديرا للعشر والخراج، والصلوة للطهارة، وتعلق بقاء العالم المقدور

قائم لكن الامتناع عنه عزيمة، حتى إذا قتل بالصبر كان مأجورا، كما فى الشرح. وفى رد المحتار: الإكراه على المعاصي أنواع: نوع يرخص له فعله ويثاب على تركه كإجراء كلمة الكفر وشتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وترك الصلوة وكل ما ثبت بالكتاب. وقسم يحرم فعله ويأثم بإتيانه كقتل مسلم أو قطع عضوه أو ضربه ضربا متلفا أو شتمه أو أذيته والزنا. وقسم يباح فعله ويأثم بتركه كالخمر أو لحم خنزير أو ميتة أو دم. وفى الدر المختار: وهو نوعان: تام وهو الملجئ بتلف نفس أو عضو أو ضرب مبرح، وإلا فناقص وهو غير الملجئ كالتخويف بالحبس والقيد والضرب اليسير، وشرطه قدرة المكرِه على إيقاع ما هدد به، وخوف المكرَه إيقاعه فى الحال، وكونه ممتنعا عما أكره عليه قبله، وكون المكرَه به متلفا نفسا أو عضوا أو موجبا غما يُعدم الرضا، وهو يختلف باختلاف الأشخاص، فلأن الأشراف يغمون بكلام خشن، والأراذل ربما لايغمون إلا بالضرب المبرح اهـ بتغير يسير، سيجيء إنشاء الله تعالى فى آخر الكتاب تفصيل أنواع الإكراه، لكن لابد ههنا من زيارة تقرير فى مسألة الإكراه على الكفر لرفع الاشتباه ليحتاط المبتلى به فى هذا الزمان فى الكلام عند

بالتعاطي للمعاملات. وأسباب العقوبات والكفارات ما نسبت إليه من قتل وزنا وسرقة وقتل خطأ وإفطار عمدا في رمضان.

باب أقسام السنة

الأقسام المذكورة في الكتاب ثابتة في السنة، وهذا الباب لبيان ما يختص به السنن، وذلك أربعة أقسام:

الأول في كيفية اتصالها بنا، وهو إما كامل إن كان الرواة في كل قرن قوما لا يجوز العقل تواطؤهم على الكذب عادة كنقل القرآن والصلوات الخمس، وحكمه اليقين كالعيان ويسمى المتواتر. وإما فيه شبهة صورة إن كان الرواة كذلك في القرن الأول والثاني لا في الأول كالمسح على الخفين، وحكمه الطمأنينة كالاستدلال ويسمى المشهور. وإما صورة ومعنى إن لم تكن كذلك ويسمى خبر الواحد.

الولاة، ويتحروا بحسب الطاقة ما هو الأبعد عن الخطر والأقرب للنجاة ولو بالتورية والكناية والتعريض ونحوها دون التشدق واللجاجة، وليحذروا من كتابة الكرام الكاتبين كما يحذرون من كتابة أعوان الوالي فلا عذر فيما زاد على الحاجة. فاعلم أن الإكراه على كلمة الكفر لا يرخص لقائلها إلا بالملجئ، فلو أكره بحبس أو قيد لم يكن إكراها لأن الإكراه بهذه الأشياء ليس بإكراه في شرب الخمر ففي الكفر أولى وأحرى، وإذا أكره بالملجئ رخص له أن يظهر ما أمر به ويوري، فإن خطر بباله التورية ولم يورّ كفر، لأنه أمكنه دفع ما أكره عليه عن نفسه ووجد مخرجا عما ابتلي به، وإن ورّى لايكفر، كما إذا أكره على السجود للصليب أو سبّ محمد ﷺ ففعل وقال نويت به الصلوة لله تعالى ومحمدا آخر غير النبي ﷺ، فلو ترك ما خطر على باله وشتم محمدا النبي ﷺ كان كافرا، وإن وافق المكره فيما أكرهه، لأنه وافقه بعد ما وجد مخرجا مما ابتلي به فكان غير مضطر، كما في رد المحتار. فلا بد لنا في محافظة

والثاني في الانقطاع وهو نوعان: ظاهر وباطن. أما الظاهر فالمرسل من الأخبار، وهو إن كان من الصحابي فمقبول بالإجماع، ومن القرن الثاني والثالث كذلك عندنا، وإرسال مَن دون هؤلاء كذلك عند الكرخي، والذي أرسل من وجه وأسند من وجه مقبول عند العامة. وأما الباطن فالمنقطع إما لنقص الناقل في شرائطه من إسلام وعقل وضبط وعدالة أو بدليل معارض كقوله عليه السلام: "لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب" فإنه معارض لعموم قوله تعالى: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن".

الدين من بذل غاية القدرة بأيّ وجه كان، ونتفكر في قوله تعالى: "ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله" الآية. ولانغتر بقول (الضرورات تبيح المحظورات)، ونتأمل ما هي الضرورة؟ وكيف هي؟ وكم قدرها؟ ومتى تبيح المحظور؟ وعند أيّ رجل هي؟ وفي أيّ وقت هي؟ ومن أيّ نوع هو المحظوز؟ ثم بعد هذا إياك والمداهنة وعليك بالمداراة. قال في شرح الطريقة: والمداهنة معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه، وقيل بذل الدين لصلاح الدنيا، وقيل عدم تغيير المنكر مع القدرة عليه رعاية لجانب مرتكبه أو لجانب غيره أو لقلة المبالاة بالدين، ومعنى المداراة أن يتبسم ويضحك في وجوههم وإن كان قلبه ينكرهم. وقيل بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو كليهما. فإن كانت لدفع ضرر عن نفسه أو عن غيره فهي جائزة بل مستحبة في بعض المواضع، كما إذا ظن عموم الضرر الحاصل أو عدم صبره عليه، كما قيل:

ودارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

اهـ . والله المستعان.

عن قوله "فاقرأوا ما تيسر من القرآن"، قال العيني في شرح البخاري فإن قلت هذه الآية في صلاة الليل وقد نسخت فرضيتها وكيف يصح التمسك بها؟ قلت ما شرع ركنا لم يصر منسوخا، وإنما نسخ وجوب قيام الليل دون فرض الصلاة وشرائطها وسائر أحكامها.

والثالث فيما جعل الخبر حجة فيه، فإن كان من حقوق الله تعالى يكون خبر الواحد فيه حجة، وإن كان من حقوق العباد مما فيه إلزام تشترط فيه شرائط الأخبار، وإن كان لا إلزام فيه يثبت بأخبار الآحاد، وإن كان فيه إلزام من وجه دون وجه يشترط فيه العدد أو العدالة.

ويدل عليه أنه أمر بالقراءة بعد النسخ بقوله: "فاقرءوا ما تيسر منه". فإن قلت كلمة ما مجملة والحديث مغيّن ومبيّن فالمغين يقضي على المبهم؟ قلت: كل من قال بهذا يدل على عدم معرفته بأصول الفقه لأن كلمة ما من ألفاظ العموم يجب العمل بعمومها من غير توقف، ولو كان مجملة لما جاز العمل بها قبل البيان كسائر مجملات القرآن، والعام عندنا لايحمل على الخاص مع ما في الخاص من الاحتمالات: فإن قلت هذا الحديث مشهور فإن العلماء تلقته بالقبول فتجوز الزيادة بمثله؟ قلت لانسلم أنه مشهور لأن المشهور ما تلقاه التابعون بالقبول، وقد اختلف التابعون في هذه المسألة، ولئن سلمنا أنه مشهور فالزيادة بالخبر المشهور إنما تجوز إذا كان محكما، أما إذا كان محتملا فلا، وهذا الحديث محتمل لأن مثله يستعمل لنفي الجواز ويستعمل لنفي الفضيلة كقوله ﷺ: "لا صلاة لجار المسجد" والمراد نفي الفضيلة، كذا هو اهـ وفي بذل المجهود شرح سنن أبي داود: اختلف فيه العلماء من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، فقالت الحنفية ومن وافقهم لايقرأ خلف الإمام لا في السرية ولا في الجهرية، وقالت الشافعية ومن وافقهم إنه يقرأ الفاتحة في السرية والجهرية كليهما، وقالت المالكية ومن وافقهم: إنه يقرأ الفاتحة في السرية دون الجهرية، ومذهب الإمام احمد كمذهب مالك إلا أنه قال إن سمع المقتدى قراءة الإمام لم يقرأ وإن لم يسمع بأن كان بعيدا من الإمام قرأ اهـ. وفي التقرير للترمذي: الاختلاف بين أبي حنيفة رح والشافعي رح في المسألتين: الأول في أن الفاتحة قراءتها فريضة أو سنة أو واجب، فقال أبو حنيفة رح بوجوبها والشافعي بفرضيتها نظرا إلى الحديث، وقال أبو حنيفة رح الحديث من أخبار الآحاد ومثله لايزاد على الكتاب الشريف. والثاني في أن قراءتها واجبة على الكل أعم من أن يكون إماما أو مأموما أو منفردا، فقال الشافعي رح بالعموم وأوجب قراءتها على المقتدي نظرا إلى كلمة من في

والرابع في نفس الخبر، وهو أربعة أقسام: قسم متحتم الصدق كخبر الرسول ﷺ، وحكمه اعتقاد حقيته. وقسم متحتم الكذب كدعوى فرعون الربوبية، وحكمه اعتقاد بطلانه. وقسم يحتملهما على السواء كخبر الفاسق، وحكمه التوقف فيه. وقسم يترجح أحد احتماليه كخبر العدل المستجمع للشرط، وحكمه العمل به لا عن اعتقاد حقيته.

الحديث لأنها عام شاملة للإمام والمأموم، وخصّ سيدنا أبو حنيفة رح المقتدى نظرا إلى القرائن والنصوص والوعيد ا هـ منها ما ورد في قوله تعالى: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا" . من أنه نزل في قراءة الصحابة ورفع الأصوات بها خلف رسول الله ﷺ كما أخرجه الدارقطني والبيهقي وابن حرير وغيرهم. ومنها ما قال ﷺ: "من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصلّ إلا أن يكون وراء الإمام". ومنها قوله ﷺ: "إذا قرأ الإمام فأنصتوا"، وقوله: "مالي أنازع القرآن"، وقوله: "خلطتم على القرآن"، فهذه الأخبار كلها يوجب النهي عن القراءة خلف الإمام مطلقا. وروى عن أجلة الصحابة إنكار القراءة خلف الإمام، منهم علي وابن مسعود وسعد وجابر وابن عباس وأبو الدرداء وابن عمر وزيد بن ثابت وأنس وغيرهم. وفي الكافي: ومنع المؤتم من القراءة مأثور عن ثمانين نفرا من كبار الصحابة منهم المرتضى والعبادلة، وقد دوّن أهل الحديث أساميهم ا هـ كما في رد المحتار. وقال الشعبي: أدركت سبعين بدريا كلهم يمنعون عن القراءة خلف الإمام، كذا في فتح القدير.

وبالجملة إن في الصلوة أول الإسلام وسعة ثم نسخ الكلام فيها بقوله ﷺ: "هذه الصلوة لايصح فيها شئ من كلام الناس إنما هي التسبيح والتهليل"، لكن القراءة بقيت مشروعة مطلقا خلف الإمام، ثم بعد ذلك نسخت في الجهرية ثم في السرية لقوله ﷺ: "من كان له إمام فقراءة الإمام قراءة له". أخرجه ابن حبان والدارقطني وابن عدي ومحمد في الموطأ والبيهقي وغيرهم.

فصل

وإذا وقع التعارض بين الحجتين فحكمه بين الآيتين المصير إلى السنة، وبين السنتين المصير إلى أقوال الصحابة أو القياس، وبين القياسين اختيار المجتهد أيهما شاء بتحرّ، وعند العجز يقرر الأصل كما في سور الحمار، ولا يرجح بفضل عدد الرواة وبالذكورة والحرية، وإذا كان في أحد الخبرين زيادة والراوي واحد يؤخذ بالمثبت للزيادة، وإذا اختلف الراوي يجعل كالخبرين ويعمل بهما إذ لا نحمل المطلق على المقيد في حكمين.

فصل

وهذه الحجج تحتمل البيان، وهو خمسة أوجه: تقرير وهو توكيد الكلام بما يقطع احتمال المجاز أو الخصوص. وتفسير وهو بيان المجمل والمشترك، ويصح هذان البيانان موصولا ومفصولا. وتغيير وهو التعليق بالشرط والاستثناء ويصح موصولا

عنه هذا الحديث مثال للمصير إلى السنة عند التعارض بين الآيتين أعني قوله: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن" وقوله تعالى: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له"، والأول بعمومه يوجب القراءة على المقتدى، والثاني ينفي وجوبها، إذ كلاهما وردا في الصلاة عند عامة أهل التفسير فيصار إلى الحديث وهو هذا الحديث. وكذا قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم: "وإذا قرأ فأنصتوا"، ولايعارضهما قوله ﷺ: "لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" لأنه يحتمل في نفسه أن يراد به نفي الفضيلة، فلو ثبت التعارض بين الأحاديث فيصار إلى أقوال الصحابة. عن علي رضي الله عنه قال من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال من قرأ خلف الإمام مُلئ فوه ترابا. وعنه قال من قرأ خلف الإمام فلا صلاة له. وقال أبو حمزة قلت لابن عباس أقرأ خلف الإمام؟ قال لا. وقال سعد وددت أن الذي يقرأ خلف الإمام في فيه جمرة. وهكذا روى عن كثير من الصحابة كما مر. أو يصار إلى القياس كما ناظر الإمام الأعظم رح مع الأوزاعي رح وغيره من حيث قالوا للإمام رح لم لاتقرأ خلف

فقط. وضرورة وهو نوع بيان بما لم يوضع له كسكوت الشارع والمولى أو كثرة الكلام كقوله عليّ مائة ودرهم. وتبديل وهو النسخ وهو بيان لمدة الحكم المطلق المعلوم عند الله تعالى، والقياس لا يصلح أن يكون ناسخا، وكذا الإجماع، ويجوز نسخ كل من الكتاب والسنة بالآخر. والمنسوخ إما التلاوة والحكم جميعا أو أحدهما أو وصف الحكم، وذلك كالزيادة على النص.

الإمام؟ فقال أبو حنيفة رح لم يثبت عندى، فقالوا لأبى حنيفة رح تعال نناظر معك في هذه المسألة، فقال نعم ولكن عيّنوا منكم رجلا واحدا عالما مقتدى للكل لأناظر معه فإنه لا يمكن المعارضة والمناظرة بالجميع في آن واحد، فقالوا عيّنّا، فقال أبو حنيفة لو التزمته في هذا المبحث فإلزامه إلزام لكم، فقالوا نعم، ولو غلب عليّ في المسألة فغلبته غلبة لكم، فقالوا نعم، فقال أبو حنيفة: عجبت منكم فإنكم قلتم إن إلزام الواحد وغلبته إلزام للجميع وغلبته لهم ولا تحسنوا أن يتكلم كل واحد فكيف في سلطان السلاطين ومالك الأملاك خالق الأفلاك يتكلم كل واحد ولا يسمع عن غيره وتصدر عنه الحركات المشعرة إلى سوء الأدب، وأوجبتم القراءة على المأموم في حضرة الله تعالى مع كون الإمام كفيلا للكل، فسكتوا اهـ من التقرير وغيره مختلطا، فتنبه. ذكرت لك مثالا للمصير عند تعارض السنتين إلى أقوال الصحابة أو القياس. وأما تقرير الأصل في سور الحمار للعجز عن المصير إلى دليل آخر لتعارض الدلائل فيه فهو أن الماء عرف طاهرا في الأصل فلا يتنجس به ما كان طاهرا، ولا يطهر به ما كان نجسا، لأن الطهارة أو النجاسة عرفت ثابتة بيقين، فلا يزول بالشك فوجب ضم التيمم إليه، وسمي مشكلا ومشكوكا لهذا لا أن يعنى به الجهل، لأن الشك ليس من أحكام الشرع بل حكمه معلوم وهو وجوب الاستعمال وانتفاء النجاسة عنه وضم التيمم إليه اهـ كما في حاشية المنار. فظهر جهل من يفتى للعوام عند سؤالهم عن ماء الطريق في سفرهم بأن تنظروا في الماء فإن شككتم في طهارته فتيمموا مع الوضوء، ولم يسأل كيف كان الماء، ومن أيّ وجه كان شكّه، هل يصح التوضئ به أم لا، ولم يعرف كيف مشكوكية سور الحمار. فافهم ولا تجهل وتفقّه "ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" ولاتفت بتخمين. ثم تفصيل

فصل

وأفعال النبي ﷺ سوى الزلة أربعة: مباح ومستحب وواجب وفرض، فما نعلم وقوعه على أيّ وجه نقتدى به كما وقع، وما لا نعلم نحمله على إباحة.

والوحى نوعان: ظاهر وهو ما ثبت بلسان الملك أوبإشارته أو تبدى لقلبه بالهام من الله تعالى، وباطن وهو ما ينال بالاجتهاد وهو حجة قاطعة فى حقه بخلاف اجتهاد غيره.

وشرائع من قبلنا تلزمنا إذا قص الله ورسوله من غير إنكار أنها شريعة لرسولنا ﷺ.

وتقليد الصحابي واجب يترك به القياس. وأما التابعي فإن ظهرت فتواه فى زمن الصحابة كشريح كان مثلهم عند البعض.

تعارض الدلائل في سور الحمار يفضى إلى التطويل، فإذا أردت فراجع المطولات.

عـه اعلم ان التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقدا لحقيته من غير نظر وتأمل في الدليل، فعلي هذا لا يكون اتباع الصحابة ﷺ تقليدا حقيقة لأنه عمل بالدليل معنى كتقليدنا بالأنبياء عليهم السلام إلا أنه سمى تقليدا باعتبار الصورة. ثم التقليد على أربعة أنواع: تقليد الأمة صاحبَ المعجزة، وتقليد العالم صاحبَ الرأي والنظر في الفقه لسبقه على أقرانه من الفقهاء، وتقليد العوام علماءَ عصرهم، وتقليد الأبناء الآباءَ. والثلاثة الأول صحيحة لأنها ليست بتقليد محض لأنها تقع عن ضرب استدلال، والرابع باطل لأنهم اتبعوهم بهوى نفوسهم بلا نظر ولا استدلال، وهو الذى ذم الله تعالى به الكفرة بقوله تعالى: "إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون". إذا عرفت هذا فاعلم أنه لاخلاف بين الجمهور أن مذهب الصحابي إماما كان أو حاكما أومفتيا ليس بحجة على صحابي آخر، إنما الخلاف في كونه حجة على التابعين ومن بعدهم من المجتهدين، فقال جماعة من أصحابنا أنه حجة و تقليده واجب يترك به القياس مطلقا، وجماعة يجوز فيما

باب الإجماع

إجماع هذه الأمة حجة موجبة للعمل على سبيل اليقين، وسنده قد يكون من أخبار الآحاد أو القياس، وأعلى مراتبه إجماع الصحابة نصا، ثم الذى نص البعض وسكت الباقون، ثم إجماع من بعدهم على حكم لم يظهر فيه خلاف من سبقهم، ثم إجماعهم على ما سبقهم فيه مخالف. وإجماع الأمة على أقوال إجماع على ان ما عداها باطل.

لايدرك بالقياس، ثم اتفق عملهم في التقليد فيما لايدرك بالقياس كما في حاشية المنار. وقال البيضاوي في تفسيره: وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظن مستند إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الأصولية. وقال: وأما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل مّا أنه محقّ كالأنبياء و المجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله. وتمسك نفاة القياس على مذهبهم بقوله تعالى: "وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون"، والجواب عنه أنه متى قام الدليل على أن العمل بالقياس واجب كان العمل بالقياس قولا بما نعلم لا بما لا نعلم اهـ يعنى ان المنع عن التقليد لزمهم على اتباع آبائهم ولو كانوا لايهتدون. وأما من تيقن أنه مهتد محق فلا يدخل فيه لقوله تعالى: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون" الآية. قال القرطبي: فرض العامي الذى لا يستقل باستنباط الأحكام من أصولها لعدم أهليته له فيما لا يعلمه من أمر دينه ويحتاج إليه أن يقصد أعلم من في زمانه ببلده فيسأله عن نازلته ويتمثل فيها فتواه لقوله تعالى: "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون". وعليه أن يجتهد في تعيين أعلم أهل زمانه بالبحث عنه حتى يتفق اكثر الناس عليه. وعلى العالم أيضا أن يقلد عالما مثله في نازلته خفى عليه وجه الدليل فيها اهـ شيخ زاده. وفى الفوائد البهية عن الإنصاف في بيان سبب الاختلاف للمحدث الدهلوى: والحالة الثالثة أن يستفرغ جهده أولا في معرفة أدلة ما سبق إليه ثم يستفرغ جهده ثانيا في التفريع على ما اختاره واستحسنه، وهى حالة بعيدة غير واقعة لبعد العهد من زمان الوحي،

باب القيـــاس

وهو إبانة مثل حكم أحد المذكورين بمثل علته في الآخر. وثبتت حجيته بقوله تعالى: "فاعتبروا يا أولى الأبصار"، وحديث معاذ -رضي الله عنه- المعروف. وشرطه أن لا يكون المقيس عليه مخصوصا بحكمه بنص آخر كشهادة خزيمة وحده، وأن لا يكون معدولا به عن القياس كبقاء الصوم مع الأكل والشرب ناسيا، وأن يتعدى الحكم الشرعي الثابت بالنص بعينه إلى فرع هو نظيره ولا نص فيه فلا يجوز التعليل بالعلة القاصرة، وأن يبقى حكم النص بعد التعليل على ما كان فلا يجوز تعليل الإطعام بالتمليك. وركنه ما جعل علما على حكم النص مما اشتمل عليه النص وجعل الفرع نظير اله في حكمه بوجوده فيه كاشتمال نص الربا على الكيل والجنس.

واحتياج في كثير مما لابد في علمه إلى من مضى من رواة الأحاديث على تشعب متونها وطرقها، ومعرفة مراتب الرجال ومراتب صحة الحديث وضعفه، وجمع ما اختلف فيه من الأحاديث والآثار، ومن معرفة غريب اللغة وأصول الفقه، ومن رواية المسائل التي سبق التكلم فيها من المتقدمين مع كثرتها جدا وتباينها، ومن توجيه أفكاره في تمييز تلك الروايات وعرضها على الأدلة. وإنما كان هذا يتيسر للطراز الأول من المجتهدين حين كان العهد قريبا والعلوم غير متشعبة على أنه لم يتيسر ذلك أيضا إلا للنفوس القليلة، وهم مع ذلك كانوا مقتدين بمشائخهم معتمدين عليهم ولكن لكثرة تصرفاتهم في العلم صاروا مستقلين انتهى ملخصا، وهو كلام حسن جدا ينبغي الاعتناء به وحفظه اهـ . وعن ذلك الكتاب: اعلم أن الناس كانوا في المائة الأولى والثانية غير مجتمعين على التقليد بمذهب معين، وبعد المائتين ظهر فيهم التمذهب وقلّ من كان لايعتمد على مذهب مجتهد بعينه، وكان هذا هو الواجب في ذلك الزمان انتهى. قلت وإذا كان هذا هو الواجب في ذلك الزمان ففي زماننا يكون هو الواجب بالطريق الأولى كما لايخفى اهـ من التعليق المجلي. وفي كتاب الفقه على المذاهب

فصل

والاستحسان دليل يقابل القياس الجلي، ويكون بالأثر كالسلم، وبالإجماع كالاستصناع، وبالضرورة كتطهير الأواني، وبالقياس الخفي كطهارة سور سباع الطير. وهذا الأخير تصح تعديته إلى غيره، ويقدّم إذا قوى أثره على القياس.

فصل

وشرط الاجتهاد أن يحوي علم الكتاب بمعانيه ووجوهه، وعلم السنة بطرقها، ووجوه القياس مع شرائطه. وحكمه الإصابة بغالب الرأي. والمجتهد يخطئ ويصيب، والحق في موضع الخلاف واحد.

الأربعة: وعلى الجملة قد صارت هذه المذاهب الأربعة مذاهب الجمهور في أهل الإسلام في جميع الأمصار، ووقف الناس عند تقليدها و عادوا من تمذهب بغيرها وأنكروا عليه. وأفتى العلماء بوجوب اتباعها وعدم تقليد غيرها. قال ابن خلدون: ووقف التقليد في الأمصار عند هؤلاء الأربعة ودرس المقلدون لمن سواهم، وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم، ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ولما خشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لايوثق برأيه ولا بدينه، فصرحوا بالعجز والإعواز وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء كل من اختص به من المقلدين، وحظروا أن يتداولوا تقليدهم لما فيه من التلاعب، ولم يبق إلا نقل مذاهبهم، وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سندها بالرواية، لا بحصول اليوم للفقه غير هذا. ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة انتهى. وعن عقد الجيد في أحكام التقليد: اعلم أن الأخذ بهذه المذاهب الأربعة فيه مصلحة عظيمة وفي الإعراض عنها مفسدة عظيمة. ونحن نبين ذلك بوجوه: أحدها أن الأمة اجتمعت على أن يعتمدوا على السلف في معرفة الشريعة، فالتابعون اعتمدوا على الصحابة، وتبع التابعين

ثم العلل نوعان:

طردية، ووجوه دفعها أربعة: القول بموجب العلة والممانعة وفساد الوضع والمناقضة.

ومؤثرة، وليس للسائل فيها بعد الممانعة الا المعارضة، وهى نوعان: (١) معارضة فيها مناقضة، وهى القلب يعنى قلب العلة حكما والحكم علة، أو قلب الوصف شاهدا على الخصم بعد ان كان شاهدا له. (٢) ومعارضة خالصة، وهى المعارضة فى حكم الفرع وهو صحيح، أو فى علة الأصل وذلك باطل. وإذا قامت المعارضة كان السبيل فيها الترجيح. وإذا تعارض ضربا الترجيح كان

اعتمدوا على التابعين. وهكذا اعتمد العلماء في كل طبقة على من قبلهم، والقبول يدل على حسن ذلك. وإذا تعين الإعتماد على أقاويل السلف فلا بد أن تكون أقاويلهم التي يعتمد عليها مروية بإسناد صحيح أو مدونة فى كتب مشهورة، وليس مذهب من المذاهب بهذه الصفة إلا هذه المذاهب الأربعة. وثانيها قال رسول الله ﷺ: "اتبعوا السواد الأعظم". ولما اندرست المذاهب الحقة إلا هذه الأربعة كان اتباعه اتباعا للسواد الأعظم انتهى. أقول فحينئذ ليس لأهل الصين خواصهم وعوامهم وجه ترك المذهب قط، ولا قدرة لعلمائهم أصلا على الاجتهاد والأخذ من القرآن والحديث بأنفسهم كما ادعى البعض، لفقدان شرائط الاجتهاد كلها في حقهم كما هو المعلوم. فإن قلت: إن المذاهب الحقة أربعة وكلها متساوية في الصحة فما وجه التزام المذهب المعين؟ قلت قال الشعراني رح في جوابه إنما يفعل مع الطالب رحمة به وتقريبا للطريق عليه ليجتمع شتات قلبه ويدوم عليه السير فى مذهب واحد فيصل إلى عين الشريعة التي وقف عليها إمامه وأخذ منها مذهبه في أقرب الزمان. وقد قالوا حكم من يتقيد بمذهب مدة ثم بمذهب آخر مدة حكم من سافر بقصد موضع معين بعيد، ثم صار كلما بلغ ثلث الطريق أداه اجتهاده إلى أنه لو سلك إلى مقصده من طريق كذا لكان أقرب، فيرجع عن سيره ويعود قاصدا ابتداء السير من أول تلك الأخرى، فإذا بلغ ثلثها مثلا

الرجحان في الذات أحق منه في الحال. وإذا ثبت دفع العلل بما ذكرنا يلجئ إلى الانتقال من علة إلى أخرى، او من حكم إلي آخر، أو إلى حكم آخر وعلة أخرى، او من علة إلى علة أخرى، لإثبات الحكم الأول لا لإثبات العلة الأولى، وهذه الوجوه صحيحة إلا الرابع.

فصل

ما ثبت بالحجج التي سبق ذكرها شيئان :

الأول الأحكام وهي أربعة: حقوق الله تعالى خالصة كحرمة الزنا، وحقوق العباد خالصة كحرمة مال الغير، وما اجتمعا فيه وحق الله غالب كحد القذف،

أداه اجتهاده إلى أن سلوك غيرها أيضا أقرب لمقصده ففعل كما تقدم، وهكذا، فمثل هذا ربما أفنى عمره كله في السفر و لم يصل إلى مقصده المعين الذى هو مثال عين الشريعة، مع أن انتقال الطالب من مذهب إلى مذهب فيه قدح في حق الإمام الذى انتقل عن مذهبه، ولو صدق هذا الطالب في صحة هذا الاعتقاد في أن سائر الأئمة على هدى من ربهم لما طلب الانتقال من مذهبه إلى غيره، بل كان يشهد أن كل مذهب عمل به وتقيد عليه أوصله إلى باب الجنة اهـ . فإن قلت لم لايجوز أن تختار ما هو الأصح من الأحاديث كالبخاري ومسلم ونأخذ ما هو الأقوى من مسائل المذاهب من غير تقيد بمذهب دون مذهب ولا انتقال من واحد إلى آخر ولا ترجيح هذا على ذلك، وهذا في ظننا أقرب الطرائق وأعدل المذاهب وأحفظ لحرمة جميع الأئمة وأبعد عن تضييع السلوك الحاصل من الانتقال، وفي تعدد المذاهب تفرق أهل الإسلام المنهي عنه بقوله تعالى: "ولاتفرّقوا"، وفى تعيين أحد المذاهب ترك الأحاديث الصحيحة في المذاهب الأخر وقدح في سائر الأئمة وغيره، قلت إن هذه الأقاويل كلها ظاهر البطلان مما تقدم من المنقولات فلاحاجة إلى الجواب بتكرير المقالات لكنى ألخص كلمتين: إحداهما أن تعلم أن الأحاديث الصحيحة ليست بمنحصرة في مثل صحيحى البخارى ومسلم، وما فيهما قطرة من بحر الحديث، ومكتوباتهما نبذة من محفوظاتهما، قال

وما اجتمعا فيه وحق العبد غالب كالقصاص. وحقوق الله تعالى ثمانية أنواع: عبادات خالصة كالإيمان وفروعه، وعقوبات كاملة كالحدود، وقاصرة كحرمان الميراث، وحقوق دائرة بين العبادة والعقوبة كالكفارات، وعبادة فيها معنى المؤنة كصدقة الفطر، ومؤنة فيها معنى العبادة كالعشر، ومؤنة فيها معنى العقوبة كالخراج، وحق قائم بنفسه كخمس الغنائم والمعادن، وحقوق العباد كبدل المتلفات والمغصوبات وغيرهما. وهذه الحقوق تنقسم إلى أصل وخلف، كالتصديق والإقرار، وكالطهارة بالماء والتيمم.

البخاري خرّجتُ كتابي الصحيح من زهاء ستّ مائة ألف حديث، وقال حفظت من الصحاح مائة ألف حديث ومن غير الصحاح مأتي ألف. وقال مسلم صنفتُ المسند الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة. وقال المحدث الدهلوى في المقدمة: الأحاديث الصحيحة لم تنحصر في صحيحي البخارى ومسلم، ولم يستوعبا الصحاح كلها بل هما منحصران في الصحاح والصحاح التي عندهما وعلى شرطهما أيضا لم يورداهما في كتابيهما فضلا عما عند غيرهما. وقال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث كما في الإكمال. وقال في رفع الملام: لايجوز أن يدعى انحصار حديث رسول الله ﷺ في دواوين معينة، وقال بل الذين كانوا قبل جمع هذه الدواوين أعلم بالسنة من المتأخرين بكثير، ودواوينهم صدورهم التي تحوى أضعاف ما في الدواوين، وهذا أمر لايشك فيه من علم القضية اهـ. أقول فأىّ بعض من الأحاديث تختار وأقوى مسائل المذاهب من أيّ وجه تأخذ. قال المناوى: وكم من حديث صحيح وقول صريح لا يعمل به لمانع يقتضيه من تأويل أو ناسخ أو منسوخ أو واقعة حال يتطرق إليها الاحتمال فاقطع دعوى التطلع والعقل وارجع إلى التقليد و النقل. وقد بان لك الحق من هذا المقال وماذا بعد الحق إلا الضلال اهـ من كشف الغمة. وثانيهما أن لانسلم أن اختلاف المذاهب الأربعة تفرق ونقمة بل وسعة ورحمة، قال في الدر المختار: وعلم بأن الاختلاف من آثار الرحمة، فمهما كان الاختلاف أكثر كانت الرحمة أوفر اهـ لحديث: "اختلاف أمتي رحمة". وأخرج الخطيب أن هارون

والثاني ما يتعلق به الأحكام وهي أربعة:(١) سبب، وهو أقسام: منها سبب حقيقي وهو ما يكون طريقا إلى الحكم من غير أن يضاف إليه وجوب ولا وجود ولا يعقل فيه معاني العلل كدلالته إنسانا ليسرق مال إنسان أو ليقتله، ومنها مجازي كاليمين بالله تعالى ونحوها، ومنها سبب في معنى العلة وهو الإيجاب المضاف كقوله أنتِ طالق غداً،(٢) وعلة، وهو ما يضاف إليه وجوب الحكم

الرشيد قال لمالك بن أنس يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب يعني مؤلفات الإمام مالك ونفرقها في آفاق الإسلام لنحمل عليها الأمة قال يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة كل يتبع ما صح عنده وكلهم على هدى وكل يريد الله تعالى. وتمامه في كشف الخفاء كما في رد المحتار. ولو سلمنا أن اختلافهم كما تقول تفرق كاختلاف أهل الهوى فلن نسلم أن يحصل الاجتماع والاتحاد بعدم التقيد بمذهب معين بل في عدم التقيد تفرق لاينضبط ومفسدة تنتشر وتنبسط، لاسيما في هذه الأيام التي قصرت الهمم جدًّا وأشربت النفوس الهوى وأعجب كل ذي رأي برأيه اهـ كما في التعليق. خصوصا في أرضنا الصين البعيدة عن ديار الإسلام، ألا ترى أن ليس لأهل العلم في هذه الأرض إسناد متصل في علم من العلوم أصلا ولا إجازة في شئ اعتنى بها العلماء خصوصا في علم الحديث وأصوله وعلم القراءة وأصول الفقه لم يقرؤوا على عالم ولم يسمعوا عن ناقل سوى مطالعة بعضهم بتكرير مراجعة الشروح كعمدة القاري وفتح الباري ونحوهما، فحينئذ ليس لنا طريق السلوك في الدين الا مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رضي الله عنه، فإنه طريق أعدل ومذهب أقوم، وهو أكثر المذاهب احتياطا في الدين، وأوسعها انتشارا في العالم، كما قال الشعراني وهو شافعي المذهب. ومن فتش مذهبه وجده من أكثر المذاهب احتياطا في الدين، ومن قال غير ذلك فهو من جملة الجاهلين المتعصبين بفهمه السقيم، وحاشا ذلك الإمام الأعظم من مثل ذلك حاشاه بل هو إمام عظيم متبع الخ. وقال وطالعت كتاب تخريج أحاديث كتاب الهداية للحافظ الزيلعي وغيره من كتب الشروح فرأيت أدلته رضي الله عنه وأدلة أصحابه ما بين صحيح أو

ابتداء، وهو أقسام: منها علة اسما ومعنى وحكما كالبيع المطلق للملك، واسما لا حكما ولا معنى كالإيجاب المعلق بالشرط، واسما ومعنى لا حكما كالبيع بشرط الخيار، ومنها علة في حيز الأسباب كشراء القريب، ومنها وصف له شبهة العلل كأحد وصفي العلة، ومنها علة معنى وحكما لا اسما كآخر وصفي العلة، واسما وحكما لا معنى كالسفر للرخصة، (٣) وشرط، وهو ما يتعلق به الوجود دون

حسن أو ضعيف كثرت طرقه حتى لحق بالحسن والصحيح. وقال وقد منّ الله تعالى علىّ بمطالعة مسانيد الإمام أبى حنيفة رح الثلاثة فرأيته لايروى حديثا إلا عن خيار التابعين العدول الثقات كالأسود وعلقمة وعطاء وعكرمة ومجاهد ومكحول والحسين البصري وأضرابهم ﷺ أجمعين. وقال فاترك يا أخي التعصب على الإمام أبي حنيفة وأصحابه رح، وإياك وتقليد الجاهلين بأحواله وما كان عليه من الورع والزهد والاحتياط في الدين فتقول إن أدلته ضعيفة بالتقليد فتحشر مع الخاسرين، وتتبع أدلته كمًا تتبعناها تعرف أن مذهبه من أصح المذاهب اهـ ملخصا من الميزان الكبرى. وفى ضحى الإسلام في مهارة الإمام رح في فقه الحديث: سأله الأعمش وهو من كبار المحدثين عن مسائل فأفتاه فقال له الأعمش من أين لك هذا؟ قال أنت حدثتنى عن إبراهيم بكذا وحدثتنى عن الشعبى بكذا، فقال الأعمش يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة اهـ. و في التعليق المجلي: وقد سأله الأوزاعى عن مسائل وأراد البحث معه بوسائل فأجاب على وجه الصواب، فقال له الأوزاعى من أين هذا الجواب؟ فقال من الأحاديث التي رويتموها ومن الأخبار والآثار التي نقلتموها، وبين له وجه دلالتها وطريق استنباطاتها، فأنصف الأوزاعى ولم يتعسف فقال نحن العطارون وأنتم الأطباء، اى العارفون بالداء والدواء اهـ . وقال إذا عرفت هذا فمن أساء الأدب معه فذلك من جهله بحال كماله أو حسده وعناده، وكان له أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم. ومن ثم عده الحافظ الذهبى وغيره في طبقات الحفاظ من المحدثين، وأفرد في مناقبه تأليفا. وأخرج الحافظ أبو نعيم في مسند أبى حنيفة رح من طريق يحيى بن نصر قال دخلت على أبى حنيفة في بيت مملوء كتبا فقلت ما هذه قال هذه أحاديث كلها وما حدثت به إلا

376

الوجوب، وهو أقسام: منها شرط محض كدخول الدار، وشرط هو فى حكم العلل كحفر البير فى الطريق، وشرط له حكم الأسباب كما إذا حل قيد عبد فأبق، وشرط اسما لا حكما كأول الشرطين فى قوله إن دخلت هذه الدار وهذه الدار فأنت طالق، وشرط هو كالعلامة الخالصة كالإحصان في الزنا. (٤) وعلامة وهو ما يعرف الوجود من غيران يتعلق به وجود ولا وجوب كالإحصان.

فصل فى الأهلية

المعتبر فيها العقل وهى نوعان:(١) أهلية وجوب وهى لاتثبت إلا بعد وجود ذمة صالحة، فيلزم على الصبي ما كان من حقوق العباد من الغرم والعوض ونفقة

اليسير الذى ينتفع به، قلت حدّثنى ببعضها فأملى علىّ، وقال حدثنا سلمة بن كهيل الخ أهـ ملخصا. وكلمه سفيان الثوري و مقاتل بن حيان و حماد بن سلمة وجعفر الصادق وغيرهم من الفقهاء وأخيرا قام كلهم وقبّلوا يده وركبته وقالوا له أنت سيد العلماء فاعف عنا فيما مضى منا من وقيعتنا فيك بغير علم، فقال غفر الله لنا ولكم أجمعين كما قاله الشعراني رح، وفى مناقب الإمام رح كتب و زبر ودفاتر ألّفها أجلة المحدثين والأكابر في ورعه وعبادته وتقواه وخشيته وسخائه وزهده وجودة طبعه وذكائه واحتياطه في إفتائه وغير ذلك كما في مقدمة العمدة. وإنما أطنبت هنا في بعض أحواله ﷺ شفقة لبعض الطلبة القاصرين وتثبيت أقدامهم في هذا المذهب الأقدم الأفضل الأعظم ولايسمعوا بخازفة السفهاء وهذيانهم. ثبتنا الله تعالى على الصراط المستقيم . مع أنه ليس في وطننا الصين مذهب آخر سوى المذهب الحنفى من قديم الزمان، فماذا نطلب سواه إلا تهييج الفتن، وتكثير المحن، وخرق الإجماع، و تفريق الاجتماع، ونشر لسان الطعن في كبراء الدين، وإلقاء العوام في ورطة القلق، ونكث اليقين. نسأل الله تعالى دوام العصمة وحسن الخاتمة اهـ.

عـه قوله فيلزم على الصبي الخ قال في متن المنار فحق الله تعالى إن كان حسنا لايحتمل غيره كالإيمان وجب القول بصحته من الصبي بلا لزوم أداء، وإن كان قبيحا لايحتمل غيره

الزوجات، وما كان عقوبة أو جزاء لم يجب كالقصاص وغيره، وحقوق الله المالية تجب عليه كالعشر والخراج. (٢)وأهلية أداء، وهى قاصرة كالصبي العاقل والمعتوه، ويبتنى عليها صحة الأداء، أو كاملة، ويبتنى عليها وجوب الأداء.

والمعترضات على الأهلية نوعان:

سماوي، كالصغر وتوضع عنه العهدة، وله ما لا عهدة فيه، فلا يحرم عن الميراث بالقتل. والجنون وتسقط به العبادات المحتملة للسقوط لكنه إذا لم يمتد ألحق بالنوم. والعته بعد البلوغ وهو كالصبا مع العقل فى كل الأحكام. والنسيان وهو لاينافى الوجوب لكنه إذا كان غالبا كما فى الصوم والتسمية فى الذبيحة يكون عفوا ولا يجعل عذرا فى حقوق العباد. والنوم ولايمنع الوجوب ولم يتعلق بقراءته وكلامه حكم. والإغماء وهو كالنوم بل أشد فيسقط بامتداده الأداء. والرق ويصير المرء به عرضة للتملك، وينافى مالكية المال لا غيره كالنكاح والدم، وينافى كمال حال الكرامة كالولاية. والمرض ولاينافى أهلية الحكم ولكنه لما كان سبب

كالكفر لايجعل عفوا، وما هو بين الأمرين كالصلوة ونحوها يصح الأداء من غير لزوم عهدة، وما كان من غير حقوق الله تعالى إن كان نفعا محضا كقبول الهبة يصح مباشرته، وفى الضار المحض كالطلاق ونحوه تبطل أصلا، وفى الدائر بينهما كالبيع ونحوه يملكه برأى الولى اهـ وفى الضار المحض كالطلاق والصدقة والقرض، والوصية تبطل أذن الولى أو لا، لأن الولى لا يملكها عليه لما فيه من عدم النظر الذى هو سبب الولاية فلا يملك إجازتها له، كما في حاشية المنار. ويقبل قول الصبي في الهدية والإذن، وقيده في السراج بما إذا غلب على رأيه صدقه، فلو شري صغير نحو صابون وأشنان لا بأس ببيعه. ولو نحو زبيب وحلوى لا ينبغى بيعه لأن الظاهر كذبه، وقد عثر على فلوس أمه فأخذها ليشترى بها حاجة نفسه اهـ وهذا لا يظهر في كل الصبيان لجريان عادة أغنياء الناس بالتوسعة على صبيانهم وإعطائهم ما يشترون به شهوة أنفسهم، وكذلك غالب الفقراء اهـ. أقول قد علمت أن المدار على غلبة

الموت شرعت العبادات عليه بقدر طاقته، ولما كان الموت علة الخلافة في مالك كان المرض من أسباب الحجر على المريض بقدر ما يتعلق به صيانة الحقوق، والحيض والنفاس وهما لايعدمان الأهلية لكن الطهارة للصلاة شرط، وفي فوته فوت الأداء، وجعلت الطهارة عنهما شرطا لصحة الصوم نصا بخلاف القياس. والموت وهو ينافي الأهلية في أحكام الدنيا مما فيه تكليف حتى بطلت الزكوة وسائر القرب عنه، وإنما يبقى عليه الإثم لاغير.

ومكتسب، كالجهل وهو أنواع: جهل باطل كجهل الكافر وأهل الهوى في الله وصفاته وأحكام الآخرة، وجهل الباغي، وجهل من خالف في اجتهاده الكتاب كخل متروك التسمية عمدا، والجهل في موضع الاجتهاد الصحيح كجهل المحتجم على ظن أنها فطرته، والجهل بالشرائع في دار الحرب من مسلم لم يهاجر إلينا، والأخيران يصلحان عذرا. والسكر وهو إن كان من مباح كشرب الدواء وشرب المكره فهو كالإغماء، وإن كان من محظور فلاينافي الخطاب، وتلزمه

الظن فلينظر المبتلى في القرائن اهـ رد المحتار. وقال في الإيثار شرح المختار نقلا عن الذخيرة: إذا ملأ صبي الكوز من ماء الحوض وأراق بعضه في الحوض لايحل لأحد أن يشرب من ذلك الحوض لأنه خلط به ملكه ولا يمكن تمييزهما. وكذا لو جاء صبي بالكوز من ماء مباح لا يحل لأبويه أن يشرب منه إذا كانا غنيين، لأن الماء صار ملكه بعد الأخذ، ولايحل لهما الأكل من ماله من غير حاجة انتهى كما في شرح الطريقة وغيره. أقول قد علمت من هذا أن أكثر الناس كانوا جاهلين بحكم معاملة الصبيان، ولم يبالوا بصحة التصرف في حق الصبيان وفساده، ولم يفرقوا بين ما قبل بلوغه وما بعده، ولم يميزوا سفهه عن رشده. فليتنبه الولي وغيره وليتفقهوا في الدين.

والحمد لله، وصلى الله على النبي وآله أجمعين.

الأحكام الا الردة والإقرار بالحدود الخالصة. والهزل وهو ينافى اختيار الحكم والرضاء به لا الرضاء بالمباشرة واختيارها فصار بمعنى خيار الشرط فى البيع أبدا. والسفه وهو لايوجب الخلل فى الأهلية ولايمنع شيئا من الأحكام ويمنع ماله عنه فى أول بلوغه. والسفر وهو لا ينافى الأهلية لكنه من أسباب التخفيف أو التأخير كقصر الصلاة وإفطار الصوم. والخطأ وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى لاحقوق العباد. والإكراه وهو إما أن يعدم الرضاء ويفسد الاختيار وهو الملجئ، أو يعدم الرضاء ولا يفسد لاختيار وهو الإكراه بالقيد والحبس، أولا ولا ولكنه يهتم كحبس أبيه او ابنه او زوجته ونحوه، والإكراه بجملته لاينافى الخطاب والأهلية.

والحرمات أنواع: حرمة لاتنكشف ولاترخص كالزنا بالمرأة وقتل المسلم، وحرمة تحتمل السقوط أصلا كحرمة الخمر، وحرمة لاتحتمله لكنها ترخص كإجراء كلمة الكفر، وحرمة تحتمله لكنها لاتسقط بعذر كتناول مال الغير. ولهذا لو صبر فى هذين الأخيرين حتى قتل صار شهيدا لكونه باذلا نفسه لإعزاز دين الله عز وجل ولإقامة حق الشرع القويم.

والحمد لله رب العالمين

تمت

380

فهرس

أصول الفقه

أقسام القرآن ٤
فصل ، التنصيص على ١٩
فصل ، المشروعات على ٢٠
فصل ، وللأحكام المشروعة ... ٢٢
باب أقسام السنة ٢٣
فصل ، وإذا وقع التعارض ٢٧
وأفعال النبي ﷺ ٢٩
باب الإجماع ٣٠
باب القياس ٣١
فصل ، والإستحسان ٣٢
فصل ، وشرط الإجتهاد..... ٣٢
فصل ، ما ثبت بالحجج ٣٤
فصل ، في الأهلية ٣٨

الحاشية

خطبة الكتاب ٢
المقدمة ٤
حكم ترجمة القرآن ٥
فدية الصلوة ٧
معنى التفسير وأنواعه ١٠
تفسير القرآن ١١
حكم المتشابهات ١٢
حكم ترجمة المتشابهات ... ١٦
ألفاظ الطلاق ١٧
أنواع الإكراه وحكمه ٢١
حكم قراءة الفاتحة ٢٤
القراءة خلف الإمام ٢٧
حكم التقليد ٢٩
وجوب تقليد المجتهد ٣٠
صحة المذاهب الأربعة ٣٢
وجوب تعيين المذهب ٣٣
وجه تقليد المذهب ٣٤
أفضلية المذهب الحنفي ٣٦
حذاقة الإمام الأعظم في الحديث ٣٧
حكم الصبيان ٣٨